بسم الله الرحمن الرحيم

تم رفع هذه المادة العلمية من طرف أخوكم في الله: خادم العلم والمعرفة (الأسد الجريح) بن عيسى قرمزلي. ولاية المدية

الجنسية جزائرية

الديانة مسلم

موقعي المكتبة الإلكترونية لخادم العلم والمعرفة للنشر المجاني للرسائل والبحوث على

www.Theses-dz.com

للتواصل: رقم هاتف 00213771087969

البريد الإلكتروني: benaissa.inf@gmail.com

حسابي على الفيسبوك: www.facebook.com/Theses.dz

جروبي: https://www.facebook.com/groups/Theses.dz

تويتر https://twitter.com@Theses_DZ

الخدمات المدفوعة

01- أطلب نسخة من مكتبتي

السعة: 2000 جيقا أي 2 تيرا !

فيها تقريبا كل التخصصات

أكثر من 80.000 رسالة وأطروحة وبحث علمي

أكثر من 600.000 وثيقة علمية (كتاب، مقالة، ملتقى، ومخطوطة...)

المكتبة مع الهرديسك بالدينار الجزائري 50.000.00 دج

المكتبة مع الهرديسك بالدولار: 500 دولار .

المكتبة مع الهرديسك بالأورو: 450 أورو

02- نوفر رسائل الأردن كاملة ب 500 دج أو 20 دولار للرسالة الواحدة على

https://jutheses.ju.edu.jo/default2.aspx

لا تنسوني بدعوة صالحة بظهر الغيب: ردد معي 10 سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

اللهم صل وسلم على نبينا محمد .... بن عيسى قرمزلي 2016.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي

جامعة الجزائر

معهد اللغة والادب العربي

الشعر المغربي في عصر الدولة المرينية وخصائصه الفنية

(668 هـ - 869 هـ)

بحث لنيل شهادة الماجستير

يقدمه الطالب :

سياخن مصطفى

تحت اشراف :

د./ محمد شريف قاهر

السنة الدراسية : 1989 - 1990م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

لم يحفل الأدب المشرقي بالدراسة بقدر ما حفل الأدب المشرقي والأندلسي بالبحث والدراسة والتمحيص، وذلك باعتبار المشرق منبع الثقافة العربية ومنطلق الفتوحات الاسلامية ، ومنه انتشرت العلوم والآداب والفنون ، وباعتبار الأندلس مركزا استوطنه كثير من ذوي المواهب والخبرات ، ووجد الأدباء في تلك البيئة كل ما يستثير الخيال ويستجيش العواطف والوجدان ، فنما الأدب وأزهر ، وان كانت له سمات تميز بها عن أدب المشارقة ، فجلب اهتمام الباحثين والدارسين فأولوه العناية الكافية بالدراسة والتحليل ، بينما الأدب المغربي اعتبره بعض الباحثين امتدادا للأدب الأندلسي المطعم بسمات الأدب المشرقي ، ولهذا مروا عليه في دراستهم دون عمق وتوسع ، وحتى الباحثون الذين درسوا الأدب المغربي لم يتعرضوا في دراستهم الى كل فتراته ، انما توقفوا عند الفترات التي كانت فيها دويلات المغرب العربي قوية سياسيا واقتصاديا كدولة الفاطميين ودولة الموحدين ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينما الدويلات الأخرى وخصوصا الدويلات التي جاءت بعد الموحدين كالدولة الحفصية والزيانية والمرينية فلم يتحرر الدارسون للأدب المغاربي لفترات هذه الدويلات بشيء من التوسع في التحليل والتوضيح ، لذلك ظل الأدب في فترات هذه الدويلات يحتاج الى من يتناوله بالدراسة والتوضيح ، ويلم بشتات موضوعه النثرية والشعرية من الكتب التاريخية والدينية وكتب التراجم والأخبار والموسوعات .

ولا شك أن الباحث في الأدب المغربي يجد صعوبات شتى وعقبات عويصة تتمثل في قلة المصادر والمراجع الأدبية ، لأن الكثير منها افقده الزمن ، والبعض منها لا يزال مخطوطا يحتاج الى محققين مدققين لتبيان معالمه العقيقية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نجد التداخل أحيانا والامتزاج أحيانا أخرى بين السمات الأدبية لكل فترة من فترات تلك الدويلات ، وخصوصا بين الدويلات الثلاث : الحفصية والزيانية والمرينية ، لأنها نشأت في فترة واحدة وبحبارة أخرى نشأت اثر ضعف الدولة الموحدية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أثرت الحديث عن الشعر في عصر بني مرين لجملة من الأسباب يمكن أن نجملها على النحو التالي :

- ان الأدب في هذه الفترة أكثر غموضا من حيث المضامين وخصوصا الشعر ، اذ اعتبره بعض الباحثين نظما لا يشترك مع الشعر الا في الوزن ، وهذا الاعتبار يعد في رأينا مخلا لجنس الشعر في فترة المرينيين .

- قلة الدراسات الجامعية وغير الجامعية ، وحتى الدراسات التي تعرضت له على قلتها لم تتناوله كموضوع مستقل وانما يأتي في سياق حديث عام وشامل عن الحياة المغربية لأنها قد تخرج عن اطار الأدب الى اطار التاريخ أو العلوم الأخرى .

- وكذلك رغبة مني في محاولة فتح ثغرة لجلب اهتمام الباحثين لدراسة أدب هذه الفترة ، ورغبة في محاولة معرفة الأدب فيها ، لأن الاحساس بهذه الرغبة لازمني منذ اتصالي بدراسة الأدب العربي فقد كنت أتطلع الى معرفة الأدب المغربي في جميع أقطاره .

- اعتبار الأدب المغربي في هذه الفترة كان أقرب الى الكمال حيث حاول المتخلص من التأثيرات المشرقية وشق لنفسه طريقا يعبر بها عن الشخصية المغربية باستخدام الحوار وسرد التاريخ والتعبير عن المعاني العلمية ، كما ظهر فيه الاتجاه الشعبي في الشعر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ ومن العوامل التي شجعتني على استكمال خطوات البحث تلك العناية الفائقة التي لمستها عند الأستاذ المشرف على البحث ، فلولا توجيهاته ونصائحه المتواصلة لما خرج البحث على الصورة التي هو عليها ، فله منا كل الشكر والتقدير .

وقد اقتضت منهجية البحث أن تقسّمه الى :

تمهيد ، وأربعة فصول ، وخاتمة :

التمهيد : بيّنا من خلاله عوامل كثرة الشعر وازدهاره في العصر المريني ، وبعض الخصائص التي تميز بها هذا الشعر ، وبذلك حاولت أن يكون التمهيد صورة واضحة المعالم لما ورد في متن البحث خلال فصوله الأربعة .

الفصل الأول : خصصناه للحديث عن عصر الدولة المرينية مبينين فيه مختلف ميادين الحياة : السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية ، وأبرزنا عوامل ازدهار هذه الميادين وعوامل ضعفها ، لتكون صورة حيّة تحكم الحياة الأدبية بصفة عامة والشعر منها بصفة خاصة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني : تحدثنا فيه عن مواكبة الشعر للعصر ، مبينين الموضوعات التي عبر عنها ، سواء أكانت تلك الموضوعات تقليدية أم طارئة على العصر ، فعلى العموم أن الشعر واكب مراحل نشوء الدولة العربية وازدهارها وضعفها وتناول الأغراض التي عرفتها الحياة الشعرية في ذلك العصر .

الفصل الثالث : وهذا الفصل تحدثت فيه عن الخصائص الفنية التي تميز بها الشعر في العصر العربي ، سواء أكانت هذه الخصائص تقليدية أم كانت بلست الحياة الشعرية آنذاك ، كما بيّنا فيه الأسلوب التي اتسم بها الشعر ، والمنهج الذي سار عليه في بناء القصيدة ، من مقدمة الى الغرض المقصود الى الخاتمة ، بالاضافة الى مميزاته اللغوية والموسيقية وزنا وقافية ، وكذلك الصورة الشعرية التي استخدمها في الأسلوب .

الفصل الرابع : أثرنا الحديث في هذا الفصل عن التعريف بالشعراء الذين برزوا في هذا العصر دون أن نقصر الحديث عن المشهورين منهم فقط ، بل شمل التعريف بالشعراء الأمراء في الدولة العربية ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم الشعراء الذين كان لهم اتصال بالبلاط المريني ، وكذلك الشعراء الذين كانت لهم السيد المطولس في الحياة العلمية والثقافية في ذلك العصر ، مبرزين الأحداث التي تعرضوا لها في حياتهم ، وكان لها انعكاس في شعرهم ، وحاولنا التسلسل التاريخي في سرد حياتهم متخذين تاريخ الوفيات مقياسا لذلك التسلسل التاريخي ، واستشهدنا بنماذج من شعرهم استكمالا للتعريف وتعميما للفائدة ، وذيلنا هذا الجهد المتواضع بخاتمة لخصنا فيها ما رأيناه نتائج توصل اليها البحث ليكون بذلك لبنة جديدة تضاف الى تمتين بناء صرح الثقافة العربية الاسلامية .

أما المنهج الذي اتبعناه في انجاز هذا البحث فهو يجمع بين التاريخ والفن ، فبالتاريخ حاولنا رصد ظواهر الأحداث حسب تسلسلها ، مبينين مواكبة الشعر لها منذ ظهور الدولة المرينية الى الساحة السياسية ، وكذلك محاولة التعرف من المؤثرات التي تأثر بها الشعر المغربي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمّا من حيث الفن فإننا حاولنا تتبع المظاهر الفنّية التي تميز بها الشعر المغربي من بناء القصيدة ولغتها وأوزانها وقوافيها ، وكذلك الصياغة الشعرية بصفة شاملة ، محاولين ابراز العناصر التي اعتمد عليها الشعر في الأسلوب .

وقد اعتمدنا في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع نذكر منها ما اعتبرناه أساسيا في مجال الدراسة والبحث :

1 — الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، وهو يتناول تاريخ المغرب الأقصى منذ سنة : (145 هـ — 726هـ) ، وقد اعتمد مؤلفه ابو العباس أحمد بن أبي زرع على كثير من المصادر لم يذكرها ، كما اعتمد على وثائق رسمية عند كلامه على حكم الأسرة المرينية ، وكان يدعم حديثه بمعلومات شخصية لها علاقة بما يورده من معلومات .

2 — نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، لمؤلفه لسان الدين ابن الخطيب ، وهو يتكون من ثلاثة أجزاء أهمها الجزء الثاني الذي تناول فيه وصف مشاهدته في المغرب ذاكرا الأحداث السياسية والاجتماعية التي مرّ بها هذا البلد في تلك الفترة ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد افدنا في جمع معلومات عن الشعراء المعاصرين والتعريف على شعرهم .

3 ـ الخبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، لعبد الرحمن ابن خلدون (732 هـ ـ 808 هـ) ، فقد اورد ابن خلدون خلال اخبار العرب والبربر الكثير من النصوص الشعرية التي كانت لها علاقة بموضوعنا ، كما افادنا في اخبار ومعرفة المرينيين ومواطنهم واصولهم ، وكذلك الحياة السياسية والاجتماعية في فترة دولتهم .

4 ـ روضة النسرين في اخبار دولة بني مرين ، لابي الوليد اسماعيل بن الاحمر النصري الامير الغرناطي ، الشاعر الكاتب المتوفى سنة : 807هـ / 1404م ، نشره الاستاذ عبد الوهاب ابن منصور بالرباط سنة : 1958م ، وهذا الكتاب يعتبر بمثابة سجل للحياة المرينية في عصرنا اذ احتوى على اسماء ملوك الدولة المرينية وكنياتهم والقابهم واسمائهم وتواريخ ميلادهم وولاياتهم ثم وفاتهم والمدة التي قضاها كل منهم ، مع وصف ملامحهم الخلقية وذكر رجال دولتهم وزراء وحجاب وكتاب وبعض من اشعارهم قد افدنا التعريف بالشعراء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

5 ـ تشير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، للأمير اسماعيل ابن يوسف بن محمد بن الاحمر ، وهو كتاب اقتصر فيه صاحبه كما يقول : ((واقتصرت فيه على من لنفسه انشدني ومن بنظامه البارع استرشدني ممن رأيته بالعيان من الشعراء الاعيان ومن بمسمعي لحقته وانشدت له فألحقته وألم لما انشدني رواية عن قائل أعيته مما يستجيده قارئه ويستزيده)) ، وقد افادني هذا الكتاب في ترجمة بعض الشعراء والتعرف على شعرهم ، كما افادني الدراسة التي جعلها المحقق الدكتور رضوان الدايبة فيما يتعلق بالمغرب في القرن الثامن الهجري .

6 ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، لمؤلفه الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني ، وهو كتاب قد احتوى عن بعض شعرية لشعراء عاشوا في الفترة المرينية فكان المضمون الذي اثرى مادة البحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

7 - المذهب المغربي في الأدب العربي ، لمؤلفه عبد الله كنون وهو كتاب يضم ثلاثة أجزاء ، تحدث فيه المؤلف باختصار عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في المغرب ، وأورد في الجزء الثالث من هذا الكتاب مجموعة نصوص شعرية من بديعهما نصوص لشعراء المغتربة .

وبعد هذا كله لا أدّعي أنّ هذا البحث قد أُلمّ بكل جوانب الموضوع ، وإنّما حاولنا قدر الجهد والوقت أن نطرق ما حسبناه هاما وجديرا بالبحث ، ونلتمس أن تعقبه بحوث ودراسات أخرى تصحّح ما قد نكون غفلنا عنه ، وتضيف إليه كل ما هو جديد مفيد .

وما توفيقنا إلا بالله

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

لقد شهد المغرب العربي منذ الفتح الاسلامي نشوء امارات ودول ، احتلت كل دولة جزءا من مساحته الشاسعة وحكمته ، وشهدت كل دولة في زمانها تقدما ثم تدهورا وزوالا بقيام دولة اخرى تحل محلها أو تقوم منافسة لها في جزء ما من المغرب العربي قصد الاستيلاء على جميع اقطاره .

ومن هذه الدول، نجد الدولة المرينية التي قامت في المغرب الاقصى ثم توسعت الى أن ضمت أقطار المغرب العربي في فترة أبي الحسن المريني : (731 - 752 هـ) ثم تقلص توسعها تدريجيا الى أن زالت وانقرض وجودها السياسي بعد أن حكمت أكثر من قرنين من الزمن (668 - 869هـ) وقد كان عصر هذه الدولة عصر ازدهار فكري وأدبي لمجموعة من العوامل والأسباب نحاول أن نتعرف عليه من خلال تراثها الشعري.

هذا الشعر الذي أنتجته قرائح الشعراء في ذلك العصر عرف هو الآخر أسبابا وعوامل جعلته أن يتكاثر ويشيع وينتشر، اذ لقي عناية واهتماما من الناس عامة ، ومن الأمراء خاصة ، ووجد أهله تقديرا وكرما من أمراء بني مرين، فكثر قائلوه من أمراء وقضاة وفقهاء وكتاب بالاضافة الى الشعراء ، وقد تعددت أغراضه واتسعت موضوعاته حتى شمل كل ما في حياة الناس اليومية ، وبهذا يكون قد واكب أحداث العصر، اذ أرخ المراحل الزمنية لهذه الدولة منذ نشأتها،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعبر عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وتدرّج خاضعا الى تطورها لانّها هي التي تحدّد سيره واتجاهاته وتفرض عليه التغيرات التي يتّسم بها في الموضوعات التي يتناولها والأساليب التي يعبّر بها عن تلك الموضوعات ، وبقدر ما كان خطر التغيّر كان تأثيره في الشعر ، فكان قويا حين كانت الدولة قوية ، ولكنّه ضعف وتدهور متأثّرا بالنكبات التي حلّت بالدولة المرينية ، فظهر شعراء نظامون ينظمون الكلام نظما لا يخاطب الوجدان ، كما كثر في هذا النظم الجناس والطباق وغيرهما من المحسنات البديعية ، والتكرار المتمثل في المعاني والصور الشعرية .

ولا يخفى على أحد من الباحثين أنّ التأثير المشرقي كان عميقا منذ الفتح الاسلامي على المغرب العربي الذي تطوّر في دائرة النفوذ المشرقي ، فكانت الثقافة المشرقية هي المنوال الذي انتجه وترسم خطاه رجال الفكر المغربي ، ومن تتبع جزئيات التراثين المشرقي والمغربي اسلوبا ونزعة وروحا لمس وحدة الجوهر أدبا وفلسفة واجتماعا مع فروق سطحية مردّها الى عوامل البيئة المحلّية (1)

ولذا كان ذلك الدمج المشرقي جليا في الشعر المغربي ، وان حاول التخلّص منه في العصر المريني الذي بدأت فيه تتميز ملامح الشخصية المغربية .

---

(1) ـ عبد العزيز بن عبد الله ، تاريخ الحضارة المغربية ، ج : 1 ، ص: 54 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك لبعد المسافة الزمنية بين قوة التأثير ومركز التأثر، اذ برزت عناصر بربرية من العلماء والشعراء تجاوزت مرحلة التحصيل والاكتساب ووصلت الى مرحلة الخلق والابداع، ولكن هذا لا ينفي الملامح المشرقية في الشعر في عصر هذه الدولة، اذ نجده اتبع الخطة التي انتهجها الشعر المشرقي في معالجة الموضوعات التقليدية المعروفة في الشعر العربي، فبدت تلك الملامح جلية واضحة في بناء القصيدة والصور الشعرية .

وهذا التأثر الذي نلمس ملامحه في شعر هذه الفترة هو أن المصادر تدل على انه جاء من الاندلس، لأن الشعر الاندلسي انتهج هو أيضا المنهج المشرقي فوقلده اكثر من قرن في كل الأغراض والموضوعات والبناء الفني للقصيدة قبل أن يتوسع في الاغراض الشخصية ويضفي عليها طابع الشخصية الاندلسية ويستحدث اغراضا اخرى كالموشحات والأزجال .

وهذا التقليد والتوسع اللذان حدثا في الشعر الاندلسي اثرا هما الآخران في الشعر المغربي في العصر المريني وذلك لقرب المسافة المكانية بين البلدين، مما أدى الى قدوم العلماء والشعراء من الاندلس الى المغرب وذهاب وفود منهم من المغرب الى الاندلس ممن كان لهم القدح المعلى في العلم والأدب .

ومن هذا الاتصال المستمر كان التأثير والتأثر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلمح التقليد الذي اتسم به الشعر المغربي للشعر المشرقي الذي تسرب اليه عبر الشعر الأندلسي من ناحية كما تأثر أيضا بما ابدعه الأندلسيون في مختلف الفنون الشعرية ، فبدت في الشعر المغربي في هذا العصر ملامح مشرقية وأندلسية على السواء .

ولكن لا يعني أن هذا التقليد قد ألغى الشخصية المغربية والواقع الحياتي للمغرب ، وانما كان التقليد في الشكل لا في المضمون ، اذ كانت البيئة المغربية تفرض بعض الأغراض التي عرفت في المشرق والأندلس كالمدح والغزل والوصف والرثاء والفخر والحماسة ... الخ .

ومن أهم الأغراض الشعرية التي كانت لها الأولوية في الترتيب والحظ الأوفى والانتشار الأقوى الشعر الديني الذي تنوعت أقسامه وتجلت في شعر المدائح النبوية التي كانت بمناسبة المولد النبوي الشريف والأعياد الدينية ، وشعر التصوف والزهد ، ولم تكن هذه الأغراض وحدها هي التي اتخذها الشعر في مهيمنه ، وانما اتخذ أيضا وجهة المنظومات الأخبارية التي اتخذت التاريخ والسيرة موضوعا لها فكانت قصائد وأراجيز ومقطوعات تعبر عن الأفكار العلمية ، كما استحدث الشعراء في المغرب بعض الأغراض كالموشحات والأزجال تسمى : (عروض البلد) ، وتميز الشعر آنذاك بالصدق في المضمون والبساطة في اللغة والبعد عن التعقيد في الأسلوب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

عصر الدولة المرينية :

الحياة السياسية :

ما دمنا بصدد الحديث عن الشعر في عصر بني مرين لا بدّ من أن نتناول بعض الجوانب من الحياة بشيء من التفصيل والتحليل حتى تتبين لنا المؤثرات التي كانت سببا في ازدهار الشعر وتدهوره آنذاك، وحتى تتضح حال الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في شعر هذه الفترة التي يشملها هذا البحث قصد فهم ذلك الشعر والتعرف على مستواه الفني .

ولا شكّ أنّ من يبحث عن الحياة السياسية في عصر الدولة المرينية يجد أنّها كانت نتيجة انقسام الوحدة التي عرفها المغرب الإسلامي في عصر الدولة الموحدية ، ولذلك لم يسدها الاستقرار والأمن بقدر ما سادتها الحروب والمعارك من أجل الحكم المطلق على المغرب الاسلامي الذي كانت تتحكم فيه كل الدول الموجودة على أرضه .

وأما الوحدة التي عرفها المجتمع المغربي فكانت ذات بأس وقوة تمكن بهما المغرب الإسلامي من نشر نفوذه السياسي على بلاد الأندلس،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واعترفت بعظمته كل الدول على ضفاف البحر المتوسط ، وذاع صيتها بين الأمم شرقا وغربا ، وبفضل تلك الوحدة السياسية المرتكزة على العروبة والإسلام ازدهرت الحضارة والعمران ، وانتشر العلم الذي نما في أحضان تلك الدولة وازدهرت مراكزه التعليمية ، فبلغت العلوم والفنون والآداب أوجها يومئذ وظل الموحدون في أوج عزهم السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي الى أن وقعت (وقعة العقاب) (1) سنة : (609هـ) ، فاضطرب حبل الدولة ، وظهرت علامات الانكسار والانكسار والتدهور بخروج ولاة النواحي الذين شعروا بالقوة الفردية ، فدبت فيهم روح الانفصال والاستقلال فتفككت حينئذ وحدة المغرب الإسلامي ، وأشرقت ثلاث دول هي : الدولة الحفصية في الشرق والدولة الزيانية في الوسط ، والدولة المرينية في المغرب (2) ، وكل دولة من هذه الدول الثلاث اتخذ زعماؤها وسائل للانفصال سمحت بها سياسة المفاوضات في تسيير أمور الدولة الموحدية التي تولاها في أخر أيامها من لا يحسن التدبير ،

---

(1) ـ وقعة العقاب : موضع يعرف بانعقاب بالقرب من حصن يدعى حصن سالم بالاندلس .

(2) ـ الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، ج : 2 ، ص: 7 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهم : ابو الحسن علي السعيد الذي ((فاوض الملأ من اهل دولته في امره وراهم كيف اقتطع الامر عنهم شيئا فشيئا ، فابن ابي حفص اقتطع افريقية ، ثم يغمراسن بن زيان وبنو عبدالواد اقتطعوا تلمسان والمغرب الاوسط واقاموا فيها دعوة ابن ابي حفص واطمعوه في الحركة الى مراكش بمظاهرهم ، وابن هود اقتطع عدوة الاندلس واقام فيها دعوة بني العباس وابن الاحمر بالجانب الاخر مقيم لدعوة ابن ابي حفص ، وهؤلاء بنو مرين تغلبوا على ضواحي المغرب ثم سموا الى تلك الامصار)) (1) .

ويتضح لنا من خلال هذا النص التاريخي ان بني مرين اخذوا الحكم من الموحدين بالحرب بعد ان حاربوهم حوالي ستين سنة (610 — 663هـ) ، وقد كانت هذه الحرب نتيجة التنافس والتزاحم على رئاسة المغرب الاسلامي ، لان قبيل بني مرين ناصر الموحدين على بني صنهاجة وغيرهم من الخصوم ، لكن حدثت بين الموحدين والمرينيين حزازات وضغائن بسبب التنافس على الملك ، ونتيجة لذلك رفض المرينيون الخضوع لنفوذ الموحدين بخلاف الزيانيين ،

---

(1) — ابن خلدون ، العبر ، مج : 7 ، ص : 354 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظلّوا يثيرون الغارات والفتن بأرجاء المغرب الأقصى، (1) حتى ظهروا على الميدان السياسي نتيجة لهزيمة الموحدين في (وقعة العقاب) بالأندلس سنة: (609هـ) ، وكان ظهورهم في عهد المستنصر سنة: (618 هـ)، ومن هذا التاريخ وهم في صراع مع الموحّدين الى أن علا شأنهم بقيادة أبي بكر بن عبد الحق الذي فتح مكناسة سنة : (646 هـ)، فبايعه أهل فاس التي أصبحت عاصمة للدولة الجديدة، ثم جاء بعده أخوه يعقوب بن عبد الحق الذي فتح مراكش سنة : (668 هـ)، ثم سجلماسة سنة: (672هـ)، وبعد قضائهم على أبي دبوس تمّ لهم القضاء على عرش الموحدين في مراكش. (2)

ولما تم لهم فتح مراكش بقيادة أميرهم أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق شرعوا في توطيد دعائم دولتهم التي انحصرت بين هذه الحدود فيما بعد : من بجاية الى البحر المحيط شمالا، والصحراء الكبرى الى تونس جنوبا، ومن الصحراء الكبرى الى الجزائر شرقا.

---

(1) ـ الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج : 2، ص : 73 .
(2) ـ ابراهيم حركات، المغرب عبر العصور، ج : 1، ص : 320 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن بحر الزقاق الى نهاية بلاد البربر المتصلة بالصحراء التي تفصل بين هذه الدولة والسودان غربا (1)

وأما العاصمة التي اتخذتها هذه الدولة فهي مدينة فاس التي بناها الأمير ادريس بن ادريس سنة: (191 هـ) ، والتي بايع أهلها هذه الدولة الجديدة بعد ما ((كانت مساكنهم ومواطنهم وراء تلمسان قريبا على ملوية وجدويا الى نواحي سجلماسة تافيلات وبالصحراء فتيق الى أرجاء الأغواط ، وربما يخطون في ضعنهم الى بلاد الزاب وهم قوم مرهوب جانبهم شديد بأسهم كثير جمعهم (2) واستمروا في تسلطهم حكم منهم ، ولكن القتال ظل دائرا بينهم وبين خصومهم من الحاميين في الحكم في أقطار المغرب المختلفة ، لأن سياستهم كانت تهدف الى :

1 ـ مقاومة بني عبد الوادي أصحاب تلمسان ليتسنى لهم جمع الكلمة بافريقيا الشمالية ، كما كانت الحال على عهد بني عبد المؤمن الموحدي (3)

2 ـ الجهاد بالأندلس لاستصراخ ملوك بني الأحمر بهم ،

---

(1) ـ ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان . ت : رضوان الداية . ص: 26، 27 .
(2) ـ الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام . ج : 2 . ص: 73 .
(3) ـ محمد الفاسي ، التعريف بالمغرب ، ص: 47 .

٤٢٠٣٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولتبرير قيامهم على الموحدين ، اذ الدولة المرينية لم تقم على دعوة بخلاف كل الدول التي قامت قبلها وبعدها بالمغرب الأقصى . (1)

3 ـ نشر العلوم والمعارف بعد أن ضعفت بضعف الموحدين وكاد يقضي الظلماء المعموم بهذه الديار . (2)

في سبيل تحقيق هذه الأهداف سارت الدولة المرينية بجيوشها زاحفة الى تلمسان تقصد تحصين مكانتها ، لأنها لم تكن راضية بوجود دولة أخرى تنافسها في السلطان على المغرب الإسلامي ، وخصوصا أن الدولة الزيانية كانت تتبوأ مكانة عالية في الميدان السياسي والحربي في المغرب الأوسط ، فقامت بينهما حروب شديدة عرقلتها عن الهدف الحقيقي الذي هو مقاومة النصارى الذين يهددون الاسلام ويقضون على أهله بالأندلس من جهة ، ومن جهة أخرى ، كانت عقبة كؤود في طريق الوحدة التي كانت تسعى اليها الدولة المرينية .

أما احساس المرينيين بالعبء الذي ورثوه عن الموحدين الذين كانوا حماة الاسلام والمسلمين بالأندلس

(1 ، 2) ـ محمد الفاسي ، التعريف بالمغرب . ص : 47 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو من تثبيت شرعية الحكم والاستيلاء على كل الاقطار التي في سمائها راية الموحّدين ، ولكن وجدوا مقاومة شديدة من الزيانيين أهل تلمسان بقيادة يغمراسن عشّرت سعيهم ، لأنّ هدفهم كان القضاء على بني عبد الوادي ، وليس الانطلاق من تلمسان لمقاومة النصارى بالاندلس فقط .

ولكن هل حقق المرينيون الانتصار على الزيانيين والاستيلاء على تلمسان أم فشلوا قبل الوصول اليها ؟

فبعد محاولات عديدة ومعارك شديدة استطاع المرينيون أن يحاصروا تلمسان سنة : (680 هـ) ، ولكن هذا الحصار لا يعني انتصارا دائما للمرينيين ، وانهزاما ابديا للزيانيين ، وانّما هو بمثابة صلح استغله الزيانيون للنهوض مرّة أخرى لمقاومة المرينيين الذين استمروا في غزوهم وتوسّعهم نحو الاعمال الشرقية الى أن وصلوا الى تونس التي كانت تحكمها الدولة الحفصية آنذاك ، وقد ساعدهم الخلاف الذي نشب بين أمراء البيت الحفصي حول تولي رئاسة الملك اثر موت ملكها ابي يحيى المتوكل سنة (747هـ) ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فانتهز ابو الحسن المريني هذه الفرصة، واحتل تونس التي فوّعدها اذ ذاك سلطانهما : ابوحفص الثاني (1) فيمن اجتمع اليه من اولاد عبدالمؤمن فالتحقت بهم جنود ابي الحسن فاوقعت بهم وتوفي ابو حفص قتيلا ،(2) .

بهذا تم لبني مرين الاستيلاء على المغرب الاسلامي باقطاره الثلاثة (3) .

ولكن ((اختفقت سياسة بني مرين مع العرب في المملكة التونسية ، واساء بعض العمال في سلوكهم ومعاملاتهم للرعية ، فثار الناس على السلطة المحلية، واثاروا ضدها نقمة الفتنة واستلوا سيف المقاومة، فانهزمت مرين سنة : (749 هـ) بنواحي القيروان (4))) ، فعاد السلطان ابو الحسن المريني سنة : (750 هـ) عبر البحر، ولكن السفن كان ريحها وعواصف فغرقت مراكبه بين سواحل دلس وبجاية ولم ينج من هذا الغرق الا ابو الحسن المريني مع قلة من رجال بلاطه (5) .

---

(1) ـ الجيلالي عبدالرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، ج : 2 ، ص: 86 .
(2) ـ ابن خلدون ، العبر ، مج : 7 ، ص: 560 ، 561 .
(3) ـ الجيلالي عبدالرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، ج : 2 ، ص: 87 .
(4) ـ (5) ـ المصدر نفسه : ص: 83 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم استمر عائدا الى فاس فوجد ابنه أبا عنان فارس قد سد أبواب فاس دون أبيه ، فدارت بينهما معارك (1) من جهة ، كما استغل الزيانيون تلك الكارثة التي حلت بالدولة المرينية في أبي الحسن ، فتأهبوا لاسترجاع امارتهم الجزائرية التي استحوذ عليها المرينيون من جهة ثانية ، فنهض أبو الحسن المريني مع ولده الناصر لمقاومتهم واستصرا لا ، ثم كانت عليهما الهزيمة ، فقتل الناصر وفر أبو الحسن الى جبال العمور ثم أصحر الى سجلماسة (2) .

ولما توفي أبو الحسن المريني سنة : (752 هـ) خلفه ولده أبو عنان فارس الذي كان قد ثار عليه من قبل ، وباشر أعماله بغزو تلمسان فبرز لمقاومته السلطان أبو سعيد عثمان الزياني ، فانهزم هذا الأخير وأسر ثم قتل وسقطت تلمسان في أيدي المرينيين الذين احتلوا الجزائر .

غير أن استمرار المرينيين في الاستيلاء على المدن والتمسك في الملك لم يفلحوا فيه وذلك نتيجة لسياستهم التي كانت قد بنيت على الأحقاد والضغائن ضد الزيانيين من جهة .

---

(1) — ابن الأحمر ، تشير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، ص: 31 .
(2) — الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، ج : 2 ، ص: 38 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسياسة القوة والعنف والاستبداد من الحكام والعمال على الرعية من جهة أخرى، اذ أن قوة دولتهم كانت ترتكز الى قوة الافراد لا الى قوة الدولة ، والانتصار كان انتصار الطموح لا المبدأ[1] .

ولا ريب أنّ هذه السياسة هي التي أدت بهم الى الانقسام عوض الوحدة التي كانت في عهد الموحدين، حيث كانوا يقصدون استرجاعها الا انّ كثيرا ما كانت تقوم ضدهم الثورات في كل مديد لون بها ، وقد تجسد ذلك الانقسام في انفصال فرع من بني مرين هم بنو وطاس الذين اغتصبوا الحكم وأسسوا دولتهم في شمال مراكش سنة : (876 هـ) ، بعد ما كادوا يشغلون مناصب كبيرة في الدولة المرينية ، وقد تحررت دولتهم بسبب الحزازات والثارات القديمة التي سادت حركتهم .

وأما عن الجهاد في الأندلس، فان المرينيين قاموا بدورهم تجاه الأندلس، اذ لبّوا النداء والاستغاثة التي طلبها ملوك بني الأحمر الذين قاوموا النصارى الذين بذلوا كل ما في وسعهم للقضاء على الاسلام والمسلمين بالأندلس

---

(1) — محمد بن تاويت ، الأدب المغربي ، ص: 198 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك أنّ المرينيين شعروا بالمسؤولية التي ورثوها من الموحّدين ، وانّ ((كانت قدرة بني مرين على حمل المسؤولية التي نهاء بها الموحّدون الى غاية أدنى من قدرة الموحّدين الا انّهم اثبتوا انّهم اذا ما اضافت قوتهم الى قوة قرطاطة ، قوة كبيرة ، ولم تكن هذه القوة لتستطيع اكتساح الاندلس في معركة عظيمة فاصلة أو استرجاع ما فقد من القواعد والحواضر ، رغم انّ جواز بني مرين الى الاندلس ، كان يتقدّد بالرغبة في الجهاد ، ويتصدّد بنداءات الفقهاء والعلماء والشعراء وخطباء المساجد ، وكتب السلاطين ، ويصدر عن نفوس مشبعة بروح اسلامية)) (1)

غير انّ المرينيين قد واجهوا بعض الصعاب في تحقيق هذه الغاية بسبب مخالفة بني زيان لهم ، ولذلك كانوا يترددون في الاستجابة لنداء الاندلس ويجيبون في الغالب ، وقد ذكر صاحب الذخيرة السنية : ((ان يعقوب المنصور سلطان بني مرين سر سرورا عظيما ،

---

(1) — ابن الأحمر ، تشيع فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، ص: 36 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(1)

واخرج الصدفاوي حين صالحه يغمراسن ووعده بلزوم بلاده فتوة الخيراب المريني في الاندلس للجهاد)) (2) .

ومن شروع المرينيين في حماية الاسلام والدفاع عن المسلمين في الاندلس، نجد يعقوب بن عبد الحق مؤسس الدولة قد ((جاز الى الاندلس اربع مرات في نحو عشر سنوات : (674 ـ 684 هـ) ، واستطاع ان يهزم الاسبان ويدفع عن مسلمي الاندلس شرا كثيرا)) (3) .

ومن احتياج بني الاحمر لمعونة بني مرين لمواجهة الزحف المسيحي وحماية الاسلام منه ، كانت العلاقة بين الدولتين وثيقة ، ولم تكن علاقة حرب وجهاد فحسب ، بل انها تجاوزت الى صلة تجارية وفكرية وثقافية ، اذ تنقل عدد من اعلام الدولتين بين الحواضر والمدن المختلفة منها ، وتولى كثير من الاندلسيين مناصب هامة في المغرب وكثير من المغاربة تولوا مناصب في الاندلس ،

---

(1) ـ المؤلف مجهول ، الذخيرة السنية في اخبار الدولة المرينية ، ص: 165 .

(2) ـ ابن الاحمر ، تشبيع فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، ص: 37 .

(3) ـ فروخ عمر ، تاريخ الادب العربي ، ج : 6 ، ص: 31 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما انتقلت بعض الأسر من مواطنها الأصلية الى البلد الآخر لأسباب أخرى اقتصادية أو طلبا للسلامة (1) .

ومن الظواهر البارزة كثرة الرسل والرسائل والهدايا المتبادلة بين بني نصر وبين بني مرين في أمر الجهاد والاستعانة والمصالحة والمصاهرة والمهاداة ، فكانت السفارات والرسل لا تنقطع بين البلدين لقرب المسافة وعمق الصلة . (2)

والظواهر البارزة الأخرى التي تبرز العلاقة بين الأندلسيين والمرينيين أيضا هي ظاهرة اللجوء السياسي الذي كان من والى الأندلس والمغرب ، فان كثيرا من الأسر الأندلسية النصرية لجأت الى ملوك المغرب المرينيين اثر الشغب والفتن والانقلابات التي حدثت في عصر بني الأحمر الذي يعتبر أسود عصر مر به المسلمون بالأندلس ، ففيه حروب مقدسة متصلة بين أبناء الديانتين ، وفيه انحصار لرقعة المسلمين على أرض الأندلس تدريجيا أمام المد المسيحي .

---

(1) — ابن الأحمر تشير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان . ص: 7 .
(2) — المصدر نفسه . ص: 39 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم كان اللجوء السياسي أيضا من بني مرين الى الأندلس ، والذي استشرى في أواسط القرن الثامن الهجري حين اضطرب حبل الدولة المرينية ، وكثر التشوف الى كرسي فاس ، وهو عبارة عن تضريب السلطان لمناوئه وابعادا له عنهم ، ولكن هذا التضريب كانت له نتائج وخيمة أدّت الى ضعف الدولة المرينية ، اذ ركبت عربة متجهة الى الانحدار ، لأنّ أبا عنان لما سرّح أخويه أبا الفضل وأبا سالم الى الأندلس تخلصا من تطوح شغبهما ، فادّهما تعاونا باشبيلية قشتالي عليه ، فهزم أبو عنان وعاد أبو سالم الى ملكه وفيه (1) .

ولم ينحصر هذا اللجوء السياسي في الأمراء لسلاطين وانما تجاوز الى الوزراء والكتاب والشعراء ، ومنهم لسان الدين بن الخطيب الذي ساهم في الحركة الأدبية عند بني مرين واسماعيل ابن يوسف بن الأحمر الذي قضى عشرة من حياته متنقلا في المغرب ، ومحمد بن محمد أبو عبد الله بن جزي حيث تولى الكتابة لدى الدولة المرينية (2) .

---

(1) — ابن الأحمر تشير فرائد الجمان ، ص: 40 .

(2) — المصدر نفسه . ص: 292 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا شك أنّ هذا الاتصال بين الأندلسيين والمغاربة أسفر عن وفود العلماء والكتاب والشعراء من الأندلس الى المغرب لأنّهم وجدوا من يرعاهم ويهتم بشأنهم من ملوك بني مرين ((فهذا أبو الحسن المريني يجتمع في بلاطه مئات العلماء والأدباء من الأندلس ، وهذا ابنه أبو عنان يخلف أباه ويفسح لهؤلاء الأندلسيين ، وهكذا أخوه سالم وغيره من الأبناء والأحفاد كلهم يسير على هذه الوتيرة لا يشذ منهم مسيطرا على الأندلس أو مسيطرة عليه)) (1)

ولا ريب كذلك أنّ تلك العلاقة السياسية تميزت بالتجاوب الأندلسي المغربي الذي أحدث حركة التأثير والتأثر في الأدب نثره وشعره ، فنتج عنها انتاج شعري غزير به ((التصنع والزخرف والتفنن والابداع)) و 2) ، وصور الواقع السياسي الذي عرفته الدولة المرينية ، منذ نشأتها الى تدهورها ثم انقراضها .

---

(1) ـ محمد بن تاويت ، الأدب المغربي ، ص: 205 .
(2) ـ المصدر نفسه ، ص: 203 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ الحياة الاجتماعية :

وأما عن الحياة الاجتماعية في عصر الدولة المرينية فيمكن أن توصف بحياة المجتمع البدوي ، وذلك أن أثر البداوة مازال مخيما على حياة بني مرين ، الاجتماعية ،(1) لأنهم نشأوا في البادية وترعرعوا على خشونتها وقساوة طبيعتها ، فكانت طبيعتهم وعاداتهم وتقاليدهم تصطدم بحياة النعيم ورقة الحضارة ومحاسن العمران ، ولكن هذا الاصطدام لم ينتج عنه فساد وفوضى ، وانما حاولوا التكيف مع هذه الحياة الجديدة ، وأقبلوا اليها في جميع الميادين ، لأنهم كانوا يهتمون بالعلوم والآداب والفنون ويدعمون الى حياة الاستقرار .

وتجسيدا للسياسة التي انتهجوها ، وهي محاولة تحقيق الوحدة التي كانت في عصر الموحدين اعتمدوا على العروبة والاسلام لتوطيد دعائم هذه الوحدة ،

---

(1) ـ بنو مرين ينتمون الى قبيلة زناتة البربرية كانت مساكنهم القفر الذي يمتد من فكيك (فيقيق) الى سجلماسة الى ملوية وربما يخطون في ظعنهم الى بلاد الزاب من افريقية . (ابن خلدون ، مج : 7 ، من كتاب العبر ، ص : 343 . دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ، بيروت ـ لبنان ، بتاريخ : 1983) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فوفضوا نسبهم الى مضر الذي يمجدون بنسب الرسول صلى الله عليه وسلم .. والبعض ينسبهم الى امير المومنين علي بن ابي طالب ، ووجدوا من شعراء العرب من يؤيدهم ويمدحهم ويسمونهم باصلهم المشترك (1) ، وهو عبيدة بن قيس السمقلي في قوله :

الا ايها السائلي لفرقة بيننا × توقف هداك الله سبل الاطايب
فاقسم انا والبرابرة اخوة × قمانا وهم جدودكريم المناصب
ابونا ابوهم قيس عيلان في الدرى × وفي حرمة يسقى فطيل المضارب
فنحن وهم ركن مفيح واخوة × على رغم اعداء الشام المضاعب
فان السبق سابقي الناس ناصرا × وبر لنا ركن مفيح المناكب
تعد لمن عادى شواذه ضمرا × وبيضاء تقد الهام يوم التضارب
وبر بن قيس عصبة مضرية × وفي الفرع من اعمامها والذوائب
وقيس قوام الدين في كل بلدة × وخير معد عند حفظ المناسب
وقيس لها المجد الذي يقتدي به × وقيس لها سيف حديد المضارب (2)

وقد حرص ملوك بني مرين على نسبهم العربي كل الحرص ، بمصاهرة القبائل العربية المقيمة في المغرب لتاكيد نسبهم العربي من جهة ، وكسب هذه القبائل من جهة اخرى .

---

(1) — مصطفى ابوضيف ، احمد عمر ، القبائل العربية في المغرب ، ص: 170 .
(2) — ابن خلدون ، العبر ، مج : 6 ق 1 ، ص: 137 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد تزوج عبد الحق بن محيو شريفة عربية من علي الشرفاء الحسينيين اسمها : ((سوط النساء)) ، وتزوج معظم الامراء المرينيين من النساء العربيات ، واستخدموا في الحجابة والكتابة رجالا من العرب (1)

ولم تقتصر هذه المصاهرة بين المرينيين والقبائل العربية المقيمة في المغرب فحسب ، بل امتدت الى الحفصيين ملوك تونس اذ نجد ابا الحسن المريني قد تزوج بمزونة اخت زوج فاطمة بنت ابي يحيى ابي بكر ، وقد هلكت بواقعة طريف بالاندلس سنة (740 هـ) (2) ، وقد اظهروا نسبهم العربي صراحة على لسان شعرائهم ، ومنهم الشاعر عبد العزيز الملزوزي الذي يقول قصيدة يبين فيها ان الذي تبدل في المرينيين هو الكلام ، وذلك بحكم مجاورة زناتة للعرب :

فجاورت زناتة العربا × فصيروا كلامهم كما ترى
بل فعلهم اربى على فعل العرب × في الخال والايثار ثم الادب
كذلك كانت قبلهم مرين × كلامهم كالدراذ يبين

---

(1) ـ مصطفى ابو ضيف ، احمد عمر . القبائل العربية في المغرب . ص: 170 .
(2) ـ محمد الهادي العامري . تاريخ المغرب في سبعة قرون ، ص: 95 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـاتـخـذوا سـواهـم خـلـيـلا × فـبـدّلـوا كـلا مـنـهـم تـبـديـلا (1)

ولا شـك أنّ الـسـيـاسـة الـتـي انـتـهـجـتـهـا الـدولـة الـعـربـيـة اسـتـغـلـت هـذه الـظـاهـرة الاجـتـمـاعـيـة الـتي تجلت في هـذه الـقـصـيـدة ، فـكـانـت وازعـا ضـروريـا لاكـتـسـاب الشرعية الـكـافـيـة في مـواجـهـة جـيـرانـهـا وأعـدائـهـا الـذيـن يقفون عـثـرة في طـريـق كـمّ شـعـث الأمـة وتـوحـيـدهـا في ظـل الـحـريـة والاسـلام الـذي تـسـعـى الـدولـة الـعـربـيـة الـيـه مـن جـهـة ، ولـيـكـون لـهـا أحـلاف مـن الـقـبـائـل الـعـربـيـة ومـن الـذيـن صـاهـروهـم مـن جـهـة أخـرى ، لـيـحـقـقـوا الـوحـدة الـتـي يـهـدفـون الـيـهـا الـمـؤسـسـة عـلـى الـحـريـة والاسـلام قـصـد اسـتـحـواذهـم عـلـى شـمـال افـريـقـيـة والأنـدلـس ، وتـرئـسـة أنـفـسـهـم مـن اغـتـصـابـهـم الـحـكـم مـن الـمـوحـديـن ، ولـكـنـهـم أخـطـأوا الـطـريـق في أنـهـم اعـتـمـدوا عـلـى الـقـوة والـعـنـف في سـبـيـل تـحـقـيـق تـلـك الأهـداف ، فـكـانـت الـحـروب الـمـسـفـرة عـن الانـتـصـارات تـارة وعـن الـهـزائـم تـارة أخـرى ، كـمـا كـان والاسـتـقـرار والأمـن والـسـلـم طـورا آخـر ، ومـن الانـتـصـارات كـانـت وفـرة الـغـنـائـم والـثـروات الـتي أدّت الى ازدهـار الـحـيـاة الاقـتـصـاديـة والـحـيـاة الاجـتـمـاعـيـة ،

---

(1) ـ ابـن ابـي زرع ، روض الـقـرطـاس ، ص: 200 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الاستقرار والأمن كان ازدهار الزراعة في حقول المغرب التي كانت تدرّ على أهلها نعما وخيرة تكفيهم وتزيد عن حاجتهم ، ورواج التجارة وفي الصناعة ، فارتفع المستوى الاقتصادي في المجتمع في عهد الثلاثي المريني : يوسف بن يعقوب ، وأبوسعيد عثمان، وأبو الحسن علي ، الذين حاولوا أن يعيدوا الى الأذهان أبهة الخلافة الأموية بالأندلس ، من قصورهم ومصانعهم وجيوشهم ، وحرصوا أن ينقلوا الحضارتين : المشرقية والأندلسية بفنونها وآدابها (1) وقد أدى هذا الحرص الى توافد العلماء والكتاب والشعراء البارزين ليعلموا في بلاط بني مرين مثل : ابن خلدون وابن الخطيب ، وابن مرزوق ، وابن زمرك وغيرهم .

ومن هذا الحرص تتجلى عناية سلاطين بني مرين بالعلم والعلماء حتى انتشره بين الناس، فأنشأوا المعاهد وبنوا المدارس و ((صرفوا عنايتهم الى جامع القرويين فرمموه على شكله الموجود عليه الآن)) (2) وبنوا المدينة البيضاء في أواخر القرن السابع الهجري ، وزينوها بالقصور والمساجد والقباطر والقلاع .

---

(1) — محمد بن تاويت ، الأدب المغربي ، ص : 200 .
(2) — عثمان الكعاك ، المراكز الثقافية ص: 60

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((وبنوا المدارس في فاس وعامة المغرب ، واهتموا بزخرفتها بالقشاني ذي البريق المعدني المختلف الألوان والنقش العربي البديع على الجص المعروف بالتوريق)) (1) .

ولا شك أن هذه الأعمال دفعت أحد الباحثين الى القول : ((والمرينيون هم سباق هذه الحلبة الذين خلّفوا لنا أكبر عدد من المدارس المتقنة الصنع ، المحكمة الوضع لا حول القرويين فقط ، بل في جميع أنحاء المغرب ... ويذكر بالخصوص (مدرسة العطارين التي بناها السلطان أبو سعيد عثمان ومدرسة أبي عنان اللتين تعدان قطعتين خالدتين من فن العمارة والنقش والتخويم والتزويق المغربي)) (2) .

وهناك ما يدل على حياة الترف والتسلية في المجتمع المغربي ابان الدولة المرينية ، وهو أن سلاطينها كانوا مولعين بحفلات ((مقتل الأسود)) التي كانت تقام في المناسبات أو غيرها فوصفها الشعراء في قصائد المدح ،

---

(1) — عثمان الكعاك ، المواكز الثقافية ، ص: 60

(2) — عبد الله كنون ، التاشيب ، مط المهدية تطوان ، ص: 89و90 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذ يصف ابن الأحمر الأمير أبا فارس عبد العزيز أحمد بن سالم في روضة النسرين قائلا : ((كان فارسا عارفا بركض الخيل)) (1)

وهذا ما يؤكد رخاء المجتمع المغربي في العصر المريني وازدهاره ، الا أن اشتغال المرينيين بالحروب والمعارك في المغرب والأندلس ، وتفشي روح الطمع وكثرة التنافس ، وشيوع التطلع الى الخلبة والسيطرة ، ثم استبداد الوزراء بالسلاطين الذي يتمثل في استبدادهم وتشريدهم وقتلهم ، ثم تدخل بني الأحمر في شؤون الدولة المرينية بنفوذهم على المغرب ، جعل جنود الدولة تتعثر ، ولم تستفد منها الحضارة والعمران الا اليسير بالمقارنة الى الامكانات المادية التي كانت موجودة لدى الدولة المرينية ، فنتج عن كل هذه العوامل ضياع آمال بني مرين في تحقيق وحدة المغرب العربي الاسلامي ، بل حدث انقسام في هيئة الدولة نفسها بانفصال الوطاسيين عن الحكم ليكونوا دولة أخرى في شمال مراكش ، وبهذا انشطرت الدولة المرينية الى شطر فاسي وشطر مراكشي .

---

(1) ـ ابن الأحمر ، روضة النسرين ، ص : 39 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثل الشاعر أحمد بن يحيى بن عبد المنان الذي مدح أبا عنان فارس المريني ، ووصف مقتل الأسد بين يديه في القصر القديم بالمدينة البيضاء قرب فاس فقال :

ملك نمته الى المكارم عصبة × كرمت أواصرهم وعزوا ملتمى
ورث المحالي عن علي المجد عن × عثمان عن يعقوب أعلام الهدى
كم من جواد راجيا أولى الغنى × عفوا ولا كأبي عنان مرتجى
ولكم يرى يوم الوغى من فارس × وكفارس يوم الوغى ما ان يرى
ذلت لبطشه الأسود وأسلمت × لتذل اذعانا لبطشته الطلا
وضبارم رحب اللبان تقلله × صهب متين خلقهما عبل الشوا
يفتر عن ناب كأطراف القنا × أبيض ويبضو مخلبا حد الشبا
فتكت به بالقصر سمر رماحه × بأكف أسد ، وخضت أسد الشرى
أمسى صريعا والدماء شلالة × أشواه سكرا مال من تلك الطلا
وثنى على زأرته كشحا وقد × كانت يردد هما فرادى وثنى
لكن ألسنة القواضب طهرت × ما أثمرت جلباه من سر الحشا
ولقد رماه قبل مصرعه الردى × من مقصلات مكابديه بمارمى (1)

كما كانوا مولعين أيضا بحفلات الفروسية ومهتمين بالخيل ،

---

(1) — ابن الأحمر ، روضة النسرين ، ص: 39 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انعكس هذا الانقسام على المجتمع الذي استشرى على مدن المغرب ، ولم يستطع أمراء المغرب أن يردوا خطره .

اذن كل هذه النكبات والأحداث تأثر بها المجتمع المغربي فتضعضع المركز الدولي والاجتماعي لهذه الدولة .

ـ الحياة الدينية :

لقد ظلت الروح الدينية الاسلامية ايمانا وعملا سائدة على واقع المجتمع المغربي في العصر المريني المتأثر بالنكبات المتكررة، وازدات قوة منذ ظهور هذه الدولة الى المسرح السياسي ، بالرغم من انها لم تقم على دعوة دينية ، وكان مصدر تلك القوة الدينية السائدة من سلاطين بني مرين الذين كانوا يهتمون بالعلم والعلماء والفقه والفقهاء ، ويشجعون من يتفقه في الشريعة الاسلامية ، حيث كانت للفقيه مكانة عالية بين جمهرة الناس ولم يكن الاهتمام والتشجيع وحدهما كفيلين بسيادة الدين الاسلامي فحسب ، بل نجد من سلاطين بني مرين من كان يناظر العلماء والفقهاء في كثير من الأمور الفقهية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثل الأمير ابن عثمان فارس الذي وصفه ابن الأحمر في روضة النسرين بأنه : ((كان حسن الثقافة وكان فقيها بنا ظر العلماء الجلة، فيصيب ويخطئهم، ومعرفته بالفقه تامة)) (1) .

ثم ادراك الناس لمصيرهم المرتبط بمصير الاسلام في الاندلس، والذي يعني أن بقاء الاسلام بقاءهم وزواله زوالهم ، أدى بهم الى الحرص على الاسلام، ولذا كان هدف الدولة المرينية هو حماية الاسلام والدفاع عن المسلمين ، ثم أن سيادة المذهب المالكي في المجتمع المغربي جنب المراعاة التي تجعل الناس يختلفون في اتباع المذاهب ، لأن الاختلاف في المذاهب يجعل أصحابها في نوع من تعصب كل للمذهب الذي ارتضاه ، والتعصب يؤدي الى الصراعات التي ربما تسفر عن انقسام الناس الى فئات دينية مختلفة المفاهيم للدين ، وربما البعض منها تفترفيها الروح الدينية ، فتنحرف عن الطريق السليم ،

---

(1) ـ ابن الأحمر ، روضة النسرين ، ص : 27 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن هذا الاختلاف لم يكن في العصر المريني تراعيا كان الاسلام دعامة من دعائم الوحدة التي تسعى الى تحقيقها الدولة المرينية ، ولهذا فان كل هذه العوامل جعلت الدولة تعتني بالعلماء والفقهاء وطلاب العلوم والآداب ، وتعتني بالمساجد وتأثيثها واصلاحها وترتيب القائمين عليها ، اذ أمر أبو عنان فارس بأن يجعل بأعلى الصومعة من القرويين بفاس صارة (1) ويشرفيه علم أبيض في أوقات صلاة النهار وفنار (2) فيه سراج زاهر لأوقات صلاة الليل ليستدل بذلك من بعد عن المدينة ولم يسمح المدادي في هذا قيل : سر به علم الايمان مرتفع × للمهتدين به للحق ارشاد

(1) ـ الصارة عمود يقام في السفينة يشد عليه الشراع ، والجمع صوار ، هكذا في المعجم الوسيط ، دار المعارف بمصر : 1972 ، ج : 1 ، ط : 2 ، ص : 514 ، وكذلك (السارية) بالسين ، عمود يستعمل كقائم للعلم ، المرجع نفسه ، ج : 1 ، ص : 433

(2) ـ الفنار : مصباح قوي الضوء ينصب على سارية عالية أو شبه برج مرتفع لارشاد السفن في البحار والمحيطات الى طرق السير وتجنب مواطن الخطر ، وهو معرب (البارمحرفا) ، المعجم الوسيط ، دار المعارف بمصر ، 1973 ، ط : 2 ، ج : 2 ، ص : 703 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يأتون من كل صوب نحوه فلهم × لديه للرشد اصدار وايراد (1)

ونتيجة لهذه العناية والاهتمام بالدين الاسلامي أزدهرت الدراسات الشرعية ، فبرز أعلام لا يكبو جوادهم في الميدان ، حيث مازال نجمهم زاهرا منذ ذلك الزمان في الفقه والحديث والتفسير والتصوف ، ومن هؤلاء الأعلام الذين اشتهروا في الفقه ابو الحسن الصغير المتوفى سنة : (719 هـ) ، الذي ألف مجموعة من الكتب منها : (مجموعة الدر النثير) في الفقه ، ومن الذين اشتهروا في التفسير والحديث : ابن رشيد السبتي المتوفى سنة : (2) (721 هـ) ، الذي ألف : (افادة النصيح بالتعريف باسناد الجامع الصحيح) ، ومن الذين اشتهروا في التصوف :ابن الحاج المتوفى سنة :(717 هـ) ، الذي ألف (المدخل) في التصوف ، فكان من أعلام المئة وأحد المتصوفين الذين منهم : زروق الفاسي المتوفى سنة :(899 هـ) ، الذي هو أحد كبار الفقهاء والصوفية المشهورين في العالم الاسلامي آنذاك ، من مؤلفاته في التصوف (الكناش) الذي يتحدث فيه عن أصول الحقيقة والطريقة بالاضافة الى الشروح الموجزة على تآليف في الفقه والحديث والتصوف

---

(1) ـ السلاوي ، الاستقصا : ج : 3 ، ص: 206، 207 .

(2) ـ ابن رشيد السبتي ، ملء العيبة ، ت : محمد الحبيب بن الخوجة : ج : 2 ، ص: 25

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما شاع في هذا العصر في المجتمع المريني المغربي الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، وكانت هذه العادة قد انتقلت من الشرق الى المغرب ، فمنهم أسرة العزفيين في سبتة ، ومنهم أبو العباس العزفي(1) الذي ألف (الدر المنتظم في مدح النبي المعظم) ، ومن شعره في مدح النبي سيد الخلق قوله :

أهل الحديث عصابة الحق × فازوا بدعوة سيد الخلق
فوجوههم زهر مضيئة × لا لا وهما كتعالق البرق
باليمن منهم فيدركني × ما أدركوه بسهما من السبق (2)

وقد استمد معنى هذه الأبيات من دعاء الرسول — صلى الله عليه وسلم — لحملة علم الحديث الذي يقول : ((نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها)) (3) حديث شريف ، اذ يتبين من هذا الحديث ان طالب الحديث والتفقه فيه وتبليغه للناس تكون على وجهه نضرة ، واليها اشار الشاعر في أبياته السابقة ، وهذا ترغيب من الشاعر الذي يتمنى أن يكون واحدا من أهل الحديث ،

---

(1) — المقري ، ازهار الرياض ج : 1 ، ص: 39 ،
(2) — المقري ، نفح الطيب ، ج : 2 ، ص: 36 ،
(3) —

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصد التفقه في الدين وتعليمه لغيره حتى ينال قصب السبق في ثواب الله ، ومن هنا نستدل بأن المدح للرسول آنذاك لم يكن لغرض المدح فقط وانما حث للناس قصد التعمق في فهم الدين الاسلامي والاقتداء بالفعال النبوية المحمدية ، لتضرب جذور الدين عميقا في المجتمع فتصور التربية الاسلامية بالخصب والنماء ، فتفور القلوب بالفضائل الحميدة ، فتسمو في سماء السعادة .

وقد ازدادت العناية والاهتمام بالمناسبات الدينية بعد الدولة المرينية ، فكثرت القصائد الدينية في مدح الرسول وخصوصا في مناسبة الاحتفال بمولده (صلى الله عليه وسلم) .

— الحياة الثقافية :

وأما الحياة الثقافية في عصر الدولة المرينية فانها ازدهرت وبلغت الأوج ، لوجود عوامل شجعت على سيرها ورقيها الى الذروة في هذا العصر ، وذلك بفضل ما توفر في المغرب من الأمن والاستقرار والرخاء في عهد الثلاثي : المريني وهم : يوسف بن يعقوب ، وأبو سعيد عثمان ، وأبو الحسن علي ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعموما كان ملوك وأمراء الدولة المرينية يحرصون على العلم والأدب والفن ، ويهتمون بالعلماء والأدباء والفنانين ، اذ ((اشتهر ملوك هذه الدولة المرينية بنصرة العلم والأخذ بيد العلماء ، فان مجالسهم كانت لا تخلو من طائفة كبيرة منهم ، وفيهم من كان لا يستغني عنهم حضرا ولا سفرا كالسلطان أبي الحسن الذي لما وفد على تونس في حملته استصحب معه اثر بحمائة عالم من علماء المغرب للبحث والاطلاع والتصوف)) (1) وكالسلطان ابي عنان بن ابي الحسن الذي كان عهده يتصف باستبحار الحضارة واتساع العلم وارتقاء الثقافة ، ويكفيه أن ابن خلدون فضل أن ينزل عنده لمصابيح تونس .

هذا ، وقد كانت ((خزائنهم مملوءة بمختلف الموءلفات النفيسة في شتى أنواع الفنون ، ولم يكن ليشغلهم عن جلب الكتب الى المدارس والمساجد وتوزيعها على المعاهد العلمية شيء ، بل وحتى في أحرج المواقف وأشدها فان عنايتهم دائما وأبدا مصروفة الى العلم ، فما أنت ترى أبا يوسف يعقوب المريني كيف اشترط على ملك الاسبان : (سانشو الرابع) في معاهدة الصلح التي عقدها معه :

---

(1) ـ الجيلالي عبدالرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، ج : 2 ، ص: 101 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن يعيد اليه جميع المخطوطات العربية التي حازها أيام استيلائه على قرطبة واشبيلية ، فبعث اليه : (بالشيء المذكور بثلاثة عشر حملا من الكتب ، فتصفحها أبو يوسف ووزعها بين خزائن مساجد المغرب ، وكان رحمه الله يعد ذلك في نفسه انتصارا عظيما يفتخر به ، وانه لا يقل عن انتصاراته العظيمة في الحروب والغزوات)) (1) .

ومن خزائن الكتب ، الخزانة التي أسسها أبو عنان فارس المريني الذي أودع فيها : ((من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأبدان والأديان واللسان والأذهان وغير ذلك من العلوم على اختلافها ، وتنوع فنونها وأجناسها ووقفها ابتغاء الزلفى ووجاه ثواب الله الأوفى ، وعين لها قيما لضبطها ومداولة مافيها وتسهيلها لمن له رغبة وأجرى له على ذلك جراية مؤيدة تكومة وعنايه ، وذلك في جمادى الأولى سنة : (750 هـ) (2) .

ولم تقتصر جهود ملوك الدولة المرينية على العناية بالكتب والمكتبات والتشجيع للعلماء والأدباء فحسب ،

---

(1) — الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، ج : 2 ، ص: 101 .

(2) — أبو الحسن علي الجزنائي ، كتاب زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، ص: 69 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واسما كان لهم القدح المعلى في بناء المدارس والاستكثار منها في عهد أبي سعيد عثمان وأبي الحسن علي وابن عنان فارس، وجروا بعد بناء المدرسة على عادة ترتيب امام ومؤذنين وقومة يقومون بأمورها، وترتيب الفقهاء لتدريس العلم، واجراء المرتبات والصوف فوق الكفاية وشراء عدة املاك ووقفها عليها، كما شاركوا هم انفسهم في الميدان الثقافي خصوصا الفقه والأدب، اذ كان منهم من له اطلاع واسع في الفقه ومتضلع فيه مثل: ابي عنان فارس الذي كانت معرفته بالفقه تامة، وكان له نصيب من الشعر كأبيه ابي الحسن علي، وأبي سالم الذي كان هو الآخر يقرض الشعر ويحب سماعه، مما يدل على التذوق الشعري الذي توفر لدى ملوك الدولة المرينية الى جانب قولهم الشعر.

ومن العوامل التي ساعدت على الازدهار الثقافي أيضا هي استمرارية الاتصال الذي توثق وتعمق بين المغرب والأندلس بسبب العهد المريني اذ وجد كثيرا من العلماء والفقهاء والكتاب والشعراء انتقلوا من الأندلس الى المغرب،

---

(1) السلاوي، الاستقصا، ج : 3 ، ص: 111، 112 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعملوا في بلاط الدولة المرينية خصوصا في بلاط ابي عنان فارس الذي كان عهده عهدا استبحرت فيه الحضارة واتسع العلم وعم العمران وارتقت الثقافة .

ومن هؤلاء الأعلام الأندلسيين الذين كتبوا لدى السلاطين المرينيين : ابن جزي الكلبي الغرناطي الذي خدم السلطان ابا عنان المريني ، وأبو القاسم ابراهيم ابن عبد الله بن ابراهيم الكناني المشهور بابن الحاج ، وابن زمرك الغرناطي الذي كتب عن ابي سالم وغيرهم كثير .

وكان لهؤلاء الأعلام اثر كبير في الحياة الثقافية في عهد المرينيين ، توّجه لسان الدين ابن الخطيب الذي زار المغرب سنة : (752 هـ) موفدا من قبل يوسف بن الأحمر الى بلاط عنان فارس معزيا اياه في أبيه ابي الحسن علي ، ثم موفدا سنة : (755 هـ) من قبل محمد بن يوسف مستنجدا ابا عنان على الطاغية ملك قشتالة (1) .

---

(1) ـ محمد بن تاويت ، الأدب المغربي ، ص : 232 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان لسان الدين بن الخطيب قد نهل من منابع المعرفة في المغرب في صدر حياته عن أبي القاسم السبتي المشهور بالشريف الغرناطي الذي انتقل الى غرناطة حيث تولى منصب القضاء فيها في بني الأحمر وقد قال عنه ابن الخطيب ((قدم على الحضرة في دولة الخامس من ملوك بني نصر ... يفقه علما باللسان ، ومعرفة بمواقع البيان ... فسهل له كشف البهم ونظمه في قلادة كتاب الانشاء)) (1) .

ومن أبي القاسم هذا ، كانت بذور معرفية في ثقافة لسان الدين بن الخطيب ، اذ لما وفد على أبي سالم بن أبي الحسن المريني من أبي القاسم السبتي وملك غرناطة الغني بالله محمد بن أبي الحاج أنشده قصيدة قال فيها :

(سلا) هل لديهما من مخبرة ذكر × وهل أعشب الوادي ونم به الزهر
وهل باكر الوسمي دارا على اللوى × عفت آيها الا التوهم والسذكر
بلادي التي حاطيت مشمولة الهوى × بأكنافها والعيش فينا ن مخضر
وحبوى الذي ربي جناحي وكنوه × فها أنذا مالي جناح ولا وكر (2)

---

(1) — ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج: 2 ص : 123
(2) — ابن الخطيب ، اللمعة البدرية ، ص: 122 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وان كان لسان الدين في هذه القصيدة يمدح أبا سالم المريني الذي لقيه بالحنان ولوقه بالنعم المضاعفة لما أفلت من شوك النكبة التي استأصلت المال واوهمت سوء المحال في الأندلس، فهي تدل على تأثره بالثقافة المغربية التي تحول من منابعها على يد أبي القاسم السبتي، مما جعله يعشق المغرب ويعجب بجماله الساحر، كما تدل على ازدهار الحركة الشعرية آنذاك، لانه استهل نزوله في المغرب بقول الشعر ذي المستوى الفني الرائع الذي يدل كذلك على مستوى الحياة الثقافية في المغرب عموما وقد لدى سلاطين الدولة المرينية، ((ثم صار يجوب البلاد من أقصاها الى أقصاها ويخاطب رجالها بالقصائد والرسائل، ويناجي معاهدها وآجامها ويصف فيها حتى بواغيثها، مما كان له أثر قوي في بعث همم أدبائها الذين كانوا كثيرا ما يطارحونه بالشعر ويجاوبونه بقصائد هي أشعارهم، كما كان يأخذ بمراجعة رسائله، بل كان لا يقطع تشبيه بهؤلاء حتى وهو بالاندلس لانه سحر بالمغرب،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتأثر بجماله ، وامتد بصره الى خيراته ، وتاقت نفسه الى التنعم بنعم ملوكه ورجاله ، فكان يبعث بقصائده وأشعاره الى الى هؤلاء جميعا))(1) ، وقد كان لحركة ابن الخطيب هذه أثر في الشعر المغربي وقتئذ تردد صداه في فاس ومكناس وسلا ومراكش وغيرها هذه المدن ،

وأما العلوم التي كان القدح المعلى والنصيب الأوفى في عصر الدولة المرينية ، فهي العلوم الدينية والعلوم اللغوية ، وهذا راجع الى تعلق المغاربة الشديد بالاسلام الذي يبعثهم الى التبحر في ميادينه المختلفة ، ويحثهم على طلب العلم وتحصيل أنواع المعارف ، بالاضافة الى مكانة العالم في العلوم الدينية حيث كان له الاحترام والتقدير ، وله نفوذ بين الحكام وبين الناس ، مما حفز بالمغاربة الى التفقه في المسائل الدينية ، التي تدعمت كذلك بطريقة التعليم التي كانت تعتمد التركيز على حفظ القرآن ، والعناية بتعلمه دون أن يخلط المتعلمون ذلك بسواه من المواد الأخرى كالحديث والفقه والأدب وقد ذكر ابن خلدون سير التعليم بالمغرب مبينا الطريقة التي كان ينتهجها ،

---

(1) ـ محمد بن تاويت ، الأدب المغربي ، ص : 232 ، 233 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال :((فأما أهل المغرب فمذهبهم في البلدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط واخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام المغرب الى أن يضدق فيه أو ينقطع درسه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة)) (1) .

وأما الطريقة التي كانت سائدة في التعليم فهي الطريقة الالقائية التلقينية ، اذ تجد طلبة العلم يلازمون المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم . (2)

ولكن ليس معنى هذا أنه لم يكن هناك علماء في الفقه والحديث والتفسير ، وانما كان التركيز على حفظ القرآن وحفظ الأصول والمختصرات والشروح أكثر من النقد والتحليل .

---

(1) ـ ابن خلدون ، العبر ، مج : 1 ، القسم الثاني ، ص: 1033 .
(2) ـ المصدر نفسه ، ص : 773 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد بحث علماء فرقا كيف يسلكون طرق التحصيل ودروب سلكه ، فكان من هؤلاء العلماء الذين نبغوا في العلوم الدينية في المغرب: أبو الحسن الصغير الذي هو أشهر فقهاء عصره حيث كان قاضيا بتازا في عهد أبي يعقوب المريني ، وهو الذي ألف ((مجموعة السوالتيلي في اللوازم والأحكام)) وأبو عبد الله الشريف التلمساني الذي كان في مجلس أبي عنان المريني العلمي ، ومن تآليفه : ((مفتاح الوصول في علم الأصول)) ، وأبو العباس أحمد بن القاسم الفاسي المعروف بالقباب الذي له : ((شرح قواعد القاضي عياض)) وغيرهم هؤلاء العلماء كثير .

وعلاوة على العلوم اللغوية آلة العلوم الدينية وغيرها من أنواع المعرفة، فإننا نجد ظهور كثير من العلماء في النحو واللغة كابن آجروم وابن هاني السبتي والمكودي وغيرهم .

وأما العلوم الطبيعية والكونية فإنها ازدهرت في العصر المريني الذي كان ((من أكثر العصور تسامحا ، ولذلك تقدمت فيه العلوم وكثر المشتغلون بها بين المغاربة أنفسهم بشكل لم يسبق له مثيل)) (1)

---

(1) — كنون عبد الله ، ذكريات مشاهير رجال المغرب ، الجذ : 16ص : 22

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وان لم يشجع سلاطين بني مرين هذه الأنواع من العلوم كثيرا كما شجعها الموحدون من قبل ، خصوصا في عهد يعقوب المنصور الموحدي : (580 — 595 هـ)[1] فقد نبغ علماء فيها مثل : ابن البناء العددي المراكشي في الرياضيات والفلك ، وأبو العباس الجزنائي في الكيمياء والطب الذي كان أوفر حظا من الاهتمام في العصر المريني بحيث لم يقتصر البروز فيه عن الرجال ، بل النساء ومنهن عائشة بنت الجيار المحتسب التي كانت عارفة بالطب والعقاقير . [2]

وأما فيما يخص العلوم الاجتماعية فقد عرف بعضها ازدهارا في أوساط محدودة كالفلسفة التي لم تزدهر في العصر المريني لأنه عصر اختلفت فيه المراعات المذهبية واستمر المذهب المالكي في السيادة لأنه الأثير لدى الشعب المغربي ، فاشتغل الناس به لأنهم وجدوا تسامحا قد أخله حكام الدول الثلاثة التي أسفرت عن زوال دولة الموحدين محل عدم التسامح الديني الذي سار عليه الموحدون ،

---

(1) — كنون عبد الله ، النبوغ المغربي ، ج : 1 . ص : 198 .

(2) — المصدر نفسه ، ص : 215 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأعاد والاسلام السني على مذهب مالك ، ثم ان هؤلاء الحكام لم يقاوموا أهل الفلسفة ولم يشجعوهم ، غير أن المقاومة كانت من رجال الدين الفقهاء ، الذين تركز في أذهانهم أنّ الفلسفة سبب من أسباب الالحاد .

ولكن اذا كان المذهب السني الذي ساد بلاد المغرب عارض الفلسفة وقاومها أحيانا وأخذ منها مايساعده على الدفاع في العقيدة أحيانا أخرى ، فانّ طبيعة الفلسفة ذاتها تجعلها في منأى عن الجماهير، اذ لم تجد حركة شعبية تؤازرها قوة سياسية ، ثم انّ اثر المقاومة التي تعرضت لها الفلسفة قبل عصر الدولة المرينية مازال له صدى في المجتمع عصرئذ ، بالاضافة الى أنّ الاشتغال بالفلسفة يتم في ظل الأمن والاستقرار أكثر ، والعصر المريني لم يعرف من الهدوء الا فترات قليلة من الزمن ، متموجة المراحل ، كما يمكن أن نقول : انّ في هذا العصر عرفت الأندلس انحصارا لرقعة المسلمين ، مما جعل كثيرا من المشتغلين بالفلسفة يهجرون الاندلس ولذا ضعفت الروافد التي كان ينهل منها المغرب في هذا الميدان ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالاضافة لعوامل التعليم في المدارس المغربية آنذاك الذي كان يركز على الدراسات الدينية دون الفلسفة .

ولكن هذا لا يعني انعدام المشتغلين بالفلسفة بتاتا في العصر المريني ، وانما وجد من اعتنى بالعلوم الفلسفية كالجزنائي الفاسي .

ومن العلوم الاجتماعية التي ازدهرت وكان لها المجال الواسع هي التاريخ والجغرافيا والرحلات لما لذلك من اتصال بالحياة السياسية والاقتصادية والثقافية ، لأن العصر المريني تميز بهجرات متصلة الحلقات من الاندلس ، ومنها الى المشرق قصد الحج أو مآرب علمية وثقافية ، كما أن الناس كانت ترغب في التعرف على الانساب والأخبار والسير ، ولذا ازدهر التاريخ وبرز مؤرخون أفذاذ امثال : ابن أبي زرع الفاسي صاحب كتاب : ((الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس)) ، وابن خلدون صاحب كتاب : ((العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)) وغيرهم . وأما في الرحلات فقد برز فيها : ابن رشيد السبتي صاحب : ((ملء العيبة فيما يخص بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين الى مكة وطيبة)) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك ابن بطوطة المطنجي صاحب ((تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)) ، وقد بلغت العناية والاهتمام بالتاريخ والرحلات الى أن أصبح الشعر يتناول الموضوعات التاريخية ويسرد الأحداث والأخبار والسير ، فبرزت المنظومات الأخبارية والأراجيز التاريخية تمثلت في شعر عبد العزيز الملزوزي وغيره من الشعراء .

كما كانت الرحلات والاغتراب من موضوعاته التي تناولهما وحث عليهما وبين فضلهما على المرء كقول ابن رشيد السبتي :

تغرب ولا تحفل لفرقة موطن × تفز بالمنى من كل ماشئت من حاج

فلولا اغتراب المسك ما حل مفرقا × ولولا اغتراب الدرّ لم يحظ بالتاج (1)

كما استعان به الرحالة في وصف البلدان التي مرّ بها وأبرز به ما تتميز به تلك البلدان من جمال طبيعي أو ما فيها من عادات وتقاليد ، كما كان وسيلة من وسائل تبادل الحديث في الموضوعات المختلفة وبث الأفكار ونشر العلم .

ونستنتج من هذا العرض للحياة السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية أن الدولة المرينية قامت بدور كبير وفعال في استمرار بقاء الاسلام فحمى الأندلس لمدة من الزمن ، وحماية المسلمين فيها من الزحف الاسباني .

---

(1) ـ كنون عبدالله ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص : 309 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث تمكن بعض المسلمين بها من ركوب سفينة النجاة الى شاطىء الأمن في ظل الدولة المرينية التي كانت الملجأ عدة الخلفية التي يستزود منها المسلمون لضرب النصارى في الأندلس، وقد كانت الدولة المرينية تتمتع بقوة أسطول بحري به عظمت شوكتهم بالبحر، ولا سيما في عهد ابي الحسن الذي كانت : ((أساطيله ... عند مرامه الجهاد مثل عدة النصرانية وعديدهم)) (1)

كما كانت تتمتع بجيش مدجج بالسلاح استعمل البارود و هدام النفط القاذف قبل غيره من جيوش الدول المعاصرة له في المغرب ، قصد الدفاع عن الوطن والدين في ظل الوحدة التي سعت اليها الدولة المرينية ، فدعمتها بالتركيز على الحرية والاسلام الذي ساهمت في نشر علومه ببناء المدارس والتعليم فيها مجانا ،

---

(1) - ابن خلدون ، المقدمة ، م : 1 . ص : 454 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتـرمـيـم المـسـاجـد ، وجـلـب الـيـهـا الكـتـب مـن كـل مـصـدر ، فـاسـتـرجـعـت مـن الـتـراث الـعـربـي مـا كـان سـيـضـيـع لـولا هـا ، كـالـكـتـب الـتـي اسـتـولـى عـلـيـهـا الأسـبـان فـي قـرطـبـة والأشـبـيـلـيـة ، واضـافـت مـن الـعـمـران مـا يـدل عـلـى الـحـضـارة الـتـي كـانـت تـتـمـيـز بـهـا مـنـطـقـة الـمـغـرب الـعـربـي ، والـتـي مـازالـت آثـارهـا مـاثـلـة الـى الـيـوم فـي كـل مـن : الـجـزائـر والـمـغـرب الأقـصـى ، ومـا كـان مـن الـشـعـر الا الـتـعـبـيـر عـن الـدور الـذي قـامـت بـه خـلال عـهـدها ومـسـايـرة لـمـراحـل ذلـك الـدور الـعـظـيـم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني
الشعر والعصر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

الشعر والمجتمع :

من يتناول الشعر المغربي في العصر المريني بالبحث والدراسة يكتشف أنه سار على النهج التقليدي المحافظ الذي جرى عليه الشعر العربي لقديم في معالجة الموضوعات المختلفة ، ومن هنا يعتقد أنّه لم يرتبط بواقع المغاربة وهو اعتقاد لا ينفي حقيقته ، لكن طبيعة العصر السياسية والاجتماعية والثقافية كانت تتطلب ذلك النهج التقليدي العربي في معالجة الموضوعات .

وهذا يعني أنّ الشعر كان مرآة العصر التي انعكست عليها مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ، ومظاهر الطبيعة الجامدة والمتحركة، فكانت ملامحها متمثلة في هذا الشعر الذي هو واكب أحداث العصر المريني ، على اختلاف مستوياتها وتنوعها ، اذ سجل المراحل التاريخية التي مرت بها الدولة المرينية على مراكش منذ : (668 هـ / 1269م) الى مرحلة انهيارها ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فصور كل الحواصل التي كانت تقوى بها الدولة وكل الحواصل التي فصفصت بها ، ومن خلال تلك المراحل تجسد التطور الذي سارت فيه الحركة الشعرية .

ومن تلك الأحداث التي سجلها هذا الشعر هي تاريخية لقدوم بني مرين الى المغرب ، ويحدد هذا التاريخ قول الشاعر عبد العزيز الملزوزي :

في عام عشرة وستمائة × أتوا الى المغرب من البرية
جاءوا من الصحراء والسباسب × على ظهور الخيل والنجائب
كمثل ماقد دخل الملثمون × من قبل ذا وهم له مسمون (1)

اذ تكشف لنا هذه الأبيات أن بيئة بني مرين الأولى كانت بدوية في المظهر والجوهر ، حيث كانت الصحراء موطنهم ، والخيل والنوق وسائل تنقلهم ، قبل أن ينتقلوا من الى مركز الحضارة والتمدن في المغرب .

ومعنى هذا أن هذه البيئة البدوية الأولى تضاهي البيئة البدوية العربية ، لأن عادات تنقلهم وتقاليدهم كانت عربية الأصل تأثروا بالبيئة من جديد .

---

(1) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص : 217 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنهم اعتبروا أنفسهم يدافعون عن الحرب من جهة أخرى ، فوفدوا بسببهم الى قبيلة مضر العربية حيث يعتصمون بنسب الرسول صلى الله عليه وسلم ، غير أن هذا النسب المضري القصد منه هو أن يكتسب المرينيون به الشرعية في اعتلاء كرسي الحكم ، ويتمرأوا من أخذهم الحكم من الموحدين بالقوة ، وحتى أن ينفوا عن أنفسهم كذلك اغتصاب الحكم ، اعتبروا أنفسهم وارثي الحكم عن الموحدين ، مما جعل أحد الشعراء يذكر نسبهم الذي ينتمي الى مضر فقال .

فبنو مرين من بني مضر الألى × نصبوا مدار الحق والاحكاما
من قيس عيلان الذين بهديهم× شدت على التقوى عرى الاسلام
المحمدون بجدهم وبوفهم × في الحرب حدة عبدة الاصنام (1)

وان كانت هذه الأبيات تبين أن المرينيين رفعوا نسبهم الى مضر ، فانها تبين أيضا تمسكهم الشديد بالدين الاسلامي ، وأنهم يتصفون بالشجاعة والبطولة في الحروب ، والأخلاق الفاضلة والكرم والشرف .

---

(1) المؤلف مجهول ، الذخيرة السنية ، ت : محمد بن ابي شنب ص : 23 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الصفات عبر عنها شعر الملوك والأمراء العربيين ، منه أبيات للأمير أبي الحسن علي المريني يفتخر فيها بالتقوى والورع والكرم والشجاعة في قوله :

أرضي الله في سري وجهري × وأحمي العرض من دنس وعار
وأعطي الوفر من مالي اختيارا × وأضرب بالسيوف على الرقاب (1)

وكذلك الأمير الشاعر أبو مالك عبد الواحد بن محمد يفتخر بتلك الصفات أيضا في قوله :

أجود بمالي لكل الصفاة × وأقتحم الهول في المضلات
أقود الجيوش وأعلى الحروب × وأقتطف السهم بالمرهفات
وأحمي ثغوري أن تنتهك × وأغزو لصعب أرض الصفاة (2)

ومن هنا تعددت قصائد الفخر والحماسة والمدح والتهنئة ووصف الحروب والمعارك مفعمة بتلك الصفات التي تحلى بها أمراء الدولة المرينية، بحيث تكاد تكون المدائح التي سجلت اليها أو بالأحرى التي تجسدها أمراء الدولة المرينية في الميدان بالدفاع عن الاسلام فكثرت الحروب والمعارك والغزوات ، فكانت هي الموضوعات التي فرضت نفسها على الشعر فواكبها وصور أحداثها ووضح أهدافها في قصائد عديدة ،

(1) ـ ابن الأحمر ، روضة النسرين ، ص : 26 .
(2) ـ عبدالله كنون ، أمراؤنا الشعراء ، ص : 38 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مطلعها هذه القصيدة التي تصور انتصار المرينيين نظمها الشاعر مالك بن المرحل حيث مدح وهنأ بها يعقوب المنصور المريني بعد دخول مراكش اذ يقول فيها :

فتح تبسمت الاقحوان عنه فما × رأيت أملح منه مبسما وفما
فتح كما فتح البستان زهرته × ورجع الطايرفي أفنانه نغما
فتح كما انشق صبح في قميص دجى × وطرف البرق في ارداته علما
أضحت له جنة الرضوان قد فتحت × أبوابها وفوائد الدين قد نعما
الله دلله هذا ما وعدت به × يا خير ولي الدنيا ومن حكما
لن يخلف الله وعدا كان واعده × فاشكر يضاعف لك الحظ الذي قسما
بمفتح مراكش عم السرور فما × يكاد يعدم الا قلب من ظلما
حيا بها الله مولانا الأمير كما × حيا أباه فاسقى فتحها لنما
فلم يزل سعده المألوف متصلا × يسعد والده المنصور منتظما
فدولة الدين والدنيا قد اختلفت × في الفتح والنصر والتأييد بينهما (1)

والمتمعن في معاني هذه القصيدة يستشف منها أنها قصيدة طبعت بطابع ديني محض من ذلك أن الشاعر جعل انتصار بني مرين هو انتصار للدين كله ، بحيث وضح الهدف من هذا الفتح الذي لم يكن لغرض توسعي أكثر منه انتصارا للدين الاسلامي أكده الشاعر بالمعاني التي استمدها لا شك من القرآن الكريم ،

---

(1) عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج 3 ، ص : 363 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثلما نلمحه في هذا البيت :

وذكريه فان الذكرى منفعة × وذلك في محكم التنزيل قد رسما (1)

فانه أخذ هذا المعنى من الآية الكريمة في قوله تعالى : ((وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين))(2)

واذا كان هذا الشعر سجل أحداث هذا الفتح فانه وضح الاتجاه السياسي الذي اتخذته الدولة المرينية قصد تحقيق توسعها بحجة الدفاع عن الاسلام ونشر تعاليمه حتى تكتسب ثقة الرعية وتأييدها لها ولتكون لها الشرعية في الحكم من جهة ، كما نستنتج أن هذا العصر سادته الروح الدينية ، مما جعل الملوك والأمراء المرينيين يحافظون عليها ، ويحمون الاسلام والمسلمين خصوصا في الأندلس حيث الاسلام فيها بدأ أهله يميلون الى التدهور والانحدار من جراء الزحف المسيحي الذي قاده الأسبان من جهة أخرى ، وحتى يتسنى لهم ذلك الدفاع سعوا الى محاولة تحقيق الوحدة المغربية باعتبارهم ورثة الموحدين في الخلافة ،

---

(1) ـ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 363 .

(2) ـ سورة : الذاريات ، الآية : 55 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكنهم واجهوا صعوبات من أجل تحقيق هذه الأهداف التي تتمثل في خوض المعارك الطاحنة ضد الزيانيين في تلمسان ، والحفصيين في تونس والمسيحيين في الأندلس.

وهذا الصراع كان مدعاة للشعر يخلف منه مصانيعه ، فسجل أحداثه وعرض بني مرين على أعدائهم في مثل قول الشاعر عبد العزيز الملزوزي يمدح يعقوب المنصور المريني ويحرضه على يغمراسن زعيم الدولة الزيانية :

أرى كل جبار بسيفك يصطر × وكل مليك عن فعالك يقصر
وكل عزيز خاضع متواضع × وكل يمان عن يمينك يصطر
تنام عيون الناس طرا وأنت في × صلاح الحلى والخلق مازلت تسهر
أضاءت بك الدنيا فزال ظلامها × فأيامها من نور وجهك تسفر
وكان لدينا الدين قد ضاع حقه × ولم يبق منه غير عين تحدر
بعثت الى يغمور بالصلح معلما × وقلت عساه بالبصيرة يبصر
فلم يغتبط بالصلح جهلا وغلظة × فيا عجبا من خاسر كيف يخسر
أردت بأن تهديه للرشد والهدى × وكيف يرى رشدا شقي معمر
فانك لا تهدي من أحببت للهدى × أترفع عنه ما عليه مقدر
أبى الله الا أن يخصك بالهدى × ويحليك في أغراك ما هو أكثر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحرم يعقوب جهاد عدونا × ويجعله في بحر بأس يغمر

فأسبق به فهو الجهاد بعينه × فحتى متى في الدين يغمر يقصر

فتأخذه قهرا وتملك أرضه × فأنت عليه في الملاحم أقدر

أيئس نقيض أيأسني وجدة × ويوم تلاق والقنا تتكسر

وقد سلحت بيض خفاف صوارم × وقد حجب الشمس المنيرة أغبر

ولا شمس الا وجه يعقوب اذ بدا × تراه لدى الهيجاء والحرب تسعر

ويخمر قبل الحرب يحلف أنه × اذا ما التقى الجمعان للأسر يذعر

فلما رأى أسيافكم تستبي الطلى × وأبصر خيل الله كالأسد تزأر

تولى على أعقابه متحسرا × فأين مضت أيمانه والتجبر (1)

ولعلك ترى الشاعر استهل قصيدته بالتحقير من شأن يخمراسن ، والرفع من مكانة يعقوب المنصور موازنا بين قدرتيهما في ادارة الأمور وخوض المعارك ، مبينا دور يعقوب في اصلاح المجتمع المريني وانقاذ الدين الاسلامي من الضياع والمرارة ، وكأن هذا الدور لم يقم به يخمراسن كما يشير الى الصلح الذي رغبه يعقوب ورفضه يخمراسن ، فحرم من فضل الجهاد في سبيل الله .

---

(1) — عبد الله كنون ، عبد العزيز الملزوزي ، (سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب) ص: 14

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يعود الشاعر الى تذكير بخمراسن بالمعارك التي انهزم فيها أمام المرينيين في : أيسلي ووجدة وتلاغ ، ويذكر دور أولاد عبد الحق المرينيين في حماية الاسلام بينما أن هدفهم لم يكن الا الجهاد في سبيل الله من أجل الدفاع عن الدين وحماية المسلمين من ظلم النصارى في الأندلس ، حيث نشروا الكفر والشرك والمحرمات وحولوا كثيرا من المساجد الى كنائس ، وكثر السلب والنهب والقتل ، وليس من ينقذ الاجيش المرينيين الذي سخره الله بقيادة الأمير يعقوب المنصور الموصوف بالشجاعة والحلم والحلم والعفة والجود ، وغيرها من الصفات التي جسدها الشاعر في هذه القصيدة ، والتي لا تتوفر في بخمراسن الذي كان مقصرا في الدين متقاعسا عن الجهاد ، فحق ليعقوب أن يجاهده ويحاربه من جهة ، وحتى يلمح الشاعر في تحريضه صغّر من شأن بخمراسن في عين يعقوب المريني من جهة أخرى .

ونلاحظ أن الشاعر قد عمد الى التاريخ والقرآن الكريم والواقع السياسي والاجتماعي وحلل الحياة الدينية التي تردت في الأندلس ليستمد منها معاني القصيدة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فما أعطانا صورة واضحة للمعالم من الحياة السياسية والاجتماعية والدينية في عصر الدولة المرينية ، حيث كان الصراع سائدا من أجل النفوذ السياسي ، والتوسع الجغرافي بسهم الدين الاسلامي .

وكان الشاعر عبدا لعزيز الملزوزي الذي كان معاصرا في تلك القصيدة ، قد تحقق هدفه الذي صور وقوعه ، من ذلك انه التقى الجيشان في شهر رجب ودارت بينهما معارك حامية الوطيس فانهزم بنو مرين وقتل ابنه فارس ، فوصف الشاعر هذا القتال والحروب التي دخلوها المنصور مع ولديه : ابي مالك وابي يعقوب مادحا ابنه الأمير ابا مالك :

ابو مالك ليث الحروب وغيثها × وبدر اذا ما الحرب بالنقع فاحم

الا ايها الجيش الذي رام حربهم × تيقظ الى البهلول فانك نائم

أتطمع أن تلقى ملوكا ثلاثة × لبعضهم تخضع الملوك المقاوم

ألست ترى أسد العرين تبيدها × وأجسامها قد فارقتها الجماجم

سحائب أطيار ترنم فوقها × كما سجعت فوق الغصون الحمائم

اذا الخيل جالت في الحروب حسبتهم × قضاء من الرحمن ما منه عاصم

فهذا على اليمنى يبيد حماتها × وذاك على اليسرى فأين المقاوم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووالدهم في جاحم الحرب بينهم × يبيد كماة الجيش والسعد قائم
ترى جثث الابطال تسقط بينهم × سقوط مهان فارقتها الدعائم
وقد خضب البيض الصفيح كأنه × رقاش وأطراف السيوف صعاصم
أبا مالك لازلت للملك مالكا × لك السعد بيت والسيوف تمائم
أتاكم به يغمور يقدم جمعه × ولم أن الحين في الجيش قادم
فمزق ذلك الجيش كل ممزق × كما مزقت ميتا بقيرق شاعم
تديركوس الموت فيه عليهم × أسود بأطراف السيوف تحلاطم
وما كل من قاد الجيوش الى العدا × يعود الى الأوطان والجيش غانم
اذا لم يكن سعد السعود يقوده × فما ذا الذي تغني الجيوش الصوارم
فمن كان يبغي الملك والمجد والعلا × تساوى لديه شهدها والعلاقم
اذا شيدوا شيئا من الرأي بينهم × فرايكم للرأي والجيش هادم
كأن كماة الجيش فصل مضارع × وترك للأعناق منها جوازم
وتجمعها بالسيف جمعا مكسرا × وجمعك ما بين الكتائب سالم
هنيئا لم نصر مبين على العدا × وطول سعود شأنها متعاوم
أمير تلمسان ابدت جيوشه × وما هو مظلوم ولا أنت ظالم
فديتك يا يغمور هل لك زاجر × أيقظان حس أنت أم أنت نائم
أفي كل عام تترك ابنك للقنى × وتسبي لك الغيد الحسان الكرائم
أتيت لأخذ الثأر ويحك منهم × وقلت عسى الأيام يوما تسالم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فخلفت أيضا للصوارم فارسا × ولبيدك لم تشفق عليه الضراغم

فما انت كالصيد الذي مر يبتغي × بحرمانه قربا فمر يمازا حم

ولو انك قد مرّ بطالب ما قضى × لسعاد ولم تهصر عليه خياشم (1)

ولا شك أنّ هذه الحرب التي تفوق فيها المريديون على الزيانيين هي ثمرة الصراع السياسي الهادف الى التوسع والاستحواذ على الأرض، واستلاء عرش الحكم في هذا العصر، ولأجل ذلك فان المرينيين بذلوا كل ما في وسعهم من جهود وعتاد حربي يتمثل في السيوف والرماح حينئذ، وجندوا لهذا من الجيش الأبطال الشجعان ذوي التجارب والخبرات الحربية، وتحاشد الآباء والأبناء، فكانت حربا ثأرية بين أفراد الأسر الحاكمة في كل من الدولة المرينية والدولة الزيانية، مما يدل على أنّ العصر تسوده النزعة الفردية والطموح الى الخلافة والسيطرة والمتمثلة في قوة الحاكم لا في قوة الدولة، وفي الصعود الفردي لا الجماعي، لهذا ترى الشاعر فضل شجاعة أبي مالك وغبى شجاعة يخمراسن، واستطاع بقوته وشدة بأسه، أبو مالك ليث الحروب وغيثها × وبدر اذا ما الحرب بالنقع فاحم (2).

بينما خاطب يخمراسن: فما انت كالصيد الذي مر يبتغي × بحرمانه قربا فمر يزاحم (3).

(1) ـ عبد الله كنون، عبد العزيز الملزوزي (ذكريات مشاهير رجال المغرب) ص: 17، 18.

(2) ـ (3) ـ المصدر نفسه، ص: 17، 18.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذا اكبار لمهمة ابي مالك وافتخار بشجاعته ، واستخفاف بيخمه واسن وتحقيره لشائه .

ثم لما يصور الشاعر القوة والشدة والشجاعة يعتمد على صور جاهزة من محفوظاته ، فجاء بعضها لا يخلو من المبالغة ومجاوزة الواقع في مثل قوله :

اذا الخيل جالت في الحروب حسبتهم × قضاء من الرحمن ما منه عاصم (1)

وكذلك التكرار في الصور والتعابير ، وان كان يصرف مما هو سائد في المجتمع عصرئذ من مظاهر التعاويذ والتمائم كقوله متسرعا في خطاب ابي مالك بالملك وهو لم يستلم الخلافة بعد :

ابا مالك لازلت للملك مالكا × لك السعد بيت والسيوف تمائم (2)

والايمان بالسعد والحظ اللذين لابد ان يكونا لمن يقدم على عمل كهذا لأن :

وما كل من قاد الجيوش الى العدا × يعود الى الاوطان والجيش غانم

اذا لم يكن سعد السعود يقوده × فما ذا الذي تغني الجيوش الصوارم (3)

وفي هذا الخطاء لمحاولة القائد في ادارة الحروب ، والخطاء لجهود الجيوش المستميتة في المعركة ، لأنها اذا كان الحظ لا يرافق قائدها تفشل ولا تحقق الانتصار .

(1) ، (2) ، (3) - عبد الله كنون ، عبد العزيز الملزوني ، (ذكريات مشاهير رجال المغرب) ، ص : 17 ، 18 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا كان يشعر احسن يفتقد الى الحظ فلم تخنه الجيوش، فكان مصيره الفشل والهزيمة، بينما ابو مالك قاده المجد والحظ، فأتاه الظفر مكللا بالغنائم، وهذا يكون الشاعر قد تناقض في أفكاره حيث اعتبر الحظ شرطا أساسيا للانجاز لا تغني بدونه الشجاعة والقوة المحسوسة والمادية شيئا، ولكن يبدو أن هذا الاعتقاد كان سائدا في المجتمع، مما جعل الشاعر يعمد اليه في شعره .

واذا كانت هذه الحروب والمعارك التي كانت تدور رحاها بين المرينيين والزيانيين على أرض المغرب العربي من أجل التوسع والاستحواذ على كرسي الحكم في هذا البلد، فان المعارك التي خاضها جيش الدولة المرينية في الأندلس ضد النصارى كانت من أجل حماية الاسلام وانقاذ المسلمين من الزحف المسيحي، فكانت من الموضوعات التي تناولها الشعر بالوصف والتمجيد، حيث سجل غزوات يعقوب المريني، وغزوات ابنيه وقبائل بني مرين والحروب الذين ادوا دورا كبيرا في نصرة الاسلام والدفاع عن المسلمين بالأندلس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك الشعر الذي وضع هذا الدور ، ما قاله الشاعر :

عبد العزيز المازوني ، فبعد التحميد لله والصلاة على النبي والاتيان بشيء من سيرته وسيرة الخلفاء الراشدين ومن بايعوا المختار في زمانه من الصحابة الكرام ، فهو يروي أن الدين الاسلام بعد هؤلاء أمين واحد فقط ، ولم يجد من يلقذه ويحميه الا يعقوب بن عبد الحق المريني الذي فتح الله له فيه بابا :

وعاد الدين بعد هم حقيرا × ومنسحقا ومعتهنا مصابا
وصار بغربنا الأقصى غريبا × فيا للدين يضرب اغترابا
ولم يعلم جهاد للأعادي × بماذي الأرض يحتسب احتسابا
الى أن فتح الرحمن فيه × ليعقوب بن عبد الحق بابا
لمولانا أمير العدل ملك × به انسلبت يد الكفر انسلابا
ولم نر قبله في العصر ملكا × أزرا في الهدا الحجب الحجابا
فهنأه الاله السعد فيه × وسنة صدقه بشرا أثابا
دعا الله دعوة مطمئن × لمولاه دعاء مستجابا (1)

ويضيء الشاعر راصدا مسيرة يعقوب المريني الى الحرب في الأندلس ،

---

(1) عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص : 687 ، 688 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واصفا بطولته وما أنزله بالنصارى من الذل والدمار والتشريد :

فألبس ملكهم ذلاً وصارت × به الأملاك ترتهب ارتهابا

ورام بكاية الأعداء فيه × فأوسعه احتراقا وانتهابا (1)

ومبينا ماقام به أمراء مرين عموما ، من تحرير للمدن الأندلسية من نير النصارى ، وتخليص المسلمين من عبودياتهم ، ولم يكتفوا بهذا بل زرعوا في نفوس الملوك الأسبانيين الرعب والخوف حتى لاذوا بطلب الصلح وتقديم الهدايا وهم شجة الذي عجز من مواجهة الجيوش المرينية :

فبادر شنجة في الصلح حتى × تقرب من مدينة اقترابا

وجاء لخيله الأعلى وأعطى × هديات لصولا نيل رغبا

وأسرع شنجة للعقد حرصا × وأظهر فيه للصولى ارتغابا

فتم الصلح بينهما لغدر × مبيتن واضمح والسر غابا (2)

وهذا الانتصار الذي حققه أمراء بني مرين في الأندلس لم يكن الا بفضل قيادتهم المحكمة لجيشهم المنظم والمتدرب على الحروب والمتكون من القبائل المرينية التي يمدحها الشاعر ،

---

(1) ، (2) — عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ج : ص : 637 ، 638 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سببنا الدور الهام الذي لعبته هذه القبائل في قوله :

فانتم ايها العرب انتصرتم × لعزكم فالزمكم منا بنا

وجد جمعكم سبأ وقيس × من الاعلام في الحرب انتصابا

ولم لا والرضى عنكم توالى × من المولى به ملأ القبابا

جماعة جلبوقوم كرام × كسوا من صدق نصحهم ثيابا

فجروا منه يوم الحرب ذيلا × على الاعداء تسحب انسحابا

بنو يوسف بن قيدلون تسامو × فحزوا جانبا وحموا جنابا

وقل للاثبج وائت علاهما × بكم سما قاتكم تدنى اقترابا

سيوفكم تدور على الاعداء × كؤوس ردى سقوا منها شرابا (1)

وبهذا استعرض الشاعر سيرة السلطان وفضله على الاسلام بحمايته له بغزواته وغزوات بنيه واحفاده ، واستدرج قبائل العرب على اختلافها ، وبين الدور الذي أدته في تلك الحروب والغزوات ، حيث كسبت بذلك رضا السلطان ، ومحت الخلاف الذي كان قائما بين زعمائها وبين المرينيين ، واثبتت مكانتها في المجتمع حينئذ .

---

(1) — ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص : 265 ، 274 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما كشف لنا الشاعر العناصر البشرية التي يتركب منها المجتمع المغربي ابان العصر المريني، وهي عناصر بربرية وعناصر عربية، وقد سار كل منهما تحت راية الاسلام.

كما انه لم يكن هدف المرينيين هو الاستيلاء على الاندلس وضمها الى المغرب، وانما كان هو تحريرها من زحف النصارى وتسليمها الى امراء المسلمين في الاندلس ولذا لم يظهر في القصيدة الا الدفاع عن الدين الاسلامي، ثم يختلص الشاعر بالقول الى طلب الثواب والجزاء من بني مرين عن مدحه وتمجيده لهم قائلا :

مرين لقد مدحتكم فوفيتموا × لمادحكم بمغيته الدوابا
وقد رخصت دولتكم وصارت × حلى يحدو بها الحادي الركابا
وكل منظم شعرا سيفنى × ويبقى فيكم مدحي كتابا (1)

وهكذا ظل الشعر يسجل الاعمال التي قامت بها الدولة المرينية في المغرب والاندلس مواكبا احداث العصر التي تتجلى في التنافس بين الدولتين : المرينية والزيانية في المغرب من جهة،

---

(1) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص: 255، 274.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الصراع المحتدم بين المسلمين والغزو الصليبي في الأندلس من جهة أخرى ، حيث استنفر القبائل للمشاركة في الجهاد والدفاع عن الحدود الغربية لدولة الاسلام ، ويتضح هذا الاستنفار في قول الشاعر مالك بن المرحل الذي حرض القبائل من أجل ذلك :

استنفر الدين بكم فاستقدموا × فانكم ان تسلموه يسلم
لا تسلموا الاسلام يا اخوتنا × واسرجوا لنصره وألجموا
لا ذت بكم اندلس لما شدة × برحم الدين ورحم الرحم
ماحي الا قطعة من ارضكم × وأهلها منكم وأنتم منهم
لكنها حدتبكل كما فر × فالبحر من حدودها والعجم
لهفا على اندلس من جنة × دارت بها من العدا جهنم
استغلص الكفار منها مدنا × لكل ذي دين عليها ندم
حدوا السلاح وانفروا وسارعوا × الى الذي من ربكم وعدتم
ان امام البحر من اخوانكم × خلقا لهم تلفت اليكم
كلهم ينظر في أطفاله × ود محه من الخدار بسجم (1)

وتلاحظ أن الشاعر عمد الى الضرب على وترين هما : العصبية والدين ، فنادا هم يا اخوتنا ، ثم يثير فيهم النخوة العربية لنجدة الملهوف في قوله :

ان امام البحر من اخوانكم × خلقا لهم تلفت اليكم (2)

---

(1) ، (2) ـ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص : 683 ، 686 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرغبهم في أرض الأندلس التي هي قطعة من أرض الاسلام وجنة يكتنفوها الجمال وتملأها الخيرات :

ما هي الا قطعة من أرضكم × وأهلها منكم وأنتم منهم

لهفا على أندلس من جنة × دارت بها من العدا جهنم (1)

واذا كان الشاعر عمد الى الحرق والدين والعقيدة الصادية ليثير نخوة المحافظ على الدين بالدفاع عنه ، فان هذا ما يدل على أن الروح الدينية الساندة كانت تسري بقوة في نفوس الأمراء والرعية معا ، وذلك بفضل توجيه الفقهاء وسيطرتهم على الثقافة ، فكانت ثقافة العصر اعتيادية محض ، ثم أن الصليبي يغزو أرض المسلمين الأندلسية ليمحو هذه العقيدة الاسلامية التي تنبع منها مدا بع تلك الثقافة ، ولذا اندفع الشعراء الى الاتجاه الديني الجذاب وتذللوا فيه الشعور ، فاتسابع شعرهم به ، بحيث لا تكاد تجد قصيدة من قصائد المدح والفخر والحماسة الا ويغلب عليها الطابع الديني .

---

(1) — عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج 3 ، ص: 633 ، 636 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فساد الشعر الديني وتعددت مناحيه منها :

شعر الزهد والتصوف ، وشعر المتوسل ومديح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبرز شعر المولوديات والعيديات ، وهو الذي كان ينظم في المولد النبوي الشريف والأعياد الدينية .

ومن الشعراء الذين نظموا الشعر في هذا الاتجاه الديني ، الشاعر : مالك بن المرحل الذي ضمت مدائحه النبوية في : ((الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى)) ، ومنها هذه القصيدة التي تسمى ((العنقاء)) يقول فيها :

أيا عنقاء المصطفى انّ حقه × عظيم فكونوا أكرم العنقاء

أما كنتم من قبله في شقاوة × فلولاه هل كنتم من السعداء

أترجون في يوم القيامة غيره × اذا قيل : هل للناس من شفعاء ؟

ألم تعلموا عذر النبيين في غد × وقولهم لسدا من الأمر لاء ؟

اليه يشير ابن البتول ، اذا رأى × جميع الورى في حيرة وعناء

اشارته من قبل ذا ك الى اسمه × وكان الحواريون في الشهداء

ألا يارسول الله :أنت ملاذنا × ولبيك مذخور لا عظم داء

أيا ديك ياخير الورى عمت الورى × فجزاك رب الناس خير جزاء (1)

---

(1) — عبد الله كنون ، مالك بن المرحل (سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب) ص : 17، 18 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمضي الشاعر ذاكرا شمائل النبي وغزواته مقتبسا معانيه من القرآن الكريم مصيغها في أسلوب سهل ليس واضح ، داعيا الناس الى الانصراف عن ترف الحياة ولهوها ، وما هجمها الضللة ، ومذكرا أيامهم بيوم القيامة ، ساكبا دموع الشوق الى قبر النبي شاكيا من عجز عن تحقيق أمانيه التي تصبو الى زيارته أيام أن كان قادرا قويا في قوله :

أما الى قبر النبي مبلغ × سلا ما فقد أفنى الزمان ذمائي
أمانة مشتاق حمى الدمع جفنه × فما طاف طيف النوم خوف حمائي
أما لي كانت لي زيارة قبره × وأرضي روض يانع وسمائي
أمال قناتي بعد حسن اعتدالها × زمان أراني النقص بعد نمائي
أما قوى الأعضاء الا أقلها × وأعطش روضي حين انضب مائي (1)

فهذا الحنين الديني الى مقام النبي الذي أوحى به الكبير عبد الملك بن الرجل ، لا يعدم أن تكون الحروب وبلاوي الدهر هي التي أنزلت في نفوس الناس الآلام والهموم ،

---

(1) ـ عبد الله كنون ، مالك بن المرحل (سلسلة ذكريات ومشاهير رجال المغرب) ص : 18 ، 19 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلجأ بعضهم الى الزهد والتصوف لأنهم وجدوا فيهما الوسائل التي تكسبهم جماع النفوس والمتصارعة من أجل الفوز بالنعيم الدنيوي الفاني ، فتجسدت تلك الآلام والهموم في نفوس الشعراء فظهر صداها في شعرهم الزهدي المتصوف ، منه عشريات مالك بن المرحل الزهدية اذ يقول :

بني الدهر اما الدهر فهو عدوكم × وان لاح يوما في ثياب حبيب
بوارقه لا بي فيها لصاطش × ولا خصب في أنوائه لجديب
بملاكم وابتلاكم بقلب صروفه × فيا ويحها من أنفس وقلوب
بصائرها في الرشد غير ثواقب × وابصارها في الغي ذات لغوب
بطي ، لحصي من سوى الله كله × وأصبح حمول الوعي بعد لغوب
بخيل لحصي من دعاه حبيبه × هلم اليها وهو غير مجيب (1)

ولا شك ان هذا التحذير من بلاوي الدهر والدعوة الى الانصراف عن زخرف الدنيا وشواغلها المادية والامر بالاوبة الى الله ومعرفته والاتصال بحبه ، لهو دليل على ان المجتمع الحضري في العصر المريني ساده الاضطراب ، وافتقد الناس حياة الاستقرار والطمأنينة ،

(1) ـ كنون عبد الله ، مالك بن المرحل (سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب) ص: 22 و 23

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد تهم الهموم والآلام فدفعتهم الى البحث عن طريق الرشاد ، فتعذبوا الشعراء يعظمون ويدعون الى الزهد والتصوف لأنهما الدرعان اللذان يحميان الناس من ملذات الدنيا وشهوات النفوس التي جلبت الحروب والمعارك قصد الحصول على النعيم الدنيوي .

ولما كان الفقهاء هم كذلك يحفزون الناس على الاستمساك بالدين والاقتداء بالسيرة النبوية فتجلت في قصائد المدائح الدينية ، منها مقصورة أبي زيد المكودي حيث طرزها بمدح النبي فكانت ذات بهاء وحلى بشمائله وجلائل أعماله ، والذي :

لولاه ماكانت سموات ولا × أرض ولا نجم من ذرار بهما العلى

هو الحبيب الآمر الناهي الذي × ليس يضاهيه نبي مجتبى

هو الشفيع في المعاد للورى × منقذ هاف الحشر من نار لظى

هو المرجى للخطوب كاشفا × ومن سواه للخطوب يرتجى

هو الذي من أمته مستشفعا × مستمسكا بحبله فقد نجا

يا أيها المبعوث فينا رحمة × أنقذنا الله به من الردى

ماذا ترى في مذنب نأت به × أثامه عن كل مجد وعلا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بـاع الـحـالـي واشترى في الهوى × يـا لـهـم مـا بـاع و بـئس ما اشـتـرى

فـكم اضاع في الدنيا سبل الهـدى × وكـم اضـاع في الـهـوى في الـصبـا

فـكن شفيـقـا يوم لا يغني امرأ × مـا غـنم مـن مـال الـدنيـا وما حـوى (1)

ولـم تـكـن الـغـايـة مـن الـدعـوة الـى الـزهـد والتصوف

مـن الـفـقـهـاء والـشـعـراء هـي الاتـصـال بـالله والتفكير

فـيـه والامـتـثـال بـسـلـوك الـرسـول ولا قـتـداء بـآدابه فحسب ،

وانـمـا الـقـصـد هـو الـخـلاص مـن سـوء الـحـال الـتي آل اليهـا

الـمـجـتـمـع مـن جـراء الـحـروب الـتي خـاضـهـا الـنـاس في كـل

مـن الأنـدلـس والـمـغـرب ، فـفي الانـدلـس كـانـت قـصـد الـدفاع

عـن الاسـلام ، وفي الـمـغـرب مـن أجـل تـحـقـيـق سـيـاسة الحكام

الـمـريـنـيـيـن الـراغـبـيـن في الـتـوسـع والاسـتـيـلاء عـلى أقـطـار

الـمـغـرب الـعـربـي كـلـه ، ولا غـرو وأن الـمـجـتـمـع الذي تحكمه

هـذه الـسـيـاسـة يـظـلـهـو فيـه سـبـيـل يـركـن الـى الـلـذات

والـتـمـتـع بـهـا ، قـد تـسـفـر بـالـنـدم بـعـدمـا يـداهـمـه الشيب

والـهـرم ، كمالك بن المرحل الذي أوضح ذلـك فـي قـولـه :

بـأي دواء أم بـأي طـبـيـب × يـداوي فـؤاد مـن بـياض مشيب

---

(1) — عبد الله كنون ، شرح مقصورة المكودي ، ص :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيـاض كمـا لاحت كـواكب سحـرة × تـريـك طـلـوى مـؤ ذن بـمـشـروب

بفي ابك لي ان البكاء يبعث ا لهكا × ولـيـس جـوابـي مـنـك غير وجيـب

بـحـارا ركبناها بغيـر سفائـن × غـرورا ، فـان نـلـك فـغيـر عـجيـب

بكى صاحبي حتى اذا مال في الثرى × وسالت مآقيه كـمـثـل غـروب

بعللت له كفي وقبلت كفـه × وقـلـت لـه : هـذا مقـام كـئـيـب

بـدارا الى هذي الدموع فربمـا × فـسـلـت ذنـوبـا جـمـة بُـذنـوب (1)

ولـعـلـك تـرى الـشـاعـر أمـسـى نـادمـا عـما ارتكبه من الـذنـوب التي يـأمـل محـوهـا بـالـدمـوع ، ولـكـن حـصـل هـذا بـعـد مـا اشـتـعـل الرأس شيبـا مؤ ذنـا بنهـاية العمـر ، وهـو بـذلك يـعـطي عبرة لـمن تـغافـل عن الـمـوت ونـسي الآخـرة وهـواهـا ، فيتـخذهـا الانـسـان عـظـة وقـدوة يـنـتـدي بـسـمـهـا الى الصواط السوي ، وأنـهـا بـمـثـابـة دعـوة من الشاعـر الـى الانـصـراف عن الـغـرور والـشـهـوات ، وحـث مـنـه الى الأعـمـال الـصـالـحة قبل أن يخـط الـمـشـيـب مـحـاسـنـه الـمشيـعـة الى الـمـشـيـب .

ولـم يـسـجـل الـشـعـر في الـعـصـر الـمـريـنـي هـذه الـروح الـدينيـة الـتي تـمـثـلـت في نـزعـة الـزهـد والتصوف فـقـط ، وانما كانت الملامـح الدينية هي الأخرى

(1) ـ عبد الله كنون ، مالك بن المرحل (سلسلة مشاهير رجال المغرب) ، ص: 29 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لـ الـ ست الحظ الأوفى والاهتمام الأكبر في ذلك العصر ، كالأعياد والميلاديات المسيحية ، اذ عرف العصر هذه المظاهرة الاجتماعية الدينية ، حيث كان ظهورها بدوافع عديدة حملت الناس على الاهتمام بالاحتفالات الدينية منها حتى لا يرجحون المس الاحتفالات بأعياد الميلاد المسيحية التي كان أهل سبتة والأندلسيون يحتفلون بها قبل سن المواسم المولودية النبوية هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن الاحتفالات بالمولد النبوي رمز وحدة المسلمين التي كان يسعى اليها أمراء الدولة المرينية ، فما قاموها بعناية وشجعوا على قيامها في كل مناطق البلاد ، ففتحت للشعراء أبوابا واسعة في الميدان الشعري ، فظهرت : ((المولديات)) وقد استفاض من الشعر فيها بعض الشعراء فنذكر منهم على الخصوص الشاعر: ما لكين المرحل الذي طرق هذا الباب بقوله :

فحق لنا أن نحتفي بمولاده × ونجعل ذاك اليوم خير المواسم
وأن نصل الأرحام فيه تقربا × ونغدو له من مفطرين وصائم
ونترك فيه الشغل الا بطاعة × وما ليس فيه من ملام لملائم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(1)
ونستبح فيه الصالحين فانهم × صدوا بانوار الوجوه الوسائم

واذ تمرى مسالك بين المصرحل يدعو الى العقايدة بمولد النبي عليه الصلاة والسلام ، وأن يكون ذلك اليوم خير المواسم قاطبة ، وذلك قصد تدعيم الروابط والصلات بين ذوي الأرحام لتكون المحبة قوية ، والعبادة قائمة، اقتداء بالنبي والصالحين لأنه اسوة حسنة ، ارشدهم ويرشدنا الى الصراط المستقيم وطريق الخير والنجاة، وكذا وهذا توغيب من الشاعر في الاقلاع عن الآثام .

ولكي يتأكد الاقتداء بالنبي ويقوى في القلوب لا بد من حافز يمكنه في تلك الافئدة ، من ذلك نجد بعض الشعراء قد تفانوا في حب النبي وأسهبوا في تعداد معجزاته بدافع الشوق اليه والتشوق الى الكعبة والمدينة المنورة والبقاع المقدسة ، حيث كانت هي الأماكن التي يحن اليها الصوفي ويتمنى أن يموت بها بغية الخلاص من الخطايا والذنوب ، مثل ابن خلدون الذي يحن الى يثرب مثوى الرسول فيقول :

حيث النبوة أيها مجلوة × تتلو من الآثار كل غريب
سر عجيب لم يحجبه الثرى × ما كان سر الله بمحجوب

(1) سعيد الله كدون ، مالكين المرحل (سلسلة مشاهير رجال المغرب) ، ص : 22 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انـي دعـوتك واثقـا بـاجـابـتي × يـا خـيـر مـدعـو وخـيـر مـجـيـب

قـصـرت في مـدحي فان يك طيبـا × فبمـا لـمـذكـرك من اريج الطيب

مـاذا عـسى المطيـل وقـد حـوى × فـي مـدحـك الـقـرآن كـل مطيـب

يـاهـمـل تبلـغني اللـيـالي زورة × تـدنـي الـي الـفـوز بـالـمرغـوب

اصـحـو خطيـئا تي باخـلا ص بـهـا × واحـمـل اوزا ري واصـر ذنـوبـي (1)

ولـم تـقـتـصـر المـولـديـات على مـدح الـرسـول صـلى الله عـليـه وسـلـم ، وانـمـا امـتـزجـت مـدائـحـه بـمـدائـح المـلـوك والامـراء المـرينـيـيـن الـذيـن يـولـون عـنـايـة كـبـرى واهـتـمـامـا اكـبـر لـلاحـتـفـال بـمـولـد الـنـبـي ، لانـهـا كـانـت مـنـاسـبـات تـذكـر فـيـهـا مـاثـرهـم وجـلائـل اعـمـالـهـم لاجـل حـفـظ الـديـن الاسـلامـي ، وذلـك قـصـد تـدعـيـم وراثـتـهـم لـلـخـلافـة واثـبـات شـرعـيـتـهـا مـذ جـاءوا مـن الـصـحـراء والـسـواحـب عـلى ظـهـور الـخـيـل والـنـجـائـب :

ورثـوا اغـتـراف الـبـيـد عـن آبـائـهـم × ارث الـخـلافـة فـي بـنـي يـعـقـوب (2)

وابـنـاء يـعـقـوب الـمـنـصـور والـمـريـنـي مـعـروفـون بـمـا قـدمـوه مـن تـضـحـيـات مـع آبـائـهـم فـي سـبـيـل الاسـلام ،

---

(1) ـ ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، في مج : 14 ، ط : 1983 ، بيروت ، ص: 866 ،

(2) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب ، عبد العزيز الملزوني ، ص: 32

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث ان السلطان ابا سالم المريني ينتمي اليهم اذ لما عاد من الاندلس من نفيه استولى على ملكه ، فاستغل ابن خلدون مناسبة الاحتفال بمولد النبي ليمدح السلطان ويشيد بفضائل المرينيين فراح يقول :

يابن الالي شادوا الخلافةبالتقى × واستطاعوك بتاجها المخصوب
جمعوا لحفظ الدين اي مناقب× كرموا بها في مشهد ومغيب
لله مجدك طارفا اوتالدا × فلقد شهدنا منه كل عجيب
كم رهبة اورغبة بك والعلى× تقتاد بالترغيب والترهيب
لازلت مسرورا بأشرف دولة × يهدي الهدى من افقها المرقوب
تحيي المعالي غاديا اورائحا× وحديد سعدك ضامن المطلوب (1)

وهنا يبدوان الشعر الذي كان ينظم في الاحتفال بالمولد النبوي ، كان مختلطا بالمدح السياسي ، وذلك رغبة للحكام المرينيين ، بالاضافة الى ماكان يجري في هذه الموالد من تلاوة القرآن الكريم وانشاد الاشعار من : القصيدة اوالمولديات ، وتقديم الاطعمة للحاضرين ، وكذلك لم تكن غاية لذاتها ، وانما كان هدفها هو توحيد المسلمين وتقوية التمسك الذي تعرض في الاندلس الى مصائب الكفر ،

(1) — ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، مج : 14 ، ص: 68 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما أدى بالشعراء الى استغلالها في حث الناس واستنهاضهم ضد الحكم المملوك والأمراء قصد استرجاع الاندلس وهذا بعد سقوط الدولة المرينية ، وسقوط الاندلس وقيام الدولة السعدية .

ومن دون شك أن المجتمع المغربي في العصر المريني ساده قدرة التمسك بالدين والتقوى فقلت فيه ظاهرة اللهو والمجون ، حيث تجد صدى هذه الظاهرة ضعيفا في الشعر حينئذ ، وتتمثل عند الشعراء الذين انتقلوا الى الأندلس ، حيث تأثروا وتصرفوا عن تلك الظاهرة وتأثروا بها أيما تأثير ، فامتطت مطالع قصائدهم وصف المجالس ، مجالس الخمر واللهو ، مثل ما نجد الشاعر أبا العباس العزفي في قوله :

ويوم كساه الدجن دكن ثيابه × وهب النسيم الروض وهو عليل
ولاحت بأفلاك الرياض كواكب × له بالبدور الطالعات أفول
وجالت جياد الراح بالراح جولة × فلم تحل الا الوقار قتيل (1)

ولعلك تلاحظ أن ذكر الخمر لم يأت وصفها مستقلا عن الغزل ووصف الطبيعة .

---

(1) ـ عبد الله كنون ، أبو العباس العزفي (سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب) ص: 80

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن قصائده التي تضمنت الخمر ممزوجة بالغزل ووصف الطبيعة بموضوع قوله :

هذا الصباح فعاد لي بصبوح × وانهض بواحك فهي راحة روحي
لا تكثرث لخطوب دهرك واسقني × كأسا تحسن منه كل قبيح
واسق سوام اللفظتين حدائق × ماسام في مثلها بمريح
فتنت بزهرة زهرها فتمايلت × تختال في الحجرات بعد مسوح
شقت شقائقها جيوب كمائم × أسفا على زق يضم جريح
وعيون نرجسها تلوح شواخصا × لو ميض برق في الكؤوس مليح
وأتى الربيع بروعها بسواجع × عجم تشقق فؤاد كل فصيح
مالي ولملالال أسأل صاحبا × منه وأعول في مهامه فيح
في الراح والريحان شغل شاغل × لي عن عيافة بارح وسنيح
أهيم في ورد الخدود وأتقها × لا في عرار بالفلاة وشيح
وأصون سمعي في مقالة عاذل × لتذللي والحب غير مشيح (1)

واذا كان شعر أبي العباس الغزفي يعبر عن ظاهرة اجتماعية تأثر بها في الأندلس، فهذا لا يعني أن حياة اللهو والترف والمجون ومجالس الخمريات في الأندلس قد غرق في بحرها المجتمع المغربي في عصر الدولة المرينية ،

(1) — عبد الله كنون ، أبو العباس الغزفي (سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب) ص: 32

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو كان هذا الجانب من الحياة مستترا ، وانما الخمر كانت متداولة بين بعض الفئات الاجتماعية ، ولم يكن لهما من الأنصار ما يؤدي الى حرية الخلاعة والمتعة كما كان المجتمع مكبوح الجماح ، لأن الوازع الديني كان قويا في النفوس لهيبة قداسته واحترامه والناس يرهبون سلطانه ، فتنوع الشعراء من ذكر لها ووصفها في أشعارهم نتيجة لطبيعة العصر الاجتماعية لا حيث كانت تسري فيه قوة الروح الدينية بفضل سلطان الفقهاء والقضاة وتوجيههم ، ولكن وصفها ظل مختفيا الى أن بحث بعد فتوة المولدين عند الشعراء مثل الشاعر : ابن زاكور .

ولعلك لاحظت من قبل أن ذكر الخمر امتزج بوصف الطبيعة والغزل ، مما يدل على أن التغزل كان مزدهرا في العصر المولدي ، وذلك لما له من اتصال وثيق بالطبيعة الانسانية ، لأن المرأة قوة الوحي والالهام في نفس الرجل ، ووصفها والتغني بجمالها احساس تلقائي ، فكان الشعر الغزلي كلمة القلب المتغني في هيام الحب في ذلك العصر ، غير أنه استوحى معانيه وصوره من الشعر العربي القديم ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا سيما لامست واقع الحياة الاجتماعية حينذاك، حيث كانت تسري فيه النزعة البدوية في العادات والتقاليد ثم الاعتزاز بالفروسية ثم الميل الفطري لدى أهل المغرب الى الترفع عن الانغماس في الأمور المنكرة، فهذا حسم النوازع الدينية الى التقوى .

كل هذه العوامل وجهت الشعراء ليكسبوا شعرهم الغزلي بعيدا عن الفحش والوصف المكشوف لجسد المرأة ، ويمزج بوصف لوعة النفس العاشقة والاشتياق الى قرب الحبيبة وموقف اللقاء والوداع كقول الشاعر عبد العزيز الملزوني :

أعلمت بعدك زفرتي وأنيني × وصبابتي يوم النوى وشجوني

أودعت اذ ودّعت وجدا في الحشا × ما ان تزال مضاعة تحميني

ورقيت شوقك حاضر مترقب × ان رمت صبرا بالأسى يغريني

من بعد بعدك ما ركنت الى راحة × يوما ولا فاضت عليك شؤوني

قد كنت ابكي الدمع ابيض ناصعا × فاليوم تبكي بالدماء جفوني

قل للذين ودعوا فؤاد الهوى × ان شئتموه فسلموا لي

اني أخذت كثيره عن عروة × وروبت ساثره عن المجنون

هذي روايتنا عن اشياخ الهوى× فان ادّعيتم غيرها فعارٌ وتهمي

ولعلك ترى الشاعر لا يعمد الى شرح جسم المحبوبة ووصف كل جزء فيها ، وانما يعمد الى وصف تأثير شعور الحب في نفس المحب ، ويصور أثره ، فيشعر بنار الشوق ولوعة الحب تضطرم في فؤاد المحب ، فتومض دموع الأسى والألم من عذاب الصدّ أو الوداع بعد الوصال (اللقاء ، مما يدل على العفة المعذرية التي تتمثل أيضا في شعر الشاعر :مالك بن المرحل :

تملكتم عقلي وطرفي ومسمعي× وروحي واحشائي وكلي بأجمعي

وتيّمتموني في بديع جمالكم× فلم ادر في بحر الهوى اني موضعي

وأوصيتموني لا ابوح بسركم × فباح بما اخفي تفيض ادمعي

فلما قفى صبري وقلّ تجلدي × وفارقني نومي وحرمت مضجعي

شكيت لقاضي الحب قلت : احبتي × جفوني ، وقالوا : انت في الحب مدّع

وعندي شهود بالصبابة والأسى× يزكون دعواي ، اذا جئت ادّعي

سهادي ، وشوقي ، واكتئابي ، ولوعتي × ووجدي ، وسقمي ، واصفراري ، وادمعي (2)

فهذه النماذج من الغزل العفوي المتسم بالعفة المعبر عن اثر الحب في نفس المحب .

---

(1) عبد الله كنون ، عبد العزيز الملزوزي ، سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، ص: 211 .
(2) عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 725 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يخلو من التقليد حيث رأينا من قبل انّ الشاعر: عبد العزيز الملزوزي يصرح بتأثره في مفهومه للحب العذري عن أشياخ العدوة بقوله :

اني اخذت كثيره عن عروة × ورويت شاعره عن المجنون (1)

وتشعر بعض اغاني المغربيين تطابقا في شعر مالك ابن المرحل ، كما وجد من الشعراء من يميل الى الاسلوب البدوي بذكر أماكن العرب في البادية العربية مثل الشاعر: أحمد بن شعيب الجزنائي في قوله :

دار الهوى نجد وساكنها × أقصى أمانيّ النفس من نجد

حل بأكوار الوسمي ساحتها × واستن في تيهائها الجرد

أو بسمات محتل النسيم بها × مستشفيا بالبان والرند

يطوي أحاديث الذين هم × قصدي وان جاروا عن القصد

أيام سمر ظلالها وطني × مخضرة وزرق مياهها وردي

ومطارح المنظومات في رشأ × أحوى العذار مع أهيف القد

يرد واليك بعين جارية × قتل المحب بها على عمد (2)

ولا شك انّ الحنين الى هذا الاسلوب كان يستهذبه الذوق الأدبي في المجتمع المريني ، لانّ طبيعة نشأته بدوية .

(1) — ع . كنون ، عبد العزيز الملزوزي (سلسلة مشاهير رجال المغرب) ، ص: 11 ، 12 .
(2) — ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، العبر ، مج : 14 ، ص: 341 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما كان للأسلوب الحضري أيضا من يمثله من شعراء العصر المريني حيث كان أسلوبهم واقعيا ماديا يتتبع الجمال ويصطاده ، ويبدو أنه وفد اليهم من الأندلس ، كقول الشاعر: ابي القاسم الشريف السبتي :

ظفرت بلثمها فبدا احمرار × بوجنتها يزيل الثلب وجدا
فما ثُراها بي الواشي فظلت × تلوم، ولم أكن ممن تصدى
فما كانت سوى قبل بخيها × جنين أثاحيا وغدا رمن وردا (1)

ويمكن أن نستنتج من خلال ما ذكر من الشعر الغزلي أنه يتجلى في تيارين : تيار عفيف ، وتيار حسي ، عرفتهما الحياة في المجتمع المريني ، فالأول يصف لظى الحب وحرقة الشوق وألم الفراق وشكوى البعاد ، والثاني يصف مفاتن المرأة ويشبهها بأشياء محسوسة من صميم البيئة التي يعيشها الشاعر أو يأخذها من الشعر العربي القديم ، حيث لا تخلو هذه البدوات الحسية اللمس والتقبيل أو تمنيها ، ويرجع هذا الاتجاه لدى الشعراء الى قوة التمسك بالدين والتقوى التي سادت المجتمع وثقافتهم المستمدة من التراث الشعري القديم ،

(1) ع. كنون ، أبو القاسم الشريف السبتي سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، ص: 28 :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتي لم تنحرف عن الفلسفة ولم تتعمق في مذاهبها المختلفة ، وان لم تتعدم روافد المجدل وطرقه الحواريـة في شعرهم مثل قول ابي عبد الله المكودي متغزلا :

كن بين طرفي وقلبي منصفا فلقد × جاءبيت بعضه سما فاعدل ولا تحد

فقال لي :قد جعلت القلب لي وطنا × وقد قضيت على الاجفان بالسهد

وكيف تطلب عدلا والهوى حكم× وحكمه تطلم يعدل على احد

ما كنت من قبل اذعاني لسطوته × اخال انّ الهوى يقسطو على الاسد

ان جاء بالوعد لم تصدق مواعده × فان قضت بزور الوعد لم يعد

شكوته علّتي منه فقال : لا × سر للطبيب فما بود الضنى بيدي

فقلت ان شئت برئي اوشفا الّمي× فارتشاف لماك الكوثري جدد (1)

وان وجد هذا الاسلوب الحواري في الشعر المغربي في العصر المريني ، فانه لا ينبئ بقصة حب تروي ما بين العاشقين من مغامرات واحداث مثل ما عرف في الشعر العذري المعروف في الادب العربي ، ثم ليس هناك ما يدل على تغيير المرأة التي تغنى بها الشعر الغزلي القديم ، بحيث لم يذكر الشاعر اللون والملامح والقد وكل ما يميز المرأة ويحدد جمالها ،

(1) ـ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص : 65

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هنا لا نعرف المرأة التي تغزل بها ، أهي العربية أم البربرية أم النصرانية الأسبانية ، ؟ لأن بين هؤلاء النساء فروقا في الملامح الخلقية لم يمكنا هذا الشعر الغزلي من اكتشافها ، ولذلك فان كان بعض الشعراء صادقين مخلصين في حبهم ، فمن بعضهم كانوا مقلدين ، وكانت حبيباتهم من صنع الخيال ، فاتخذوا الغزل بهن مجرا للوصول الى مقاصدهم التي هي المدح ا (الموصوف أي موضوع الشعر يسعى اليه الشعراء ، لأن المقاطع الغزلية كانت دائما في مطالع قصائد المدح أو الوصف أو الأغراض الأخرى ، الا نادرا ما نجد مقاطع في الغزل وحده .

وأما التغزل بالغلمان فلم يألفه المجتمع المغربي في العصر المريني ، وان وجدت اشارات اليه في شعر الشعراء الذين زاروا القيروان أو الأندلس مثل أحمد بن شعيب الذي قال موريا في الأست والذكر :

ومولع بالكتب يمتاعها × بأرخص السوم وأغلاه
في نصف الاستذكار أعطيته × مستحسن العين فأرخاه (1)

---

(1) ـ ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، ص: 339 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن أن نصور جمع ندرة المتغزل بالغلمان في الشعر العربي الى تركيبة المجتمع المغربي في ذلك العصر اذ كان يتألف من العرب والبربر وبعض اليهود .

والعرب لم يعرفوا الغزل بالمذكر ابان صفاء مجتمعهم من العنصر الذي امتزجت به حتى ابتداء العصر العباسي ، حيث اختلط المجتمع العربي بالفرس الذين انتشرت هذه العادة السيئة بينهم ، بينما في المغرب لم يكن العنصر الفارسي يذكر لأن العرب جاءوا قبل أن يمتزجوا بالفرس في المشرق ، فكانت الأجيال العربية التي تأصلت في المغرب لم تعرف الفرس ولهذا فان الميل الى المذكر لم يكن في تقاليدهم وعاداتهم الا عرضا لم يظهر وجوده في الشعر الا عند الشعراء الذين زاروا القيروان أو الأندلس ، حيث كان الغزل بالمذكر فيهما منتشرا ، ولكن لما حدث الاتصال بالأتراك بعد فترة الدولة العربية وانحط الناس من صرامة الحكام والفقهاء شاع الغزل بالمذكر وانتشر دون أن يكون فاحشا مكشوفا كما كانت حاله ابان العصر العباسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم ان الدين الاسلامي يحرم هذه العادة البشعة ويحرمها ويأمر بمقتل فاعلها ، اذن كيف تشيع هذه الفاحشة في مجتمع فيه الاسلام هو القائد للراعي وللرعية ، ونتيجة لهذه العوامل تصدر الشعر الذي يحتمل في طياته أبياته التغزل بالغلمان والعلاقات في الحجز السريري .

وأما وصف الطبيعة فلعلك لاحظت أنه امتزج بوصف الخمر وعاشق الخمر مما ينبيء بأن الطبيعة التي نشأ فيها الشعر كانت فاتنة رائعة تدعو الى قول الشعر .

وبما أن وصف الطبيعة يلازم طبيعة النفس البشرية ، فالشاعر لما يقف أمام مظاهر الطبيعة يحاول أن يصف ما حدها قصد تعرفه على أسرارها واكتشافه لغوامضها مقارنا عناصر التشابه في موادها ومستنتجاتها ما وراء الكون والحياة ، وقد تتحد مع وجدانه وتشعل في نفسه فيصورها من خلال ذاتيته ، فتطلع وكأنها ملامح انسانية تضحك وتبكي تطرب وتشقى وتتماجى وتشتكي تعاني وطأة الوجود وتختبط به ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن خلال هذا النوع من الوصف للطبيعة تكتشف حقيقة النفس الانسانية الخاصة ، وتتعرف على مايسرها ويحزنها في الواقع الاجتماعي الذي ينتمي اليه ذلك الانسان او البيئة التي يعيش فيها ، ويستخلص مافيها من عناصر الطبيعة الجامدة والمتحركة والصامتة والناطقة .

والشاعر الصحراوي في عصر الدولة العربية عاش فوق ارض تتصف بمشاهد طبيعية جميلة رائعة لما فيها من الصحاري والحقول والجبال والسهول والرياض والانهار والزهور والاشجار والثمار والمشابهات المتعلقة بالوحوش والطيور وانواع الحيوانات التي رافقته في السراء والضراء ، ولذا نجد الشاعر الذي شخص امام مناظرها وانبهر بجمالها وصفها في شعره ، فوصف الماء والهواء والشمس والقمر والليل والنهار والكواكب والنجوم والبحر والامواج لانه كثيرا ما عبره وعرف ميجانه وهدوءه ، ووصف المدن وقصورها ومنازلها ، ولم يكن وصفه نقليا حسيا فحسب ، وانما امتزج بوجدانه فانعكست فيه حالاته النفسية بما يختلج فيها من الغبطة والسرور والحزن والاسى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذا الشاعر أبو العباس المخزومي يصف ليلة صفا له حبيبه فيها ، فقال :

وكم ليلة لذت فيها الهوى × وبات لي الحب فيها نجيا

اذ غفل الحظي في جنحها × مددت وجلتاه السرور الهويا

أراع فاسأل عن صحبها × فيرجع لي جنحها ثم حيا

الى أن بدالي سرحانها × يحاول للجدي فيها رقيا

فبالك من ليلة بتها × أنادم بدر دجاها البهيا (1)

وكذلك الشاعر ما لك بن المرحل يصف قصر ليلة فيقول :

وعشية سبق الدباج عشاءها × قصرا فما أمسيت حتى أسفرا

مسكية لبست حلى ذهبية × وجلا تبسمها نقابا أحمرا (2)

وكأن شهب الرجم بعض حليها × عثرت به من سرعة فتكسرا

ويصف الشاعر أبو القاسم البستي ساقية في قوله :

وذات حنين تستهل دموعها × سجاما اذا يحدو ركائبها الحادي

تعجبت أن ليست تريم مكانها × ولم تخل من تأويب سير وإسناد

---

(1) عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص : 755 .

(2) المصدر نفسه ، ص: 765 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأرصدت لها في الروض آبية عدة × فكانت لدفع المحل عنه بمرصاد

تخالف ماء المزن حكما وما وهما × وكل روض الربا راح وغاد

فيجمد حذا بعد ما كان متهما × وذاك تراه متهما بعد انجماد

لئن قذفت ذوب اللجين على الثرى × لقد خلصته القضب طيبا لاجياد (1)

ويصف الناعورة بصور متعددة في قوله :

وذات سير اذا حثت ركائبها × حنت فراقتك في مرأى ومستمع

كأنها فلك دارت كواكبه × على الرياض بدوء غير ملتمع

تماثل السحب صوبا بل تخالفها × اذا استهل حيا المستانة الهمع

هذي الماء تحلي كل منخفض × وتلك تنزل منه كل مرتفع (2)

ويقول فيها أيضا :

ومستريحة يحل الروض منهما × اذ علمت من الماء الفرات

بدا دولا بها فلكا ولاحت × بدائره كوكب بسماوات

اذا ما الروض قابلهن كانت × عليه بكل سعد طالعات

تراها أن شعاع الشمس لاقى × بياض الماء مشرقة الآيات

وأعجب أنها ذارت بدوء × غزير وهي تشرب خاويات (3)

وينتقلنا الى وصف البحر لما ركبه في طريقه الى الأندلس :

وغريبة الانشاء سرنا فوقها × والبحر يسكن تارة ويموج

---

(1) ـ ع . كنون ، أبو القاسم شريف (سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب) ص: 29 .
(2) ـ محمد بن تاويت ، الادب المغربي ، ص: 454 .
(3) ـ المصدر نفسه ، ص: 454 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عجبنا نؤم بها صاحد طالما × كرمست صباح الانس حيث تموج

وامتد من شمس الأصيل أمامنا × سرور له مرأى صفاك يموج

فكأن ماء البحر ذائب فضة × قد سال فيه من النضار خليج (1)

وينشد الشاعر عبد العزيز الملزوزي واصفا يوم لعزمة فيه السماء السحائب والغيث يبكي بالدموع السواكب :

اليوم يوم نزاهة وعقار × وتقرب الأمثال والأوطار

أو ما ترى لشمس الدوارق قد انتفت × وتحسرت من أعين النظار

والغيث سح غمامة فكأنه × دف يبكي من شدة التذكار

والبرق لاح من السماء كأنه × سيف تألق في سماء غبار

لا شيء مما أحسن فيه من نيل المنى × بمدامة تبدو كشعلة نار (2)

ويشوقنا الشاعر أحمد بن شعيب الى شنبانة بموصف جميلة كان ينزل فيها مع أبي يعقوب بن رضوان فيقول :

رعى الله وادي شنبانة × وتلك الغدايا وتلك الظلال

ومسرحنا بين خضر الغصون × ورق المياه وسحر الظلال

ومرتعنا تحت أدواحه × مكر عنا في النمير الزلال

---

(1) ـ محمد بن تاويت ، الادب المغربي ، ص: 453 .

(2) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 9 عبد العزيز الملزوزي ، ص: 10

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشاهد فيها كعرض الحسام × اذا ما انتشت فوقه كالحوال
وللمه من درعصائمه × لآل وأحسن بها من لآل
ويلبسه في ستور الخدور × كخود تمشى بسوق الحجال
وأسحاره كيف رقت شذى × وصبح النسيم بها في اعتلال (1)

ومن هذه الشواهد جميعا تبرز الطبيعة في ثوب الروعة والجمال ، وقد ملكت على الشاعر نفسه ، فما استطاع أن يتجرد من تأثيرها أو يبتعد عن جوها سواء أكان شعره غزلا أم مدحا ، مما يدل على أن البيئة التي عاش فيها الشاعر المغربي تتميز بمناظر طبيعية رائعة بحقولها وبساتينها وأنهارها وسواقيها وينابيعها العذبة ، وجميلة بشمارها وليلها ونجومها وسحبها ورياحها ، وبديعة بأشجارها ذات الظلال الوارفة وأزهارها العطرة ، وبسيولها العليل وجوها المعتدل في الربيع والخريف والمشتى والمصيف ، وحيوية بحيواناتها وطيورها .

كل هذه المظاهر كانت التي تتفجر منه شاعرية الشاعر المغربي ، ويطلوف عليه .

(1) ابن الخطيب ، (الاحاطة في أخبار غرناطة) ج 1 ، ص: 140 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلم يخل وصفه للمعارك من عناصر الطبيعة ، مثل قول الشاعر مالك بن المرحل يصف دخول المرينيين الى مراكش :

فتح تبسمت الاقحوان عنه فما × رأيت أملح منه مبسما وفما
فتح كما فتح البستان زهرته × ورجع الطير في أفنانه نغما
فتح كما انشق صبح في قميص دجى × وطرف البرق في أرداني علما
أضحت له جنة الرضوان قد فتحت × أبوابها وفؤاد الدين قد تعما
بفتح مراكش عم السرور فما × يكابد الغم الا قلب من ظلما (1)

وان دلت هذه الشواهد على أن الشاعر لم يستطع التخلص من تأثير الطبيعة عليه ، فانها تصور البيئة الطبيعية التي عاش فيها الشاعر المغربي ، وما تتميز به من الجمال ومواد الخيال ، فهزت مشاعره وألهمته من معانيها مالا يملك له دفعا الا بالتعبير عنه تمجيدا لهذه الطبيعة .

كما تدل أيضا على أن الدولة المرينية كانت كثيرا ما تقوم بالهجوم المعارك وتخوض الحروب لم يتخل الشعراء الكف عن وصفها هذه المعركة التي دارت بين جيش الزيانيين بقيادة يغمراسن ،

(1) عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 368 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجيش المرينيين بقيادة المنصور المريني وولديه :

أبي مالك وأبي يعقوب فوصفهما الشاعر عبد العزيز الملزوزي بقوله :

ألا أيها الجيش الذي رام حربهم × تيقظ الى البلوى فانك نائم

أتطمع أن تلقى ملوكا فلا فة × لبعضهم تعنو الملوك العقاقم

ألست ترى أسد العرين تبيدها × وأجسامها قد فارقتها الجماجم

سحائب أطيار ترنم فوقها × كما سجعت فوق الغصون الحمائم

اذا الخيل جالت في الحروب حسبتهم × قضاء من الرحمن ما منه عاصم

فهذا على اليمنى يبيد حماتها × وذاك على اليسرى فأين المقاوم

ووالدهم في جا حم الحرب بينهم × يبيد كماة الجيش والسعد قائم

ترى جثث الأبطال تسقط بينهم × سقوط مبان فارقتها الدعائم

وقد خضب البيض النجيع كأنه × رقاش وأطراف السيوف مصاصم (1)

وان أبرز هذا الوصف الشجاعة التي يتميز بها قادة الجيش المريني ، ولم يقتصر الشعراء عصرئذ على وصف المناظر الطبيعية والمعارك ، بل وصفوا كل ما وقع عليه بصرهم من معالم العمران كقول الشاعر ابن عبد الغفار يصف ((الساعة)) التي نصبها أبو عنان على واجهة مدرسة بفاس :

وآلة للمواقيت استقل بها × صنع تفوت النهى لطفا صنائعه

(1) عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 9 عبد العزيز الملزوزي ص: 2

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبياتها عد ابراج السماء ولا × قطب ولا فلك تدري مراضعه

يجري الهلال عليها جريها ابدا × على المنازل صنع فاق بارعه

في البيوت جوار كل واحدة × منهن خصت بصفات تطالعه

حتى اذا جدا أسراعالوجهته × وحم منه فراق حان واقعه

واذن الطير من أعلى مراقبه × بنبئه محربا عن ذاك قارعه

ثارت هنالك تود يعا له ودمعت × الى الفضاء على ذكر تشايعه

في اليمنى كتاب باسم موقتها × الى الأمام وقد أومت تهايعه (1)

كما وصفوا جمال الممدن مثل قول الشاعر

مالك بن المرحل يصف سبتة :

أخطر على سبتة وانظر الى × جمالها تحسب الى حمله

كأنها عود الخضاء وقد × ألقى في البحر على بطنه (2)

وقال عبد العزيز الملزوني في مراكش حين مرض بالحمى :

لمراكش فضل على كل بلدة × وما ابصرت عين لها من مشابه

وما هي الا جنة قد زخرفت × ولكنها حفت لنا بالمكاره (3)

وفي هذا الوصف دليل على مدى تعلق الشعراء المغاربة بمدنهم ومحبتهم لها مهم المغرب ،

---

(1) ـ محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، ص: 705 .

(2) ـ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج: 3 ، ص: 627 .

(3) ـ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج: 3 ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي كثيرا ماكانوا يصورون جمال مدنه في لوحات مزينة بمعالم الطبيعة الرائعة كقول الشاعر : عبد العزيز الهلالزوني في مدينة (سلا) :

لله درك ياسلا من بلدة × من لم يعاين مثل حسنك ما اشتفى

قد حزت بحرا ثم بحرا طاميا × وهذاك رد ت ملاحة وتزخرفا

فاذا رأيت بها القطائع خلتها × طيرا يحوم على البورود موفرفا (1)

ويحسنون كذلك الى مدنهم لما يستمدون عنها مصورين ايام صباهم بين أحضانها ، كقول الشاعر عبد المهيمن الحضرمي يحن الى بلدة سبتة :

سقى ثرى سبتة بين البلاد × وعهدها المحمود صوب العهاد

وجاد منهل الحيا ربعها × بوبله تلك الربى والوهاد

فكم لنا في طور سنافها × من رائح لاتنثني في اثر غاد

وعيشها البيضاء كم ليلة × بيضاء فيها خلت ليوم حداد

بالمنارة التي تسورها × لكل من ضل دليل وهاد (2)

ويتشوق اليها ابو العباس العزفي حيث كان ، عيشا سكن حبيبه في حشاه سكن :

لي في سبتة سكن × حبيبه في الحشا سكن

---

(1) عبد الله كنون ذكريات مشاهير رجال المغرب / 9 عبد العزيز الملزوني ، ص: 30 .
(2) عبد الله كنون ذكريات مشاهير رجال المغرب/ ذاه المليني الحضرمي ص: 32 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمهو يزداد جسده × مع ابتلائه الزمن
أصبح القلب عليده × وبصخر تماطلة المهدن (1)

ومن خلال هذه الشواهد الشعرية تكتشف معالم البيئة وتر تسم صورة الحياة السياسية والاجتماعية والنفسية التي عاشها الشاعر المغربي في عصر الدولة المرينية ، حيث كانت الحياة تتجاذبها أسباب التفاؤل والتشاؤم .

ويؤكد التشاؤم الهجاء الذي يصور الجانب القبيح من الحياة بذكر الصفات الرذيلة السيئة ، وهو يتبع من النزعة التشاؤمية في النفس الانسانية ، ولهذا فالشاعر المغربي كغيره من الشعراء عرف من الحياة الحلاوة والمرارة ، فلا بد أن يصور مرارتها كما يصور حلاوتها ، فقال الشعر المجائي ، لكنه لم يكن فيه فاحشا مقذعا لاذعا تشمئز منه النفوس وتتقزز ، وانما اتخذ طريقة النقد الاجتماعي وطريقة السخرية والملح والتطارف .

---

(1) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 27 ، أبو العباس الخزفي من 3

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه ما قاله مالك بن المرحل ، لما رأت له النساء امرأة شوهاء ، فخطبنها له وزففنها اليه دون أن يراها ، فلما دخل عليها وجدها :

حولاء تنظر قرنها في ساقها × فتخالها مبهوتة في الشارع
فطساء تحجو أن روثة أنفها × قطعت فلا شلت يمين القاطع
صماء تدعى بالبريح وتارة × بالدلبل أو يوءتى لها بمقامع
بكماء ان رامت كلاما صوتت × تصويت محزى لمحوجدي راضع
عرجاء ان قامت تعالج مشيها × أبصرت مشية غالع أو خامع
فلقيتها وجعلت أبصق نحوها × وأفر نحو دجى وفيه مسامع (1)

ولمالك تكتشف من التصوير الكاريكاتوري الذي استخدمه الشاعر في هجاء هذه المرأة الأسباب والدوافع التي جعلت النساء يحجبنها قبل تزويجها له ، كما تدل على عادة اجتماعية منتشرة في المجتمع العربي ، وهي زواج الرجل دون سابق لقاء أو رؤية للمرأة .

ولم ينج مالك بن المرحل من الهجاء ، فلقد تعرض لهجاء من الشاعر ابن عتيق الموسي الذي استوطن سبتة ،

(1) عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ص: 914 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث كانت بين الشاعرين عداوة ومهاجاة منها قولة :

لكلاب سبتة في الفلاح مدارك × وأشدّ هادركا لذلك مالك

شيخ تفانى في البطالة عمره × وأحال فكيه الكلام الأفك

كلب له في كل عرض عضة × ويكل محصنة لسان فساتك

أحلى شمائله السباب المفتري × وأعفّ سيرته الهجاء الماعك

بخشمى مخاطره اللئيم تفكها × ويحاف روّ بيته المحليم الناسك(1)

وقد ردّ عليه مالك بن المرحل بقوله :

كلاب الزابل الذيذبي × بأبوالهن على بساب داريي

وقد كنت أوجعها بالعصا × ولكن عوت من وراء الجدار(2)

ولم يكن هذا اللون من الهجاء الذي صبر عن الملامح المشوهة المنكرة بتصبير السخرية والتندر مجسدا المعاهات والنقائص ممازئا بها ، وداعيا في سلوك الانسان الخلقي مبديا مافيه من الصفات الرذيلة اللئيمة ، هو والذي تفشى في عصر الدولة المرينية فحسب ، وانما تخلل لون أكثر من الهجاء قصائد المدح والفخر ، يمكن أن نصبر عنه بالهجاء السياسي

(1) فروخ عمر ، تاريخ الأدب العربي ، ج : 6 ، ص: 324
(2) عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 3 ، مالك بن المرحل ، ص: 40 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كقول الشاعر عبد العزيز المعلوزي لما مدح يعقوب المنصور المريني ، وحرضه على يغمراسن الزياني فانه حقر قيمة يغمراسن وعظم قيمة يعقوب :

ارْ ى كل جبار بسيفك يصفر × وكل مليك عن فعالك يقصر
وكل عزيز خاضعا متواضعا × وكل يصان عن يمينك يعذر
بحثت الى يغمور بالصلح محلما × وقلت : عساه بالمصيبة يظفر
فلم يغتبط بالصلح جهلا وغلظة × فياعجبا من خاسر كيف يخسر
اوْدت بانْ تهديه للوشد والهدى × وكيف يرى رشدا شقي مشير(1)

ويتضح من هذه النماذج الشعرية ما كان في واقع البيئة الاجتماعية عصرئذ ، من تقلبات نفسية ، وقيم خلقية ، وعادات سائدة ، وتقاليد متبعة ، وما كان فيها من أحوال الوحشة والانقباض والتشاؤم والمقتمة والحقد والعداوة ، حيث ترصبت في نفوس بعض الشعراء فعبروا عنها في هذا الفن من الشعر .

واذا كان الهجاء يعبر عن وجوه القبح واليأس في الحياة ، ويجسد ملامح الشر والاختلال والشعور بالنقص والاختلاف في النفوس البشرية ،

(1) — عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 9 / عبد العزيز المعلوزي ص:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالرثاء يعبر عما يؤلم النفس البشرية ويمزق جدارها ويفتت حنايا الروح بما يشاهد من المخطوب، وتنصب فيه دموع الحسرة والألم والحزن والأسى، وخاصة في فقدان الأعزة والأحباب، من الأبناء والآباء والاخوان والأصدقاء والأزواج، وعامة في فقدان شخصيات هامة عند شعب أو أمة من الملوك والسادة والأشراف وشيوخ القبائل، أو في سقوط مدن أو أوطان في أيدي الأعداء، ولهذا فالرثاء عاطفة من أصدق العواطف الانسانية، وأخلدها على مر الدهور وكر العصور.

والشاعر المغربي في العصر المريني عبر عن هذه العاطفة الانسانية وذرف دموع الحزن والألم والأسى، لأنه تعرض لابتلاء الموت في فقدان الأعزة والأحبة.

ومن الشعراء الذين احترقت قلوبهم على أبنائهم: الشاعر ابن رشيد السبتي الذي ثكل ابنه محمدا لما كان بغرناطة:

شهاب ثوى شابت عليه المفارق× وغصن ذوى ناقت اليه الحدائق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على حين راق للناظرين بسوقه × رمته سهام المنون رواشق

فلما اختطافت منه الفؤاد بحدها × فلا ابصرت تلك العيون الرواموق

وحين تداني للكمال هلاله × ألم به نقص وجدت مواحق

ولا مثل فقدان البنى فجعته × وان طال ملحت ولجت بوافق

فلولا الأسى ذاب الفؤاد من الأسى × ولولا البكا لم يحمل الحزن طائق

فيا واحدا قد كان للعين نورها × أكل ضياء بعد بعدك غاسق

عليك سلام الله ما حن عاشق × وما هتفت شمس وماذ رشارق

وجاد على مثواك غيث مبرور × مهاد لرضوان الاله موافق (1)

فهذه الأبيات صورة لعاطفة الأب الذي فجعه الموت في ابنه ، فأشعل جذوة الحسرة والألم وأوقد لظى الحزن والأسى ، فصار كل فراق بأمر من أمور الدنيا أهون على النفس من الفراق بالموت ، وقد انهمرت دموع الحزن والأسى في أسلوب سهل ليس مزينا بالمحسنات البديعية المتأثر به من التأليف فيه حيث كان هذا الأسلوب يغلب على الشعر في العصر المريني ،

---

(1) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 28 / ابن رشيد ، ص: 389 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يبدو أن الشاعر قد داهمته الفجيعة فلم يستطع التعبير عنها في قمة قوتها الحرارية الا بعد أن هدأت مشاعره ، فتدخل العقل في تصوير معاني الحزن والشجن ، وتصوير حال الشاعر بعد فقده لابنه ، حيث أصبح كل شيء يذكره بابنه من الأصوات والأسماء والحركات تجعله يتخيل أن ابنه واقف أمام عينيه ، وكان يتمنى أن يسبق ابنه غير أن القدر لا مرد له ، فسلم به الشاعر ردعا لابنه بالرحمة .

ولا شك أن الاحساس بفجيعة الموت وتصويرها بهذا الأسلوب اللين الذي يستخدم البديع وعناصر الطبيعة في تمثيل صوره ، لهو من طبيعة العصر حيث كانت الحياة الأدبية تعنى بوصف الطبيعة ومفعمة بالمعاني الدينية ومعتمدة على البساطة في المعاني والتكرار في الألفاظ ، والجزئية في الصور والمحسنات البديعية في الصياغة والتقريرية في الأسلوب .

واذا كانت الدموع رحمة ربانية جعلها الله في قلوب عباده يسيلها الانسان متى اعترته مصيبة أو فجعته الموت في عزيز عليه ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكما نست مرثيته تنبع من العقل أكثر من العاطفة حيث أنه صاغها بمنظور عقلي وساتها لتخفيف المصاب على قلوب المصابين بذكر من أفعالهم الدهر وداهمهم الموت من الملوك والأمراء .

ويبدو أن هذا الاتجاه في الرثاء الذي هو قديم في الشعر العربي ، انما يعبر عن نظرة المجتمع الى الموت وعاطفته نحوه في العصر المرابطي ، حيث كانت النظرة والعاطفة عمادهما الدين الاسلامي ، ولا ريب أن المغاربة في عصر بني مرين تعلقوا بحبال التدليس ، فجاهدوا عدوهما المسيحي ، وبذلوا كل ما هو نفيس من أجلها ، ومن أجل حماية الاسلام والدفاع عن المسلمين بها ، ولكن :

لهفا على الدلس من جنة × دارت بها من العدا جهنم
استخلص الكفار منها مدنا × لكل ذي دين عليها ندم
قرطبة هي التي تبكي لها × مكة حزنا والصفا وزمزم
وحمص وهي أخت بغداد وما × أيامها الا الصبا والحلم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تركوك في بطن الثرى وتشاغلوا × بصلا سواك فصرفهم الاكثار

لما وقفت بقبره متوحما × بأن العزاء وهاجني استعبار

فبكيت دمعا لو بكت بمثله × عز المصائب لم تكن امطار

يا زائريه فاستغفروا لعليكم × ملك الملوك فانه غفار (1)

وهكذا وضع الشاعر انه لم يسلم من الموت أحد، حتى الملوك والامراء سكنوا الثرى بعد القباب، ووسدوا الجنادل بعد الحرير، ولم تنفعهم القوة يوم الورود، ولا العساكر الجرار وفي هذا تحذير للناس من مسالمة الدهر، لانه غدار لا يجني منه الانسان الا الموت والدمار، اذن فعلى الانسان ان يتخذ من الموت عظة لمراجعة سلوكه الدنيوي والتسليم بالقضاء والقدر، ولذا كان بكاء الشاعر على عبد الواحد الوحيد في قبره، والدعاء له بالرحمة والغفران .

ويبدو كأنه أداء لحق أو واجب لم يكن بباعث الحزن والفجيعة،

---

(1) ـ عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 9 / عبد العزيز الملزوزي من:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالموت عبرة وعظة وانذار لهذا الانسان في الحياة ، فهذا الشاعر عبد العزيز الملزوزي يرثي الأمير عبد الواحد الملك ، مستهلا مرثيته بوجوب الموت على كل الخلائق مهما عاشوا ، فلابد أن يصيبهم :

سهم المنية أين منه مفر × من في البرية من رداه يجار

حكم الزمان على الخلائق بالفنا × فالدار لا يبقى بها ديار

عش ما تشاء فان غايتك الردى × يملى الزمان وتذهب الأعمار

فاحذر مسالمة الزمان وأمنه × ان الزمان بأهله غدار

وانظر الى الأمراء قد سكنوا الثرى × وعليهم كأس المنون تدار

قد وسدوا بعد الحرير جنادلا × ومن اللحود عليهم أستار

ملحوا القباب وأسكنوا بطن الثرى × حكمت بذلك عليهم الأقدار

لم تنفع الجرد الجياد ولا القنا × يوم الردى والصمسكر الجرار

في موت عبد الواحد الملك الرضى × لجميع أملاك الورى انذار

أن ليس يبقى في الملوك مملك × الا أتته منية وبوار

نادية والحزن خامر مهجتي × والقلب فيه لوعة وأوار

يا من ببطن الأرض أصبح أقلا × أتخيب في بطن الثرى الأقمار

ان الذين عهدت صفو ودادهم × هل بعد الردى لك جار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استخلصوا موضعا فموضعا × وا قتدروا واحتكموا وا نتقموا
وقتلوا ومثلوا وأسروا × واحتملوا وأيتموا وأيموا
حتى اذا لم يبق من حياتها × الا ذماء تدّعيه الذمم (1)

واذا كان هذا هو مصير الأندلس الذي صارت اليه ، فان المرينيين لم يقفوا متفرجين ، وانما أسرجوا لنصر الاسلام وأجمعوا تحقيقا لآمالهم في استرجاع المدن الضائعة وابعادهم للشوك الذي حلّ بها بعد الايمان ، ولكن لكل شيء اذا ما تم نقصان ، اذ دهى الجزيرة أمر لا عزاء له ، فأضحى أهلها جزرا ، وأمسى جدها تحسراء وارتحل الايمان مبتئسا ، فحزّ هذا المصير قلوب الشعراء بسيف الحزن ، فرثوها بقصائد غمرتها الحسرة والألم ، وخصوصا لما انتقلت الحرب من الأندلس الى المغرب بعد فترة المرينيين ، حيث سقطت عدة مدن مغربية في أيدي الأعداء مثل : طنجة وأصيلا والعرائش وسبتة والمعمورة .

ولا شك أنّ الضغائن والاحن التي عرفتها الحياة في العصر المريني ولدت شكوى الدمر لدى الشعراء ،

(1) — عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 633 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأودعوا شعورهم الآلام وأسهاب الأحزان ، ووصفوا حالهم مصورين مقاساته من المصائب والأذى ، فهذا الشاعر أبو القاسم الشريف يصف حاله بعد وصوله الى غرناطة :

وأن غرناطة الغر حللت بها × فصرت من ريب هذا الدهر في حرم
وأكسرتني مغانيها وما عرفت × الا بقوضي في أبياتها القدم
لولا مضارب من آل النبي بها × وهن ما هن من طيب وكرم
لقلت لا جادها الحيا أبدا × الا بساقع سم أو عبيط دم
لا يسفحن عليها الدمع من جزع × يوما ولا يقرعن الحسن من ندم
ما ضرّني أن نبا بي أرضي وطني × عنها ولي شرف البطحاء والحرم(1)

فهذه لفتة تدل على ما لقيه الشريف من قومه في بلده من جحود ونكران وتضييع وحرمان ، فحزم مطاياه للرحيل وراح عليها بين الوخد والذميل :

وفي منأى منأى للكريم عن الأذى × وفيها لمن يخاف القلا متعزل (2)

وأبو العباس الحزمي الذي أحرقته جذوة الحسب وغضب الشيب لمتته ، فأصبح يقول :

لا قيت بعدك ما لوان اقله × لا قى الثرى لاذاب صم الجندل

---

(1) سعيد الدة كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 21 ، ابو القاسم الشريف ص: 16
(2) — المصدر نفسه / ص: 16

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحملت في حبيك ما لو حملت × شم الجبال اخفه ، لم تحمل

من خيف دهر بالحوادث مقدم × حتى على خيس الهزبر المشبل

قد كنت منه قيل كر صروفه × فوق السنام فصرت تحت الكلكل

ونصول شيب قد ألم بلمتي × ونضوب غض شبيبة لم تنصل

يسقي الاقامة ما بقيت وأسمت × لا تنزل اللذات مالم يرحل (1)

ولعلك ترى هذه الحال التي صار اليها أبو العباس الحزفي من معاناة الحب الذي أودى به الى الحضيض وزاده شيب الاعنات والحرمان ، فتيقن أن اللذات لا تعود ، وان خفف عن نفسه بالتحبيب عن دوام غضة الشباب التي لم تنطفئ جذوتها في قلبه ، غير أن الشيب ود أن حميمه لا قى الحمام .

واذا كان الشيب من نوائب الدهر وعلامة القرب من الفناء وانقطاع اللذات ، فان بعض الشعراء اتخذوه عذلة وعبرة ووسيلة لملاينة الحسان للتحديل من سلوكه ورجوعه عن الغي والانغماس في الملذات :

بأي لسان أم بأي طبيب × يداوي غدار من بياض مشيب

(1) ـ المقري ، أزهار الرياض ، ج 2 ، ص: 357 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيـــاض كما لاحت كواكب سحرة × تـريك طلـوعـا مـوهـنا بغـــروب

بشير نذير الأي كالفجر صادقاً × على كاذب حلو اللسان خلوب (1)

وكان عند بعض الشعراء مانعا وحاجزا يحول بينهم وبين المتعة واللذة :

ويوم كساه الدجن ركن ثيابه × وصب لتسهيم الوشي وهو عليل

وجالت جياد الراح بالراح جولة × فلم تحل الا والسوقار قتيل (2)

وكان كذلك يجعل الشاعر عن التغزل ويشحب وصفه لجمال النساء :

لولا مشيب بفودي للفؤاد عصى × أغضيت في همه التشبيب لي قلصا (3)

واذا كان الشيب موضوعا تناوله الشاعر المغربي ليعبر من خلاله تجاربه وأحواله النفسية ، فان الاستعطاف والاعتذار كانت له أسباب منها : السجن أو اعراض الأمير أو التقصير في تلبية دعوات الأصدقاء ، فعبر الشعراء خلاله عن المحن التي تعرضوا لها وصوروا أحوالهم النفسية والاجتماعية وياوا أنفسهم مما تورطوا فيه من اساءة ، أو ما نسب اليهم من التهم بباعث الوشاية أو الغيرة أو الحسد .

---

(1) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 8 ، مالك بن المرحل ، ص: 29 .
(2) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 27 ، ابو العباس العزفي ، ص: 10
(3) ـ المقري ، نفح الطيب ، ج : 6 ، ص: 246 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذا الشاعر ابن خلدون الذي غضب عليه أبو عنان فارس المريني فحبسه ، فنظم قصيدة مستعطفا إياه فيها قائلا :

على أي حال لليالي أعاتب × وأي صروف للزمان أغالب
كفى حزنا أني على القرب نازح × وأني على دعوى شهودي غائب
وأني على حكم الحوادث نازل × تسالمني طورا وطورا تحارب
أحن الى الفي ، وقد حال دونهم × سحاب فيسح دونهن سحاب
وقد امتطي فكري لدى الليل مركبا × بذكر الذي تحدى اليه الركائب
وأعشو الى مدح الخليفة فارس × فتنجاب عني الخطوب فيهاب
امام هدى ضاءت شموس اهتدائه × فبانت من بينهن المذاهب
لك الله من ملك أغر مهذب × تقيل المراقي عنده والمناصب
أبى الله الا أن يكون لك العلا × تنيل السوى عفوا فتصفى المعايب
وان أثبتت الأعداء اني مذنب × فصفحك يا مولاي للذنب سالب
وهبهم رموني بالتي لست أهلها × أليس انتسابي واضح متناسب
أبعد انتزاحي عن بلادي تحثني × الى بابك الأعلى مطلبي شواذب
واني على يقين علم بان لا محالة × لسواك على الدنيا ولا عنك ذاهب
ولكن عواد ان عدتني عن الزما × ن زمانا ، فاني اليوم منهن تائب
سأنزع عما أنت — والله — ساخط × فأمرك محتوم على الخلق واجب (1)

(1) — ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ، ص: 367 ، انظر كذلك تاريخ الأدب العربي لفروخ عمر ، ج : 6، ص: 599 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل ذلك تلاحظ أنّ الشاعر لما طال عليه الزمان في السجن ، لجأ الى استعطاف الأمير محاولا استمالة قلبه ذاكرا ما لقيه من أتعاب من أجل الوصول الى رحاب هذا الذي لم يهتم برعايته ولم يعرف قيمته ومقدار مكانته فراح يمدحه دون أن يتذلل أمام الممدوح محاولا أن يهون من الخطأ الذي ارتكبه مبرئا نفسه بالتوبة .

كما يبدو أنّ الشاعر كان ضحية الوشاية والغيرة والحسد بين أهل القلم من التزاحم في قصور الدولة المرينية ، المؤدي الى التنافس بينهم ، لأنّ تلك القصور كانت مؤتمر العلماء ومنتدى الأدباء وعكاظ الشعراء بفضل تشجيع الأمراء المرينيين للحركة العلمية والأدبية .

ولا شك أنّ في خضم هذه الحياة المفعمة بالأفراح والأتراح ، دعا الشعراء الى التأمل والتفكير في الحياة ، فانتجوا الشعر الحكمي الذي يهدف الى الاصلاح ، اصلاح الفرد والمجتمع ويغذي العقل بالمعاني ، ويحذر الناس من السقوط في الأخطاء ، الا أنّ هذا النوع من الشعر كان قليلا اتى متناثرا بين ثنايات قصائد الفنون الأخرى ، لكنها تدل على خبرة الشاعر المغربي بالحياة وتأمله في سيرها وتفكيره في تطورها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثل السلطان الشاعر ابي عنان الذي عبر عن من يجهل تسيير الحكم :

واذ اتصل للرياسة خامل × تجري الأمور على الطريق الأعوج (1)

ويحذر الشاعر عبد العزيز الملزوني الانسان من غدر الدهر ، وأن يتخذ الموت عبرة وعظة :

سهم المنية أين منه فرار × من في البرية من رداه يجار

حكم الزمان على الخلائق بالفنا × فالدار لا يبقى بها ديار

عش ماتشاء فان غايتك الردى × يبلى الزمان وتذهب الأعمار

فاحذر مسالمة الزمان وأمنه × ان الزمان بأهله غدار (2)

ومما أن العيش في الدنيا بأمان أمر مستحيل في حياة الانسان المفعمة بالمفاجاة والتطلع تعجب الشاعر بقوله :

عجبت من الأيام اني ألفتها × مسالمة الأيام احدى العجائب

ولا بست حالتيها من الكره والرضا × وقد شاب رأسي وهي سود الذوائب

ومارست أبناء الزمان فلم أجد × إخاء ثقة يا حبذا ، غير التجارب

مليون بالمفاجاة الا تملقا × وما هو الا مثل أبناس حالب (3)

---

(1) — عبد الله كنون ، أضواء على الشعراء ، ص: 44 .
(2) — عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 9 ، عبد العزيز الملزوني ، ص:
(3) — ابن الاحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص: 336 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويسخرون دائما الى حيث المال وأسباب الغنى :

وانما الناس امثال الفراش فهم × يلتفون حيث مصابيح الدنانير (1)

ولذا فمن بلاه الدهر وقلب صروفه عليه ، وغمسه في الملذات والمتع الدنيوية :

جدير بأن يبكي على نفسه أسى × فتى كلما ترجى له توبة ترجى (2)

ولعلك تستنتج من هذه الأبيات أن الحكمة والوصايا في الشعر العربي كانت تصدر عن تجربة الشعراء الحقيقية في الحياة ، لكنها اتسمت بالسطحية في المعاني والمذاجة في الأفكار وأعوزتها الأفكار الفلسفية العميقة .

واذا كان العصر العربي لم يعرف الاستقرار السياسي والاطمئنان الاجتماعي ، فانه عرف الازدهار الثقافي نتيجة اهتمام الحكام بالمدارس والمكتبات ، وثمار مازرعه العلماء الذين كانوا يأتون الى المغرب الذي كان حلقة وصل بين المشرق والأندلس ، لذا ازدهرت العلوم وتنوعت ، فما كان من الشعراء الا التعبير عنها ،

---

(1) ـ المقري ، نفح الطيب ، ج : 5 ، ص: 470 .
(2) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 8 ، مالك بن المرحل ، ص: 30 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فما استطلته المسائل الدائرة بين العلماء منه هذه الأبيات التي سأل بها الشاعر أحمد بن شعيب الجزائري أبا جعفر بن رضوان عن مسألة في علم الكيمياء :

ولله منك أبا جعفر × عميد الجلال حميد الخلال
تطارحني برموز الكنوز × وتسفر لي عن معاني المعالي
فالقط من فيك سحر البيان × مجيبا به عن عويص السؤال(1)

ولم يكن الشعر وسيلة لنقل المعارف والمسائل العلمية فحسب ، وانما عبر حسن المعرفة والاتقان لهما لدى بعض الشعراء ، كأبي الحسن علي بن دلفة المزداني المكناسي المتوفى سنة : (749 هـ) ، اذ يقول : لما وشي به عبد المهيمن الحضرمي السبتي للسلطان أبي الحسن علي ظنا منه لا يحسن العلوم :

أنا بالحساب والكتابة عارف × أنا ان شعرت نهاية الشعراء
واذا خططت بدا الصواب مطاوعا × واذا نطقت ، فما أفصح العلماء
أنا بالمساحة اي حبر مكتف × أنا بالفرائض واحد العلماء
ولدي من نحو الخليل كفاية × توضيحك وأحسبني من الفقهاء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتستبعدي الاركان منك مصرع × لا مسكنوا نعي من القصراء

ولذاك دار الملك خالية لها × يدلي به مثلي من النبهاء

وأراه عارا ان اقول اثنا وا ن × كره الزمان أن تظاهر العلماء

لكن اذا ما كنت في سافلا × عزلوا عن الاكسار لا رزاء

دعهم أمير المؤمنين فانه × ليث العرين يساق نحو الشاء (1)

وتخلص المظفر عن افتخار الشاعر باتقانه للعلوم والتوسع فيها فانه يعدد العلوم التي ازدهرت في العصر كالرياضيات والنحو واللغة والفقه ، فكانت تلك العلوم وأنواع الدراسات انذاك موضوعات الشعر ، مما يدل على أن الموجهة التعليمية كانت من المهام التي قام بها الشعر وسايرها في العصر المريني ، حيث نظمت القصائد التاريخية أو العلمية والارجيز في مختلف فنون المعرفة .

ومن أمثلة ذلك أرجوزة الشاعر عبد العزيز الملزوزي التي تذكر سيرة المنصور المريني اذ يقول فيها :

سيرة يعقوب بن عبد الحق × قد حاز فيها قصبات السبق

سيرته أن يقرأ الكتابا × ويذكر العلوم والآدابا

يقوم للصلاة ثلث الليل × وماله من وده من ميل

(1) ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص: 345 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى اذا ما الصبح ولّى وانصدع × قام وصلّى لسلاله وركع
(1)
وضح بالتسبيح والتقديس× حتى يتم الحزب في التغليس

ومن القصائد التاريخية التي تروي غزوات يعقوب المنصور المريني بالأندلس وغزوات ابنيه وقبائل بني مرين والقبائل العربية قول الملزوني :

سأودع غزوهم في الروم نصا × ونظما لا أضاف به اضطرابا
وأذكر من وقائعهم أمورا × يصير بها الشرك صابا
(2)
وذلك ان مولانا الناصر × عزائمه بطنجة الركابا

ومن المنظومات التعليمية أيضا نظم مالك بن المرحل لـ ((فصيح ثعلب)) حيث بلغ عدد أبياته ما ألفا وثلاث مائة بيت (1300) ، يذكر في فاتحته بعد التحميد لله والشكر له والصلاة والتسليم على النبي محمد ذي الكلام الفصيح :

وبعد هذا فجرى في خاطري × من غير تدبر تادب وافتكر
أن أنظم الفصيح في سلوك × من رجز مهذب مسبوك
وبعض ما لا بد من تفسيره × وشرحه والقول في تقديره
(3)
من غير اعتمد وذلك المعنى × واللفظ الا لاضطرار عنا

(1) — عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 9 ؛ عبد العزيز الملزوني، ص: 14
(2) — ابن ابي زرع ، روض القرطاس، ص: 200 .
(3) — عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 8؛ مالك بن المرحل، ص: 6 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلته في باب فصلت بشيء أو أسف :

ورعدت سماؤها وبرقت × كأنها قد بسمت وبطقت

كذلك الانسان في الوعيد × وفي المخيف منه والتهديد

وقد يقال في الوعيد أرعدا × وأبرق الانسان أن تهددا (1)

وقد كانت الرحلات مزدهرة في العصر المريني ، فسايرها الشعر وعبر عنها واستعان به الرحالة في سرد وتصنيف الحقائق والمعلومات وحدث به على الرحلات مبينا فضائلها وفوائدها مثل قول الشاعر ابن رشيد السبتي في الوحلة والاغتراب :

تغرب ولا تجفل لفرقة موطن × تفز بالمنى من كل ما شئت من حاج

فلولا اغتراب المسك ما حل مفرقا × ولولا اغتراب الدر لم يحظ بالتاج (2)

ومن خلال هذه النماذج الشعرية التي تناولت مختلف الموضوعات تتبين صورة العصر المريني مرسومة بأدق تفاصيلها في جميع الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية ، كما تتبين مستويات الشعر الفنية ، فمن حيث الحياة السياسية لم تعرف الاستقرار والاستتاب ، وانما اعتراها الاضطراب والانقلاب في معظم فترا تها ، ومن حيث الحياة الاجتماعية عرفت أحيانا الاطمئنان والازدهار ، وأحيانا أخرى تأثرت بالنكبات السياسية ، وأما من حيث الحياة الثقافية فانها عرفت الازدهار الفكري والأدبي ، غير أنها غلب منهج التقليد والاقتداء أكثر من الابداع والابتكار .

---

(1) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 3 ، مالك بن المرحل ، ص: 10

(2) ـ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 309 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

- الخصائص الفنية :

عرفنا فيما سبق أن الشعر المغربي في عصر بني مرين ، واكب أحداث العصر السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية ، بحيث لم يترك موضوعا من الموضوعات التي عرفها الشعر العربي ، أو التي جدت في ذلك العصر الا عبّر عنها ، وتوسع في التعبير ، ولكن الحديث عن الناحية الموضوعية يبقى غير مكتمل اذا لم نتطرق الى الناحية الفنية ، وحتى تتضح الخصائص الفنية للشعر المغربي في العصر المريني ، يستحسن أن نتعرف على أنواع الأغراض التي كانت اطارا له ، ولذا يمكن أن نصنف الشعر المغربي آنذاك الى ستة أغراض :

- الغرض الأول هو : القصائد الطويلة الكاملة التي تعالج أكثر من موضوع واحد .

- الغرض الثاني هو : القصائد القصار والمقطوعات التي تعبر عن الأفكار والخواطر بداهة دون تكلف أو الاتيان بأعمال تجهد الفكر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعضهما الآخر يعبر عن تجارب شعورية بذل الشاعر فيها جهدا فكريا وعملا تكلفيا قصد ابرازتلك التجارب .

- الضرب الثالث هو : الشعر التعليمي أو الأراجيز التي نظمت قصد تعليم الفقه والنحو واللغة والسير التاريخية ، وهي لا تشترك مع الشعر الا من حيث الوزن والقافية ، وقد كثر الانتاج من هذا الشعرالتعليمي كثرة جعلت أحد الباحثين يحكم الحكم على الانتاج الشعري في عصر بني مرين بأنه :((تغلب عليه الصبغة العلمية في مجموعه فتبعده عن ميدان الفن الخالص الذي يعتمد قبل كل شيء على المخيلة والعاطفة وجمال التعبير ورشاقة الأسلوب)) .(1)

- الضرب الرابع : الموشحات التي انفرد بها الشعراء الأندلسيون وأصبحت فنا مميزا لهم ،وقد عالجوا بها كثيرا من الموضوعات الحياتية .

- الضرب الخامس هو : قصائد مثل الموشحات تدعى : (2)
((عروض البلد)) ، نظموا فيها بلغتهم الحضرية معالجين الموضوعات المختلفة .

(1) - البحث العلمي ، عدد : 13 ، السنة : 5 ، جانفي : 1968م ، ص: 35 .
(2) - هو شعر شبيه بالموشح الا انه يختلف من حيث الاعراب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر ابن خلدون بعض أصنافها مثل : المزدوج والكاني والغزل ، وسماه المطمطمة التي نظمها الكفيف المكناسي في ذكر رحلة أبي الحسن المريني ، وبني مرين واصفا هزيمتهم بالقيروان (1) .

ـ الضرب السادس هو : الزجل الذي استحدثه الأندلسيون وأبدعوا فيه أيما ابداع ، ومن شيوخ الصناعة فيه أبو بكر بن قزمان الامام في هذا الشأن ، وقد شاع الزجل في عصر بني مرين بين الناس .

وإذا كنا نعت هذه الأضرب تدل على تطور في الشكل الشعري في عصر بني مرين ، فان بناء القصيدة ظل سائرا على النهج التقليدي الموروث عن الشعر العربي القديم بطريقتيه :

طريقة الحرب الأوائل ، وطريقة الشعر المحدث ، بالاضافة الى طريقة الأندلسيين في الموشحات والأزجال ، وان حاول بعض الشعراء التخلص من قيد النهج التقليدي في بعض القصائد القصار والمقطوعات .

---

(1) ـ ابن خلدون ، المقدمة ، مجلد : 2 ، ص: 1163 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن تبقى قصائد المدح الطويلة في أغلبها تستهل بالحديث على فراق الأحبة أو وداعهم أو التشوق الى الديار التي سكنوها صبيحة ما تركه ذلك الفراق في نفس الشاعر من آلام تضرب به هائما في البيد الى أن يصل الى ممدوحه ، حيث يلتفت الى المدح من الاشتغال بصفات الممدوح وأعماله في الحروب وغيرها صبيحة ما حققه من الانتصارات ، وكان الشاعر لا يتيح له التشوق والحنين الى المحبوب اسما الى الممدوح ، ومثل هكذا ما نجده عند الشاعر عبد العزيز الملزوزي في قوله :

أشاقتك أطلال الديار الطواسم × فقلبك حيران ودمعك ساجم
وقفت عليها بعد بعد أنيسها × وصبرك قد ولّى ووجدك لازم
بعيدا عن الأوطان تسلى فانها × تهيج أشواق المحب المعالم
تحن الى سلمى ومن سكن الحمى × وأين من المشتاق تلك النواعم
اليك فاني لست ممن تشوقه × محاسن سلمى أو سبتة المباسم
اذا هامت العشاق يوما بكاعب × فقد بات في الادلاج في البيد هائم
لا لقى مليك الأرض وابن مليكها × أبا مالك ليث الحروب الضراغم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مذل الأعادي في سماء عجاجة× بك البيض يبرق والدماء غمائم
رواعدها صوت الكماة وشهبها × دراري هند تشتهيها الصوارم (1)

كما نجد هذا النوع من المقدمات عند الشاعر ابن عبد المنان حينما يمدح الأمير أبا عنان في قوله :

ألف النجوى مذبان سكان اللوى × صب يهيج غرامه نفس الصبا
وشجاه آن تميل الألى قد ودعوا × شط المزار بهما ، وعز الملتقى
حفظ الاله عهودهم وسقاهم × صوب الغمام ولا سقى يوم النوى
ماذا افادوا مضمرين بسحرة× تظلما وتضحى عيسهم رائد الضحى
ولقد كفتهم واكفات مدامعي× لما شووا من أضلعي بالمنحنى
قسما لما راعوا بوشك نواهم × روحي ، وقد عبثوا بشكوى من شكا
الا وقد نذروا دماء حرمت × ظلماء ارأق الظلم منها واللمى
وبمهجتي منهم محجبة حمت× قلبي السلو ، ومقلتي طيب الكرى
حسانة تجلاء باهرة السنا × خمصانة جيداء عاطرة الشذا
وقوامها كالغصن الا أنه × يهتز بين البدر حسنا والنقا
قالت وقد ودعتها متجملا :× ايه بعيشك عن فؤادي هل سلا ؟
فأجبتها وأبيك لا أسلو ، ولا × حل الفؤاد سوى هذا الهوى

(1) ـ ع . كنون ، عبد العزيز الملزوني ، أذكريات مشاهير رجال المغرب ، ص: 17 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى يسوى فقرا بساحة بلدة × وبها الخليفة فارس مضى الورى

ملك تنته الى المكارم عصبة × كرمت أواصرهم وعزوا منتمى

وبث المعالي عن علي المجد عن × عثمان عن يعقوب أعلام الهدى (1)

وتلاحظ أن هذه المقدمات الغزلية لا تعبر عن تجربة الشاعر الحقيقية في الغزل ، انما هي تقليد لنموذج القصيدة القديمة نتيجة التأثر ، ولم يكن الغرض من ذلك الا استعطاف الممدوح ولفت نظره الى المعاناة التي عركت نفس الشاعر لأجل الوصول الى الممدوح .

وقد يكون ذلك الممدوح يقيم في مدينة ، فيقدح الشوق والحنين في نفس الشاعر الى تلك المدينة ، فيصدر قصيدته بالشوق والحنين والوصف لتلك المدينة حيث يقيم الممدوح ، كما في قول الشاعر عبد العزيز المغيزني بمدينة (سلا) ، حيث أخذ المنصور المريني البيعة لولده يعقوب في اثني عشر (12) ربيع الأول من سنة : (671 هـ) :

ياظبية الوعساء قد برح الجفا × اني صبرت على فراقك ما كفى

كم عصيت على هواك عواذلي × وأثاب بالتسهيد منك والجفا

(1) ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، ص: 351 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حملتني ما لا اطيق في الهوى × وسقيتني من مزج لحظك ترقفا

وكسوتني ثوب النحول فمنظري × للناظرين عن العيان قد اختفى

هذا قتيلك فاحمني فانه × قد صار من فرط النحول على شفا

لهفي على زمن تنقض بالحصى × وعلى محل بالاجيوع قد عفا

اتُرى يعود الشمل كيف عهدته × ويصير بعد فراقه متألفا

لله درّك يا سلا من بلدة × من لم يعاين مثل حسنك ما اشتفى

قد حزت برا ثم بحرا طاميا × وبذاك زدت ملاحة وتزخرفا

فاذا رأيت بها القطائع خلتها × دلبوا يحوم على الورود مرفرفا

والجاذفين على الركيم كأنهم × قوم اتخذوا امامها مصوفا

جعل الصلاة لهم ركوعا كلها × وأتى ليشرع في السجود مخففا

والموج يأتي كالجبال عبابه × فتظنه فوق المنازل مشرفا

حتى اذا ما الموج أبصر حمده × غض الحماسان على السرى وتوقفا

فكأنه جيش تعاظم كثرة × قد جاء مزدحما يهنيء يوسفا

ملك به تزهى الخلافة والعلا × وبه تجدد في الرياسة ما عفا (1)

ولعلك تلاحظ أنّ الشاعر مزج بين موضوعين هما : حبه لتلك المدينة ، ووصف حسنها بما حازت من البر والبحر اللذين زادا ها ملاحة وزخرفة ، قبل الولوج الى موضوع المدح .

(1) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب ، عبد العزيز الملزوزي ص: 80

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يتقيد شعراء المغرب في عصر بني مرين في المقدمات التقليدية ليصدروا بها قصائدهم فحسب ، بل انهم عرفوها في بعض قصائدهم باتباع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيرة الخلفاء الراشدين والصحابة أجمعين ، أو بالمعالم الدينية ، أو الدعوة الى التمسك بالدين والاتصاف بالتقوى ، فكانت هذه المقدمات الدينية في بعض القصائد المديحية توحي بصفات الممدوح المتمثلة في المعرفة والعلم والتمسك بالتقوى ، وأمثلة هذه المقدمات نجدها عند الشاعر عبد العزيز الملزوزي في بائيته التي يستهلها :

بحمد الله أفتتح الخطابا× وأبدأ في النظام به الكتابا

لعمل الله يبلغني الأماني × ويفتح بالسرور عليّ بابا

ويرشدني الى نقل صحيح × ويرزقني من القول الصوابا (1)

أو قد تكون هذه المقدمات الدينية في صدر قصيدة تعالج موضوع الهجاء ، وغير ذلك من الموضوعات المختلفة ، وأمثلة ذلك ما نجده عند الشاعر مالك بن المرحل في قصيدة يهجو فيها امرأة شوهاء بعد زواجه منها فيقول :

(1) — ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص: 200 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللـه أكـبر في منار الجامع × من سبعة تـأذين عبد خاشع
اللـه أكـبر للصلاة اقيمها × بيـن الصفـوف من البلاط الواسع
اللـه أكـبر محرمـا وموجها × وجهـي الـذي ربي بقلب خاشع

(1)

الحمد للـه السلام عليكـم × أمّيـن لا تفتح لكـل مخادع

وقـد يتبادر الى الذهن انّ الشـاعر قـدم لقصيدتـه بهـذه الأبيـات قصد التحكم في القافيـة التي جعلتـه اليهـا كلمـة ((مخادع)) ولأنهـا عنوان المشكلـة التي وقـع فيهـا ، لكـن يبدو والمقصد من ذلك انّـه يتصـف بالتقـوى ، وبعيد كـل البعـد عن المكـر والخديعـة ، غيـر انّ أمـر اللـه دون مـدافـع ، ولم تكـن تلك المقدمـات الغزليـة والدينيـة هي التي اقتصـر عليهـا شعـراء المغـرب في عصـر بنـي مـرين في افتتاح قصائدهـم المدحية وغيرهـا ، انمـا كـان وصف جمـال الطبيعة هو الآخـر موضوع المقدمـات وذلـك انّ بيئتهـم كانـت تمتـاز بطبيعـة خلابة رائعـة تعلقـوا حبـا واعتـزازا بهـا ، فكانـت عنصرا أساسيا في شعرهم ، يمـزج جمالهـا مشاعرهم وشاعريتهم وبلهمهم المعاني التي لا يملكـون دفعـا الا بالتعبيـر عنهـا .

(1) ـ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 914 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تعمق هذا التعلق لديهم بتقليد منهج القصائد التي مهدت لموضوعاتها الرئيسية بوصف الطبيعة سواء عند الشعراء المشارقة أو الشعراء الأندلسيين ونتيجة لكلا هذين العاملين أدرجوا وصف الطبيعة في بعض قصائدهم التي لم يكن الموضوع المقصود بالتحليل يبرر فيه وصف الطبيعة ، كهذه القصيدة للشاعر عبد المهيمن الحضرمي في مدح الوزير عبدالله بن الحكم :

تولى سحيرا والنسيم عليل × وللنجم طرف بالصباح كليل
وللفجر نهر خاضه الليل فاغتلت× شوى أدهم الظلماء منه جحول
بسوق بأعلى الرقمتين كأنه × طلا فحم شهب في السماء تجول
فمزق ساجي الليل منه شرارة × وخرق ستر الغيم منه نصول
تبسم ثغر الأقحوان عند ابتسامه × وفاضت عيون الغمام همول
وما التغصون البان نشوى كأنها × يدار عليها من صباه شمول
وغنت على تلك الغصون حمائم × لهن حفيف دونها وهديل
اذا سجعت في لحنها ثم قرقرت × يطلبع خفيف دونها وثقيل (1)

والملاحظ أن هذه المقدمة طويلة ، لكن طولها لا يجعلها تنفصل كل الانفصال عن الموضوع المراد .

---

(1) ـ المقري ، نفح الطيب (دار صادر : 1968) بيروت ، ج : 5 ، ص: 465 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اسما عمد اليها الشاعر تلبية لحتمية التأثر بمنهج القصيدة القديمة الذي لم يتمكن التخلص منه لكثرة ما تحفل من الشعر المشرقي والأندلسي ، وكذلك تعلقه بحب الطبيعة والتغني بجمالها جعله يعتمد خلال المدح على كثير من عناصر الطبيعة في تصوير الصفات التي يتسم بها الممدوح ، اذ عده في مكانة عالية لا تناظره الا النجوم كما عده في الجود سيلا وفي الأخلاق أطيب من هذا زهر الروض .

واذا كانت هذه المقدمات تدل على مدى اقتفاء شعراء بني مرين لمنهج قصيدة الشعر العربي القديم ، فانها تدل أيضا على احساسهم بالانتماء الى العروبة والاسلام ، وتكشف آثار العروق الثقافية بتياريها المشرقي والأندلسي .

وقد حاول الشعراء التخلص من المقدمات التقليدية المعروفة ، فمنهم من دعا الى تجاوزها ، وخصوصا اذا كانت غزلية أو طللية لأنها ليست هي المثير لأشواقه وحنينه وانما المشوق هو لقاء الممدوح .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كـمـا قـال الشـاعـر عبد الـعـزيز الـمـلـزونـي :

اليـك فاني لسـت ممن تشوقـه × مـشـاهـد سلـمى اوْ بيـشـة الـعـبـاسـم

اذا هامـت الـعشاق يوما بكاعـب × فقـد بـات فـي الاذلاج في البيد هائم

لا لـقى مليـك الارض وابن مليكـها × ابـا مالـك ليـث الحروب الضراغـم (1)

وهـنـاك مـن شـار عليـها كـمـا شـار عليـها ابـو نـواس من قبل ، كـالشـاعر ابي الـعـبـاس الـعـزفي يـمـدح الـوزيـر ابن الـحـكيم قـائـلا :

مـالي وللاوطـان اسْأل صلمتـا × منـهـا واعـول في مـهـامه فيـح

في الراح والـريـحـان شغل شاغل × لاسلي عـن عـيـافـة بـارح وسنيـح

واهـيـم في ورد الخـدود واسْـهـا × لا في عـرار بـالفـلاة وشـيـح (2)

وهـو هـنـا ان شـار على ذكـر الاطـلال ، فـانـه قـد م للـقـصيـدة بـذكـر الـخـمـر مـمـتـزجـة بـالـغـزل والـطبيـعـة ، وهـي لا شـك مـحاولـة من الـشـاعـر الـمـتحـريـر من قيـود الـمـقدمـة الطلليـة ، ليـستبـدل بـهـا بـمن يـؤنـسـه ويـرق لـحـالـه كـمـا يقـول :

امـا والـرسـوم فلـم تـرق لما بـي × واستعـجـبت عـن ان تـرد جـوابي

واستبدلت بوحشـها من انـسّ × بيـض الـوجـوه كـواكب اتـراب (3)

وان كانت هـذه الـمحاولـة عن غيـر قصـد من الشاعر ابي العباس الـعزفي للـتخـلص من الوقوف على الاطـلال والبكـاء في عرصاتـهـا ،

(1) — عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 9 ، عبد العزيز الملزوني ، ص: 7.
(2) — المقري ، ازهار الرياض ج 2 ، ص: 357 .
(3) — عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 87 ، ابو العباس العزفي ص.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا أنها لم تخفف من وطأة الشوق و الحنين ، ولم تطفىء جذوة فراق الأحبة و البعاد عن الوطن ، ولم تنس الحزن والأسى ، لكنه بث من خلالها موقفه ازاءها .

وكثيرا ماكان الشعراء من خلال هذه المقدمات يشكون حالهم ويوضحون بما ألمّ بهم من نوائب الدهر ، مثل الشاعر الشاعر العلامة ابن خلدون في قوله :

على أيّ حال لليالي أعاتب × وأيّ صروف للزمان أغالب
كفى حزنا أني على القرب نازح × وأنسي على دعوى شهودي غالب
وأني على حكم الحوادث نازل × تسالمني طورا ، وطورا تحارب
أحن الى الفي ، وقد حال دونهم × مهامه فيح دونهن سباسب
وما أنس لا أنس الوداع ، وقد جرت × دموع وزمت للفراق ركائب
عشية بانوا والقلوب جوامد × وكان عقيق في المواظر ذائب
مضوا يزمعون السير الا تلفتا × كما التفتت بين الأراك النوائب
وأتبعتهم طرفي وقلبي ، وما دروا × بأني على آثارهم ذين ذاهب
رعى الله عهدا ضمه أفق تونس × ومعهد أنس لم تروعه النوائب
وجادت عليه الغانيات بما حوت × من الظلم لا ما تحتويه السحائب
بلاد بها فض الشباب تمائمي × ولا مس فيها الترب مني التوائب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذكرني عهد الرضا في جنابها × أما ان تقضت لي بها ومآرب

فأصبو ، ولكن أين مني مزارها × وأبكي وان تفن عني السحائب

وقد امتطي فكري لدى الليل مركبا × بذكر الذي تحدى اليه الركائب (1)

ولا يعني هذا التقليد في بناء القصيدة أن شعراء المغرب في عصر بني مرين لم يتجردوا من هذه المقدمات المختلفة ، وانما كان منهم من تخلى عنها في كثير من القصائد بحيث دخل في الموضوع المراد مباشرة ، مثل الشاعر مالك بن المرحل في الرد على قصيدة الكاتب الشاعر ابي عمر بن المرابط الذي نظمها في الاستغاثة والاستنجاد ، وقد بعثها محمد الشاني ابن الأحمر ملك غرناطة مستغيثا بسلطان المغرب يعقوب بن عبد الحق المريني ، فأجابه هذا الأخير بقصيدة من نظم مالك يهنئ المرحل الذي استهلها بقوله :

شهد الاله وأنت يا أرض اشهدي × انّا أجبنا صرخة المستنجد

لما دعا الداعي وردد مخلصا × قسما لنصرته ولم نتردد

نعني له بأسنة قد جردت × من غمدها والصبح لم يتجرد

(1) ـ ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، في المجلد : 7 من العبر ، ص: 361 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لولا الأسنة والسابك ما درى × أحد بسير خيولنا في الدرقد (1)

اذ تلاحظ انه لم يعمد الى مقدمة يستعين بها في الوصول الى الاجابة على المطلب ، انما يبدو كأنه استهلها بخاتمتها ، وكذلك في قصيدته التي استفسر بها الناس للجهاد في الأندلس بقوله :

استنصر الدين بكم فاستنهضوا × فانكم ان تخذلوه يسأم

لا تسأموا الاسلام يا اخواننا × وأسرعوا لنصره وألجموا

لاذت بكم أندلس تشدة × يرحم الدين ويحم الرحم

فاسترحمتكم فارحموها انه × لا يرحم الرحمن من لا يرحم

ما هي الا قطعة من أرضكم × وأهلها منكم وانتم منهم (2)

فهو هجم على الموضوع المراد دون الاعتماد على مقدمة من المقدمات التي اعتمدها الشعر العربي بالرغم من انه كان متأثرا بمنهج القصيدة القديمة .

ومن هذا يبدو أن الشعراء في عصر بني مرين أدركوا أن الشعر اذا تعلق بحادث كفتح أو هزيمة جيش أو استنفار أو استنجاد لا يحتاج الى المقدمات الغزلية أو غيرها من التي لم تكن لها صلة بالموضوع .

---

(1) عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 8 ، مالك بن المرحل ، ص 25 .
(2) عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج 2 ، ص 333 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن الاستماع تكون متطلعة الى ما يقال في تلك الحوادث ، مما يدل على الميل الى الالتزام بالوحدة الموضوعية التي سنبينها في موضعها .

وبما أن عناية الشعراء بالمطلع كانت منذ القديم لأنه ((أول ما يقرع في السمع من القصيدة والدال على مابعده المتنزل من القصيدة منزلة الوجه والصورة ، فاذا كان بارعا وحسنا بديعا ومليحا رشيقا وصدر بما يكون فيه من تشبيه وابقاظ لنفس السامع ، أو اشتراب بما يؤثر فيها انفعالا ويثير لها حالا من تعجيب أو تهويل أو تشويق ، كان داعيا الى الاصغاء أو الاستماع الى ما بعده)) (1) ، ولذلك فان شعراء العرب في عصر بني مرين قد أدركوا هذا المعيار ، واهتموا بدقائقه ، فصرفوا عنايتهم الى مطالع القصيدة ، وراعوا مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، لأنهم كثيرا ما كانوا ينشدون قصائدهم في حضرة الأمراء والعلماء والشعراء ، فلابد أن تكون مطالع القصائد تناسب الحال والمقام .

(1) — د / يوسف حسين بكار ، بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، ص 304 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـ تسرى مطالعهم قد تتناول الـدين أو جـمال الطبيعة أو الشـوق والحنين أو الغزل والتشبيب والتسيب أو ما يدعو الى الاستطراف ، وابتعدوا عن المطالع التي تنفر الاسماع وتتشاءم منها النفوس ولا تلائم الموضوع ، فتراهم اذا مدحوا يستهلون قصائدهم بما يوحي بالصفات الحميدة التي تتوفر في الممدوح أو الاعمال التي سعى الى تحقيقها ذلك الممدوح أو توجت بالنجاح والفوز ، كما تراهم ركزوا على الصفات المعنوية ، كالتمسك بالتقوى وسعة العلم والعظمة والقوة ، فمثلا نجد الشاعر عبد العزيز العلمي وزير حين يمدح المنصور السعيدي يستهل قصيدته قائلا :

بحمد الله افتتح الخطابا × وأبدأ في النظام به الكتابا (1)

فهذا المطلع تصيخ اليه الاسماع بخير وسام لأنه يعبر عن الايمان بالله ويدعو الى التطلع ما في هذا الكتاب المنظوم، كما نجده يستهل قصيدته بما يوحي بعظمة الممدوح وقوته وكثرة أعماله الجليلة في قوله :

ارى كل جبار بسيفك يصغر × وكل مليك عن فعالك يقصر (2)

---

(1) ـ ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص: 388 .

(2) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 9 . عبد العزيز الملزوزي ، ص: 14

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك من المطالع ما كان يمتزج فيها وصف الطبيعة بالديمن عند التهنئة أو المدح مثل قول الشاعر :

مالك بن المرحل :

فتح تجسمت الأكوان عنه فما × رأيت أملح منه مبسما وفما (1)

ولا شك أن هذا الفتح الذي فرحت الأكوان به سيتدعي الاصغاء الى الشاعر ، والتطلع الى ما في حديثه من وصف لحقائق ذلك الفتح .

واذا كانت هذه المطالع تبين مدى قدرة شعراء المغرب في اختيارهم للابتداءات التي تناسب الموضوع المراد ، حيث يجعل السامع ينجذب متطلعا الى قصد الشاعر ، فانها توضح أيضا مدى فهم الشاعر للنفسية الممدوح والمامه بما يتميز به ذلك الممدوح من الصفات

وأما المطالع التي تتضمن الشوق والحنين فهي كثيرة في الشعر المغربي ، لأن الشعراء كانوا كثيرا ما يعانون عنت الفراق والبعاد ، لهذا تراهم يصدرون قصائدهم بفيض ما اعتراهم من الألم والحزن على فراق الأحبة مثل قول الشاعر ابن عبد المنان

ألف الجوى مذ بان سكان اللوى × صب يهيج غرامه نفس الصبا (2)

---

(1) - عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 368 .
(2) - ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، ص: 351 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثل قول ابي القاسم الشريف متشوقا الى بلاده :

يا أيها الركب المزجي ركائبه × يحثها السير بين الغور والأكم
ابلغ بسبتة اقواما وددتهم × عرض المفلا وذميل الايلق الرسم (1)

ولا ريب أن هذه المطالع تعد نماذج من الشعر المغربي في عصر بني مرين بحيث أنها تصنف الى مطالع تبين منهج الشعراء الذين تأثروا بمنهج الشعر المشرقي والاندلسي ، ومطالع تبين محاولة هؤلاء الشعراء في التجديد كتلك التي افتتحت بالحديث عن المديح أو افتتحت بخاتمة القصيدة ، مثل قول الشاعر مالك بن المرحل :

شهد الاله وانت يا أرض اشهدي × انا أحببنا صرخة المستنجد (2)

ومن هذا يتبين أن الشعراء كانهم استرشدوا بمعايير النقاد في المطالع ، بحيث تلاحظ انهم احتوزوا في الافتتاح مما يتطير منه ويستجفى الكلام وابتعدوا عما يمجه السمع ويزجه القلب وتنبو عنه النفس ، والتزموا السهولة والبعد عن التعقيد وعدوا الى الوضوح وهجروا الغموض ،

---

(1) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 21 : ابو القاسم الشريف ، ص:
(2) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 3 ، مالك بن المرحل ، ص: 25

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الملاحظ أنّ تلك المقدمات والمطالع لم تكن مجرد تمهيد منفصل عن الموضوع المراد ، يلج الشاعر بعدهما اليه فقط ، بل كانتا جزءا من نفسيته ومن موضوعه ، بحيث تفيض مشاعره من خلالهما على الموضوع موحية بالمعاني التي يطرحها الموضوع المراد ، فتراه حين ينتقل الى صميم موضوعه لا ينتقل فجأة ، وانما يعمد الى الربط قصد التنسيق والانسجام بين ما تقدم وموضوعه المراد ، فمثلا تجد الشاعر عبد العزيز الملزوزي بعد ما يحمد الله ويتحدث عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين الذين صانوا الاسلام من بعده ميبينا ماصار اليه حال الاسلام بعدهم حيث صار غريبا يخلص الى مدح من قام ليصونه :

الى أنْ فتح الرحمن فيه × ليعقوب بن عبد الحق بابا
لمولانا أمير العدل ملك× به انسلبت يد الكفر انسلابا (1)

فترى الشاعر استخدم في الانتقال من المقدمة الى الموضوع حرف الجر ((الى)) التي دخل ما بعدها فيما قبلها ، وبهذا جعل السامع لا يحس بالخلل والانقطاع .

(1) ـ ابن ابي زرع ، روض القرطاس ص: 200 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انسما ض من الاستمرار للمعنا نسي التي سودها الشاعر في المقدمة ، بحيث جعل ممدوحه يتصل بتلك الصفات التي توفرت في من سبقوه من حماة الاسلام .

واذا كان الشاعر يخلص الى موضوعه رابطا المقدمة بجسيم الموضوع في هذه القصيدة التي تسبقها النفحة الدينية ، فانه يخلص كذلك على هذا النهج حتى اذا ما قدم لممدوحته بمقدمة على النسق القديم ، كالوقوف على الأطلال والبكاء على الديار والتشوق الى الأحبة ، وذلك بأن يوجه شوقه الى ممدوحه لا الى المحبوب ، وبهذا يخالف العشاق الذين يتيمون بالكواعب ، فهو يهيم شوقا الى الممدوح :

اليك فاني لست ممن تشوقه × معا مد سلمى أو سبتة المباسم

اذا هامت العشاق يوما بكاعب × فقد بات في الادلاج في البيد هائم

لألقى مليك الأرض وابن مليكها × أبا مالك ليث الحروب الضراغم

مذل الأعادي في سماجة عاجة × بسك البيض يرق والسمر ماء غمائم (1)

وتراه لما تشوق الى مدينة ((سلا)) وتحدث عن محبته لها ووصف طبيعتها ، فان هذا التعلق بها لم يكن الا أن ممدوحه اتخذ البيعة لواحده فيها ،

(1) سعيد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 9 ، عبد العزيز الملزوزي ، ص: 17 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكان موج بحرها كالجيش جاء مبايعا لهذا الخليفة الجديد الذي تزهى به الخلافة والعلا :

والموج ياتي كالجبال عبابه × فتظنه فوق المنازل مشرفا

حتى اذا ما الموج ابصر حسده × غض عن السرى وتوقفا

فكانه جيش تعاظم كثرة × قد جاء مزدحما يبايع يوسف

ملك به تزهى الخلافة والعلا × وبه تجدد في الرياسة ما عفا (1)

ولعلك تلاحظ انّ الشاعر انتقل من الوصف الى المدح معتمدا على ربط قوة الموج وكثرته بكثرة الجيش وقوته ، فخلص الى الغرض الرئيسي الذي هو المدح دون مفاجاة وانقطاع .

وكذلك ترى الشاعر عبد المهيمن الحضرمي يتشوق الى رسوم واطلال الربع الجميل ، ويتجشم السير في الليل مفتربا سحيا وراء المجد والعلا اللذين هما عند ممدوحه ابن الحكيم الوزير :

ولو نوال ابن الحكيم محمد × لاصبح ربع المجد وهو محيل

وزير سما فوق السماك جلالة × وليس له الا النجوم قبيل (2)

---

(1) عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 9 . عبد العزيز الملزوزي ، ص: 20

(2) — المقري ، نفح الطيب ، ج : 5 ، ص: 465 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فانتقاله من وصف الطبيعة والشوق الى الرسوم والطلول ، وتصويره معاناته في الوصول الى المجد الذي لولا نوال ابن الحكيم لخرب ربعه ، فهذا الانتقال لم يكن فجاءة ، انما كان ملتحما منسجما في معانيه ، حيث كانت المعاني الاولى اسبابا للتالية ، وكذلك نجد هذا التسلسل في حسن التخلص عند الشاعر ابي العباس الحزفي ، فهو بعد ما يصدر قصيدته بمطلع ينطوي على غزل بديع وصفة من صفات الممدوح الذي تميز بالعدل والكرم ، ويخلص الى شكوى الحال ، ثم الى الممدوح الذي يامل الشاعر في الخلاص منه وهو :

مثل الوزير ابن الحكيم ومثاله × مثل يقوم مقامه لمماثل

سلد الصورى بحديثه وقديمه × في الحال والماضي والمستقبل (1)

ولا ينتقل الشاعر ابن عبد المنان فجاءة الى الغرض الرئيسي ، بل بعد مقدمة الغزلية التي يتشوق فيها الى الاحبة الذين فارقوه ، فشكا الم الفراق وحرقة الهوى ، معبرا عن ايام الالفة محاورا حبيبته ساعة الوداع التي :

قالت وقد ودعتها متحملا × ايه بحديثك عن فؤادي هل سلا ؟

فاجبتها : وابيك لا اسلو ولا × حمل الفؤاد هموى سوى هذا الهوى

(1) عبد الله كنون . ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 27 ، ابو العباس الحزفي ، ص: 22 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى يرى فقرا ساحة بلدة × وبها الخليفة فارس مضمار

ملك نمته الى المكارم عصبة × كرمت أواصرهم وعزا منتمى (1)

فتلاحظ أن حب الأمير وكرمه هما اللذان عوضا الشاعر هواه السابق وخففا عنه وطأة الفراق وألم البعاد :

وبما أن قاعدة القصيدة خاتمتها لأن لها أثرا في النفس ووقعا مهما ، فهي آخر معنى يبقى في الأذهان ، ولختم يبقى في الأسماع ، فان شعراء المغرب في عصر بني مرين اعتنوا بخواتم قصائدهم ، وكأنهم استرشدوا بشروط النقاد لها ، حيث تكون تناسب الغرض الذي نظم فيه الشاعر ، عذبة الألفاظ ، جزلة التأليف ، أجود بيت في القصيدة ، وأدخل في المعنى الذي قصد له الشاعر ، متضمنة الحكمة أو المثل السائر حسنة التشبيه .

وممن اعتنى بخواتم قصائده ، الشاعر عبد العزيز المرزوي حيث بين المقصد الذي سعى اليه في قصيدته التي مدح فيها يعقوب المنصور المريني ، اذ يختتمها بقوله :

مرين لقد مدحتكم فوفّوا × لمادحكم بسبغته الثوابا

(1) ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص: 351 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد رسخت دولتكم وصارت × حسنى يحمد وبها الحادي الركابا (1)
وكل منظلم شمسرا سيفسنى × ويبقى فيكم مدحي كتابا

وفي هذه الخاتمة لا ترى الشاعر يريد منحته على هذا المدح فحسب ، بل دعم ذلك بأن جعل مدحه تاريخا يخلد مآثر الدولة المرينية ، فكانت أدخل في الغرض الذي قصد له الشاعر ، وهو التاريخ لدولة بني مرين حيث كان واضحا كل الوضوح خلال القصيدة ويفتخر بقصيدته التي ساقها الى يعقوب المنصور المريني ، مادحا ومحرضا على يخمراسن فيختمها بقوله :

اليك أمير المؤمنين قصيدة × تعجز من في الغرب والشرق يشعر
تساوكم فيها اللآلئ نظمت × وذكركم مسك زكي وعنبر (2)

ولا شك أن هذه الخاتمة تبعث السرور في نفس الممدوح وتجعلها راغبة مشتهية الى المزيد من الموصوفة لخصال الممدوح الحميدة ، وقد اختار لها الشاعر ألفاظا عذبة النغم وتشبيهات حسنة .

وما دامت مفاخر ممدوحه لا تحصى ، فان الشاعر تصرف كيفما شاء في نظمها بقصيدة أهدا ها الى ممدوحه فقال :

---

(1) ـ ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص: 200 .
(2) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 9 . عبد العزيز الملزوزي ، ص: 14 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خذ هذا اليك قصيدة من شاعر × في نظم فخرك كيف شاء تصرفا

خضع الكلام له فصار كعبده × ما شاء يصنع ناظما ومؤلفا (1)

فتلمس منها أنّ الشعر والشاعر كلاهما في خدمة هذا الممدوح الذي توسل بالمكارم والعلا ، لكن الشاعر لا يجعل نفسه في مرتبة العبد الخادم ، انطلاقا جاد من الأمجاد التي :

لا زالت الأمجاد تخدم ملككم × مازارت الحجاج مروة والصفا (2)

وهذا ما يزيد في فخر الممدوح وسروره ، وما يرفع من قيمة الشاعر وشعره .

ومن الخواتم التي تبعث السرور في النفس وتهيجها هي تشبيه القصيدة بعروس حسناء مرصعة بالدرر ، تفوح بالعطر تزفّ الى الممدوح ، كقول الشاعر ابن عبد الدهان في مدح أبي عنان :

واليكها درا فاني منتق × ماراق منها للنظام ، وما غلا

مقصورة بخيام فكري أعرضت × عمن سواك وأمتك على حيا

حسناء يهوى كل مضمولوغدا × أذنا ، وقد تليت تصيخ لمن تلا

تشتي عليك علا بأطيب نكهة × مما به أثنى الرياض على الحيا (3)

---

(1) — عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 9 . عبد العزيز الملزوزي ، ص: 20

(2) — المصدر نفسه ، ص: 20

(3) — ابن الاحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص: 356 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويهنئه بفوزه بما وصل اليه في تحقيق الآمال المرجوة ، ويدعو بالسعادة له والبقاء :

لا زلت والأقدار جارية بما × تهواه ، ما كر الصباح على الدجى

وبلغت ما ترجوه من أمل ، عسلى × عجل ، ودام لك السعادة والبقا (1)

وهناك من يجعل الدعاء في خاتمة قصائد الحماسة والفخر مثل الشاعر ، مالك بن المرحل في قوله :

يارب وفقنا وألهمنا لما × فيه لنا الخير فأنت الملهم

يارب أصلح حالنا وبالنا × أنت بما فيه الصلاح أعلم

يارب وانصرنا على أعدائنا × يارب واعصمنا فأنت تعصم

يارب ما داوينا شيء سوى × ذنوبنا فارحم فأنت ترحم (2)

ولم يكن الدعاء يقتصر على قصائد المدح والحماسة ، انما نجده يأتي كذلك في قصائد الرثاء ، مثل قول الشاعر ابن رشيد السبتي في رثاء ابنه :

عليك سلام الله ما حن عاشق × وما طلعت شمس وما ذر شارق

وما همعت سحب غواد روائح × وما لمعت تحدو الرعود البوارق

وجاد على مثواك غيث مروض × عهماد لرضوان الا له موافق (3)

---

(1) ـ ابن الأحمر ، تشبيع فرائد الجمان ، ص: 356 .

(2) ـ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 633 .

(3) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 18 . ابن رشيد ، ص: 39 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهر هذا الدعاء أكثر في خواتم المدائح النبوية ، حيث يتوجهون بها الى الله قصد المغفرة لهم عن الخطايا التي ان كانوا قد اقترفوها ، وأن يحينهم على صافيه الصلاح ، كما كانوا يتوجهون أيضا بقلوبهم وحبهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم ابتغاء الشفاعة لهم عند الله ، فيأخذ بأيديهم من هاوية الجهل وذل الضعف ، مثلما قال الشاعر أبو زيد المكودي في خاتمة قصيدته المطولة التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم :

فكن شفيعا يوم لا يغني امرأ × ما غم من مال الدنيا وما حوى

يارب بالمختار من أرومة × قصر عنها كل أصل قد زكا

ومن له كل فخار انتمى × ومن به كل نبي اقتدى

خذ بيدي وامنن بلطف منك في × ديني ودنياي وجد لي بالرضا

واغفر بصفو منك ما اجترمته × واصفح عن الزلات يارب العلا

واجعل صدا أقليمي وهب لي توبة × امحو بها آثام قلب قد قسا

فلست ألفى سواك راجيا × ومن سواك يا الهي المرتجى

وارحم محمدا وآل بيته × وصحبه الغر الكرام المنتمى

وصل صلاة منك تترى أبدا × عليه ما هبت على الروض الصبا (1)

(1) ـ عبد الله كنون ، شرح منظومة المكودي ، ص :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يقتصر الشعراء على الدعاء في ختام قصائدهم فحسب ، بل ختموها أيضا بالنصيحة أو الوصية ، مثل قول الشاعر عبد العزيز الملزوني في ختام مرثيته للأمير عبد الواحد المخلوع :

يازائريه استغفروا لمليككم × ملك الملوك فانه غفّار (1)

ونجد مثله أيضا عند الشاعر مالك بن المرحل حيث يقول :

بعيد من التوفيق من بات ساهرا × رجاء بعيد لا مخاف قريب

بطلبي العصمي من سرى الله كله × وأصبح حصول الحي بعد لغوب

بخيبل لعصمي من دعاه حبيبه × هلم الينا وهو فيه مجيب (2)

وان كانت القصيدة مرسلة الى الملوك أو الأبطال أو الأصدقاء والأحباب يختمونها بالتحية ، لأن المراسلة الشعرية كانت متداولة بين شعراء العصر المريني ، اذ كانوا يرسلون قصائد طويلة وقصيرة أو يردون على قصائد وافدة اليهم من شعراء قد يكونون في المغرب أو في الأندلس ، كما كانوا أيضا يرسلون قصائدهم الى ممدوحيهم ، وقد يظمون أخرى على لسان الممدوح ، مثل قول مالك بن المرحل على لسان الأمير يعقوب العصمي الذي أرسلها الى ابن الأحمر وحي فيها ابنه الذي قاد الجيش لانقاذ الأندلس ، فختمها بقوله :

---

(1) — عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 9 . عبد العزيز الملزوني ، ص: 13 ، 3.
(2) — عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 3 . مالك بن المرحل ، ص: 30

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كيف الهدى لهم ومن لا يقتدي × بنبيه وامامه لم يهتد

فما تروا بمزكم الا ما عندنا × في حقّكم ولتسمعوا من مرشد

ثم السلام عليكم من والد × يدعو لابنه دعوى محب مسعد (1)

ولا شك انّ من خلال هذا الهيكل الذي تمثلت فيه القصيدة تلاحظ انّها لم تعالج موضوعا واحدا ؛ انما كانت متعددة الموضوعات ، وهذا التعدد ينفي بعدم توفر الوحدة الموضوعية .

كما تلاحظ انّ بعض القصائد تجنح الى الأسلوب القصصي الذي يوفر بعض التلاحم بين ابيات القصيدة أو بين المعاني التي قصد اليها الشاعر مفصلا أو موضحا بها أو مؤكدا مما يدل على انّه كانت منه محاولات الى التقيّد بالموضوع الواحد الذي يمكن أن نعتبره قد جد في بعض القصائد القصيرة أو المقطوعات ، بل في نماذج منها خصوصا تلك التي قيلت في الغزل المحض أو وصف الطبيعة ، أو مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، أو الوصايا والحكم أو الرثاء .

ومن هذه النماذج التي تحققت فيها الوحدة الموضوعية ما نجده في هذه المقطوعة الغزلية لمالك بن المرحل التي يقول فيها :

---

(1) — عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 3 ، مالك بن المرحل ، ص: 27 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تملكتم عقلي وطرفي وسمعي × وروحي واحشائي وكلي بهِ جمعي
وتيهتموني في بديع جمالكم × فلم ادرِ في بحر الهوى أين موضعي
واوصيتموني لا ابُوح بسركم × فباح بما اخفي تفيض مدامعي
فلما فني صبري وقلّ تجلدي × وفارقني نومي وحرّمت مضجعي
شكيت لقاضي الحب قلت احبتي × جفوني وقالوا : انت في الحب مدمع
وعندي شهود بالصبابة والاسى × يزكون دعواي اذا جئت ادّعي
سهادي وشوقي واكتئابي ولوعتي × ووجدي وسقمي واصفراري وادمعي
ومن عجب انّي احنّ اليهم × واسأل شوقا عنهم وهم معي
وتبكي دما عيني وهو في سوادها × ويشكو الهوى قلبي وهم بين اضلعي (1)

فهذه التجربة العاطفية الخاصة التي تكلف الشاعر في تصويرها معبرا عن احاسيس مجردة في الحب استطاع ان يربط بين اجزائها ، وبرسم لوحة نفسية لحالته العاطفية .

ومن المقطوعات التي توفرت فيها الوحدة الموضوعية كذلك قول ابي القاسم الشريف في وصف الساقية :

وذات حنين تستهل دموعها × سجاما اذا يحدو ركائبها الحادي
تحجبت انْ ليست تريم مكانها × ولم تخل من تاويب سير واسئاد
وارصدتها في الروض ايّة عدة × فكانت لدفع النحل عنه بمرصاد
تخالف ماء المزن حمكا وماؤها × وكل على روض الربا رائع فاد

(1) ـ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج . 3 . ص: 725 .

فيلجد هذا بعد ماكان متهما × وذا ك تراه متهما بعد انجماد (1).

لئن قذفت دوب اللجين على الثرى × لقد خلصته القضب حليا لأجياد

فيمكنك أن تلاحظ هذه اللوحة المليئة بالحيوية والحركة التي رسمها الشاعر للساقية تروق للناظر وتنعش النفس وتبعث السرور وتحيي الأرض فتلبد الخيرات وأدوات الجمال ، لم تخرج عن موضوع الوصف ، بل تدرج الشاعر في تصوير أثر الساقية على الطبيعة ، فكانت لوحة جميلة .

وسختم الحديث عن الوحدة الموضوعية بقصيدة الشاعر ابن رشيد السبتي في رثاء ابنه :

شباب ثوى شابت عليه المفارق × وغصن ذوى تاقت اليه الحدائق

على حين راق للناظرين بهوته × رمته سهام للمنون رواشق

فما اخضلات منه الفؤاد بحمدها × فلا أبصرت تلك العيون الروامق

وحين تدانى للكمال هلاله × ألم به نقص وجدت مواحق

الى الله أشكو ، فهو يشكى نوازعا × عظاما سطاها للعظام عواتق

ولا مثل فقدان البنى فجعته × وان طال ما لحت ولجت بسواثق

محمد ان الصبر فيك مصارم × محمد ان الوجد فيك مصادق

محمد ان الصبر صبر وعلقم × على أنه حلو المشابة سابق

---

(1) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب ×××× 1 / 2 . أبو القاسم الشريف ص: 9 2

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد ان الصبر فيك مخالف× محمد ان الوجد فيك موافق

فان جرعتا فالله للصبر عاذر× وان جددا فالله للوجد صادق

وتالله مالي بعد عيشك لذة × ولا راقني مرأى لعيني رائق

وانّي به للمذكرات عديدة × فنبل وفهم للعهد وائد خارق

فان انتشت فالشخص للعين ماثل × وان استمع فالصوت للاذن طارق

وان ادع شخصا باسمه لضرورة × فان اسمك المحبوب للنطق سابق

وان تقرع الابواب راحة قارع × يطير عدها قلب لذكرك خافق

وكل كتاب قد حويت فمذكر × وآثاره كل اليك تشوق

سبقت كهولا في الطفولة لا تنى × وارهقت اشياخا وانت مراهق

فلو لم يخلك الموت مت مجليا × وانبل سكينا وجيه ولاحق

على مهل احرزت ما شئت ثانيا × عنانك لا تجهد وانت سابق

رانك المنايا سابقا فاغرتها × فجدّ طلابا اذ همن لواحق

لئن سلبت مني نفيس ذخائر × فانني بمذخور الاجور لواثق

وقد كان ظنّي انّني لك سابق× فقد صار علمي انّني بك لاحق

قريبين كنّا فرّق البين بيننا × بانّ وح ما يلقى الغريب المفارق

فبين وبعد بالغريب توكلا × فذرعي بما حملت والله ضائق

عسى وطن يدنو فتدنو مني بعمه × واني الامانيّ ؟ والخطوب عوائق

فلولا الاسى ذاب الفؤاد من الاسى × ولولا البكى لم يحمل الحزن دالق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يخط الأسى خطا تروق سطوره × ويمحو الدبكى فالدمع ماح وماحق

فيا واحدا قد كان للحين نورها × أكل ضياء بعد بعدك غاسق

عليك سلام الله ماحن عاشق × وما طلعت شمس وما ذر شارق

وما هميت سحب غواد روائح × وما لمعت تحد والوعود البوارق

وجاد على مثواك غيث مروض × عهاد لرضوان الا لبسه موافق (1)

فنرى أن الفجيعة كانت قوية التأثير على نفسية الشاعر لكونها بما فقده بعد ما شابت المفارق من أجل ابنه ، فلم يطق الصبر ، ولم يشغل خاطره أي شاغل آخر الا موت ابنه ، فلم يجد مجالي قصيدته يصورها سوى بالحزن الذي عصر نفسه والألم الذي أذهب فؤاده ومزق فؤاده ، مشخصا الموت الغير أن من ابنه واختلسه منه بعد ما راق للناظرين بسوقه ، واكتملت مواهبه فجعه فيه بغتة ، فأذهلته تلك الفجيعة ، فأصبح يحزن نفسه ويرثي حاله التي آل اليها في غربته ، داعيا الله أن يرحم وحيده ويسكنه فسيح جنانه .

واذا كان الشعر المغربي في عصر بني مرين يحاول أن يتخلص من التقليد ، ويشق طريقه الى التعبير عن الشخصية المغربية في صراحة ووضوح ،

(1) ـ عبد الله كنون . ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 18 . ابن رشيد ، ص. 39

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجنح الى التقليد بالموحدة في الموضوع .

وقبل التطرق الى التحدث عن التغيرات التي حدثت في القالب الشعري من أوزان وقافية ، يجدر بنا أن نطرح الأسئلة التالية : ماذا حدث في الأوزان الشعرية ؟ وكيف كانت القوافي ؟ ما التطور أو التجديد الذي حدث فيها ؟ هل استعمل الشعراء جميع البحور الشعرية المألوفة لديهم أم اقتصروا على استعمال بحور معينة ؟ هل دوموا في القوافي أم التزموا بالقوافي الموحدة ؟

الحقيقة اذا ما تتبعنا النصوص الشعرية التي بين أيدينا من حيث الأوزان ، نجدها لم تخرج عن دائرة الأوزان الشعرية التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي ، واستمر الشعراء في استخدامها لأنها كانت فاصلا موسيقيا معينا أتاح لهم النظم في دائرته فلم يخرجوا عنه ، فصبوا فيه أفكارهم وعواطفهم وخواطرهم ، وقد ألفت آذانهم هذا النغم الصوتي العذب واستساغتها أذواقهم المرهفة ، فأضحت عندهم هي المرنين الموسيقي الذي يحمر النفس الشاعرة ويطرب الروح المتلهفة فلم تحد عنه ، وان كانت هناك محاولات للتجديد والتنوع في العصر العباسي ولدى الأندلسيين ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك لعوامل وحاجات اجتماعية وثقافية وفنية ،

الا أن هؤلاء الشعراء الذين حاولوا التجديد والتنوع لم يخرجوا عن التفعيلات التي وضعها الخليل .

وبما أن شعراء المغرب في عصر بني مرين تأثروا بطريقة العرب الأوائل وطريقة الشعر المحدث فكان لكلتا الطريقتين أثر في توجيه الشعر المغربي ، فكانت الأوزان الشعرية المعروفة هي نفسها التي استعملها شعراء المشرق ، لكنها بدرجات متفاوتة .

ولا نريد البحث عن نسبة شيوع الأوزان الشعرية الأوزان الطويلة أكثر أم الأوزان القصيرة ، لأن هذا النوع من البحث يتطلب احصاء عاما وستفيضا لجميع النصوص الشعرية التي قيلت في ذلك العصر ، وهذا ما لم نتوصل اليه ، انما الشيء الملاحظ في أوزان النصوص الشعرية التي بين أيدينا أنها كانت في أغلبها من الأوزان الطويلة مثل (الطويل ، الكامل ، البسيط ، الوافر ، الرجز ، الخ) وذلك لمناسبة الموضوعات التقليدية التي يتطلبها واتساع حياتهم وظروفهم ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المدح والغزل والرثاء والوصف، من الموضوعات التي يؤثر الشعراء أن يتناولوها في الأوزان الطويلة لأنها توفر لهم الإطار الواسع ليبثوا فيه من المعاني والمشاعر ما يشفي غليلهم، ويتنفسوا عن نفوسهم ما انتابها من اليأس والجزع والحزن والأسى وإن كان ((الشاعر حتى يريد أن يقول شعرا لا يحدد لنفسه بحرا بعينه، وإنما يتحرك مع أفكاره ليجد نفسه، فيخرج الشعر في الوزن الذي يصدف له من الأوزان)) (1)، إلا أن الشعراء في عصر بني مرين تحرروا لأسباب الحرارة والألم في حياتهم من الخوف والحرمان والبعد عن الأحباب، فكانت قصائد الشوق والحنين والشكوى والاستعطاف مما تنفسوا به عن أحوالهم، ووفرت لهم الأوزان الطويلة المتسعة في التعبير عن أفكارهم وعواطفهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن تأثرهم بالشعر القديم الذي أكثر من الأوزان الطويلة وفر لهم الزخم الموسيقي المتابع من تلك الأوزان، فتعودت آذانهم على استلاقه فتدرب ذوقهم على استساغه،

(1) عزالدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، ص: 376.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاستحدثوا الاوزان وضمنوا كثيرا من المعاني التي صاغوها الشعر القديم ، وكذلك كانت هناك قصائد وردت في الاوزان المطبوعة اجابوا بها عن قصائد من اقدم قصائد الشعراء في موضوعات مختلفة كانت بمثابة رسائل متبادلة بينهم ، فنظموها احيانا بنفس الوزن والقافية التي نظمت فيها القصائد التي وردت عليهم ، ومن هذه القصائد قصيدة مالك بن المرحل التي رد بها على قصيدة ابي عمر بن المرابط الذي قال :

هل من محب في الهوى اوُمنجد × من متهم في الارض اوُمن منجد (1)

فقال مالك :

شهد الاله وانت يا اوُفى اشهدي × انّا اجبنا دعوة المستنجد (2)

فتركت القصيدتين وردتا من البحر الكامل الذي تفعيلاته :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن × متفاعلن متفاعلن متفاعلن

وقد بحث الشريف القاضي ابو القاسم ضاطبا ابن هانئ السبتي × هات الحديث عن الركب الذي شخصا ..... (3)

فاجابه ابن هانئ السبتي على روبها :

---

(1) — شكيب ارسلان ، خلاصة تاريخ الاندلس ، ص: 318

(2) — عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 3 . مالك بن المرحل ، ص: 25 .

(3) — المقري ، نفح الطيب ، ج: 6 . ص: 246 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لولا مشيت بفؤدي للفؤاد عصى × اتُّعبت في مهمه التشبيب لي قلصا (1)

فكانتا من البحر البسيط الذي تفعيلاته :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن × مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

ولا شك أن هذه القصائد التي كانت تعد بمثابة رسائل يتبادلها الشعراء فيما بينهم تعتبر عاملا من العوامل التي جعلت شعراء بني مزين استعملوا البحور الطويلة والالتزام بقافية تلك القصائد الموصلة اليهم .

ولا يعني هذا أن شعراء بني مزين لم ينظموا الشعر الا في البحور الطويلة ، انما نجدهم استخدموا الأوزان القصيرة في كثير من القصائد والمقطوعات والبيت والبيتين ، وخصوصا تلك التي جاءت قصيرة عن فكرة أو خاطرة أو وصف مذكر أو رد على سؤال أو ارتجال الشاعر للكتابة أو السخرية والفكاهة ، أو كان ان انفصاله فيما لم يتمكن الشاعر من الهدوء ، فاشرع في التعبير عنه ، فجاء شعره في الأوزان القصيرة مثل الشاعر ابي العباس المزني الذي يحن الى مسكنه في سبتة حيث تقيم زوجته :

لي في سبتة سكن × حبسه في الحبشا سكن

(1) ـ المقري ، نفح الطيب ، ج : 6 ، ص: 246 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يزداد حمده × مسح ابلاثه الزمن
أصبح الفلب عميده × ويشرد السادة الهدن (1)

اذ نلاحظ انه استخدم مجزوء الخفيف الذي تفعيلاته :

فاعلاتن مستفع لن × فاعلاتن مستفع لن

ليعبر عن شعوره الفياض بالشوق والحنين ليستميل النفوس اليه بهذه الموسيقى الخفيفة .

ويحمد ابو العباس الزدائي في مطابلة قيس جاريته ((صبيح)) الى استخدام مجزوء الكامل الذي تفعيلاته :

متفاعلن متفاعلن × متفاعلن متفاعلن :

يا قيس صبيح حل فيك × لم هجتني أسدي الأماني
وغدوت بعد صيانها × أشهى الى الطماع الى الصيان
الخمس المليحة انها × تدمى مكانك عن مكاني
كم بين مقبور بفاس × وقد ابى ربك التقبيرا (2)

ولم يقف الشعراء عند الاوزان القصيرة ، فحسب انما عمدوا الى استعمال الاوزان التي استعملها المولدون كحرون الدويت في مثل قول مالك بن المرحل :

الحسب المي الجمال ما كمل × والحسب لصدقه دلا فضل

(1) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 27 : ابو العباس العزفي ، ص: 33 .
(2) ـ محمد بن شاويت ، الادب المغربي ، ص: 223 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمقدمة لحسان علي جواب × ان روحي سمح سائل سائل

والمحسن على القلوب وال × والمتلهب الى الحبيب واصل

لوساعد من أحب سعد × ما حال عن الحبيب حائل (1)

وقد لاحظ انه لم يستخدمه كما وصفه العروضيون ،

انما حذف منه التفعيلة الأخيرة ، فالعروضيون وصفوه بـ:

فعلن متفاعلن فعولن فعلن × فعلن متفاعلن فعولن فعلن

بينما مالك بن المرحل استخدمه مجزوءا :

فعلن متفاعلن فعولن × فعلن متفاعلن فعولن

ويبدو أن الشعراء في عصر بني مرين حاولوا أن يلتمسوا بمجموع الأوزان سواء المطولة أو القصيرة ، ومن خلال هذا الالتزام اهتموا بنظم الموسيقى دون التعمق في المعاني والصور الشعرية ، فجمودهم هذا الاهتمام الى التكرار اللفظي حتى يستقيم الوزن وتتوفر الموسيقى الشعرية ، وهذا واضح في كثير من القصائد :

والى جانب ذلك التكرار اللفظي نجدهم التزموا بالتصريع في بعض القصائد حرصا على النغم الموسيقي .

---

(1) ـ عبد الله كنون : النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 726 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن النماذج التي وجد فيها التصريح قول الشاعر عبد العزيز الماجشوني الذي استخدم التصريح في كثير من القصائد، فمن ذلك :

بحمد الله افتتح الخطابا × وأبدأ في الكلام به الكتابا (1)

وقال في أخرى :

أشاقتك اطلال الديار الطواسم × فقلبك حيران ودمعك ساجم (2)

وقال في ذات الشعر :

يا ذلبية الوسماء قد برح الجفا × اني صبوت على فراقك ما كفى (3)

وقال في رابعة :

أظلمت بعدك زفرتي وأنيني × وصحابتي يوم النوى وشجوني (4)

وقال في خامسة :

اليوم يوم نزاهة وعقار × وتقرب الأموال والأولاد (5)

وقال في سادسة :

سهم المنية أين منه فرار × من في البرية من رداه يجار (6)

---

(1) ـ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص: 200 .
(2) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب . عبد العزيز الماجشوني ، ص: 17 .
(3) ـ المصدر نفسه . ص: 30
(4) ـ المصدر نفسه . ص: 11 .
(5) ـ المصدر نفسه . ص: 10 .
(6) ـ المصدر نفسه : ص: 12 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مدائح صالح بن المرجم الموصلية قوله :

فتح تبسمت الاقحوان عنه فما × رأيت امدح منه مبسما وفما (1)

وقال في ثانية :

استنصر الدين بكم فاستقدموا × فانكم ان تسلموه يسلم (2)

وقال في ثالثة :

شهد الاله وانت يا ارض اشهدي × انا اتينا موضع المستشهد (3)

وقال في رابعة :

الله اكبر في مصاب الجامع × من سبعة تاذين عبد هاشم (4)

وقال في خامسة :

ادمعك امْ سمط وتلبك امْ قرط × وشوقك امْ سقط وجسمك امْ خيط (5)

وقال في سادسة :

بوصف حبيبي طرز الشعر ناظمه × وسلم عند الدارس بالنقس راقمه (6)

وقال في سابعة :

تملكتم عقلي وطرفي ومسمعي × وروحي وامشائي وكلي بأجمعي (7)

---

(1) ـ عبد الله كنون ، الذيل والمغربي ، ج : 3 ، ص: 366 .
(2) ـ المصدر نفسه ، ص :
(3) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 3 ، مالك بن المرحل، ص: 35 .
(4) ـ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 314 .
(5) ـ عبد المالك المراكشي ، السفر الاول من كتاب الذيل والتكملة ، القسم الاول ، ص: 331 .
(6) ـ المصدر نفسه ، ص: 334 .
(7) ـ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 725 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك سمع ابن رشيد السبتي بعض معالم قصائده مثل :

شهاب ثوى شابت عليه المرافق × وغصن ذوى ناقت اليه الحدائق (1)

وكذلك الشاعر عبد المهيمن الحضرمي في قوله :

سقى ذرى سبتة بين البساتين × وعهدها المحمود صوب الصماد (2)

ومثل قوله :

تسرى سحيرا والنسيم عليل × وللنجم طوف بالصباح كليل (3)

وكذلك قول الشاعر أبو العباس الحزفي :

ملكت رقي بالجمال فما أجمل × وأصبحت من قلبي بحبك فاعذل (4)

وفي قوله أيضا :

هذا الصباح فعاد لي بصبوح × وانهض براحك فهي راحة روحي (5)

ومن الشاعر يقول :

لكم حسن في فؤادي غير مغروب × فضائع في هواكم كل تأنيب (6)

ويقول أيضا :

لي في سبتة سكن × حبيبه في الحشا سكن (7)

---

(1) — عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 18 ، ابن رشيد ، ص: 39 .
(2) — عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 36 . عبد المهيمن الحضرمي . ص: 32
(3) — المقري ، نفح الطيب ، ج : 5 ، ص: 465 .
(4) — المقري ، أزهار الرياض ، ج : 2 ، ص: 357 .
(5) — المقري ، أزهار الرياض ، ج : 2 ، ص: 359 .
(6) — محمد بن تاويت ، الأدب المغربي ، ص: 218 .
(7) — عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 27 . أبو الله باس الحزفي ، ص: 8

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا لا يكاد يخلو شعر شاعر من شعراء العصر العباسي الأول من التصريح في المطلع أو التلويح، فتراوح بين مكثر ومقل، وكلهم سجيناً وراء التغني الموسيقي.

وأما القوافي فإن شعراء بلدي مزين فقد نوعوها في شعرهم، فنظموا قصائد ذات قوافٍ مقيدة، وأخرى مطلقة، كما أنهم عددوا القافية في القصيدة الواحدة، وذلك لقصد عارض في صنع هذه القافية، ومنهم أنهم ساروا على نهج القصيدة العربية في المشرق والأندلس، فأجادوا بعض القصائد التي نظموا بعض معانيها في قصائدهم، واقتفوا قافيتها مثل الشاعر أبو علي بن النباطان بن سعيد العمري البلدي:

اغالب فيك الشوق والشوق أغلب × وأعجب منك الوصل والصبر أعجب (1)

فنلاحظ أنه كان معجباً بقصيدة المتنبي التي يقول فيها:

اغالب فيه الشوق والشوق أغلب × وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب (2)

وهناك عامل آخر هو المراسلات التي كانت تتم بين الشعراء في مختلف الموضوعات حيث كان الشاعر إذا ما وردت إليه قصيدة من شاعر آخر،

(1) ـ عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج: 1، ص: 146.
(2) ـ المتنبي، ديوان المتنبي، ص: 466.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كثيرا ما كان يلتزم بقافيتها حيث يرد عليه ، مثل قول مالك بن المرحل :

شهد الاله وانت يا اوْلى اشهدي × انّا اجدنا صوغة المستجمد (1)

فهو التزم بقافية قصيدة ابي عمرو بن المرابط:

هل من محيين في النهوض اوْ منجد × من متهم في الايض اوْ من مدجمد (2)

والى جانب هذه الحروف التي ساعدت الشعراء في صدح القافية ، هناك ظاهرة اخرى يبدو انهم اهتموا بها كثيرا من ذلك انّ الشاعر يلتزم بحرف قبل الروي اوْ ياتي بحرف يلتصق بالردف ولم يغيره الى اخر القصيدة ، ومن الشعراء الذين يمثلون هذه الظاهرة ، مالك بن المرحل الذي التزم بحروف الميم الملتصق بحرف الردف قبل الروي في معظم اتساعه والتزمها في كل ابيات القصيدة :

امالي الى قبر السليمي مبلغ × سلاما ؟ فقد اقسى الزمان ذمامي

امانة مشتاق حمى الدمع جفنه × فما طاف طيف النوم خوف حمامي

امالي كانت لي زيارة قبره × وارْضي روض يانع وسمامي

امال قناتي بعد حسن اعتدالها × زمان اراني النقض بعد تمامي (3)

---

(1) عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 3 : مالك بن المرحل ، ص: 25 .
(2) ـ شكيب ارسلان ، خلاصة تاريخ الاندلس ، ص: 81 .
(3) عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 3 ، مالك بن المرحل ، ص: 18 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمضي هكذا الى آخر القصيدة ، وكذلك فعل في عشرياته حيث افتتح ابياتها بحرف الروي :

الى المصطفى أهديت فرعثائي × فياطيب اهدائي وحسن هدائي

أزاهر روض تجتني لعطارة × وأسلاك درّ تصطفى لصفاء

أكاليل من مدح النبي محمد × بها اكتسبت الآداب كمال بهاء

أضفت الى ميلاده فزواته × وما عن لسي من آية وآية

أردت رضا ربي بها فهو ارتجى × وربي كريم لا يضيع رجائي (1)

ومن قصائده في مالك بن المرحل التي فيها لزوم مالا يلزم من ترتيبها على حروف المعجم ، وجعلها بدءا وويبا :

ألف : أجل الانبياء نبي

بضياءه شمس النهار تضيء

وبه يؤمل محسن ومسيء

فضلا من الله العظيم عظيما × صلوا عليه وسلموا تسليما

باء : بدا في أفق مكة كوكبا

ثم اعتلى فجلا سناه الغيهبا

حتى أنار الدهر منه وأخصبا

اذ كان فيض الخير منه عميما × صلوا عليه وسلموا تسليما

---

(1) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 3 ، مالك بن المرحل ، ص: 47

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تاء :تبينت الهدى لمّا اتّضى

ففس الشريك عن القديم واثبتا

احدية من حماد عنها قد عتا

وتلا كلاما للكريم كريما × صلوا عليه وسلموا تسليما

ثاء : ثوى في الارض منه حديث

في كلّ افق طيبه مبثوث

داع بانواع الهدى مبعوث

يتلو نجوما اوْ يهزّ نجوما × صلوا عليه وسلموا تسليما

جيم :جلا بسراجه الوهاج

ماجنّ من ليل الظلام الداجي

وسقى القلوب بمائه الثجاج

فاصارها بعد الخموم غميما × صلوا عليه وسلموا تسليما

حاء :حمى دين الهدى بصفائح

وسما بهشم كالجمان اراجح

من كل ازهر هاشمي واضح

لولا نداه غدا النبات هشيما × صلوا عليه وسلموا تسليما

خاء :خبت لسيوان جهل شامخ

ايات علم للورى راسخ

من مثبت ماح ومؤسس ناسخ

قد خصّ بالذكر الحكيم حكيما × صلوا عليه وسلموا تسليما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذال :دعا فما أجاب كمثل سعيد

وأتى بموعد صادق ووعيد

حتى أقرّ الناس بالتوحيد

وتجمّعوا الاشواك والتجسيدا × صلوا عليه وسلموا تسليما

ذال :ذباب حسامه مسحوذ

للناكثين ، وموعدهم مذمّوذ

أمّا السعيد فبالنهي يلوذ

فيذال من ذل الشقاء نعيما × صلوا عليه وسلموا تسليما

راء :رويدا عن ذي الأخبار

انّ الندى والبأس مع ايثار

بعض صفات المصطفى المختار

كم قد تقدم بالانام زعيما × صلوا عليه وسلموا تسليما

زاي : زعيم بالنزال معزيز

وبليغ معنى في المقال وجيز

فلقوله من فعله تعزيز

ولربما عاد الكلام كلوما × صلوا عليه وسلموا تسليما

طاء :طويل السيف متسع الخطا

رحب الذراع ومن يمدّ لهم سطا

يودي العدا واذا ارتدى متغطمطا

يسري هذا با اذا الأم اليما × صلوا عليه وسلموا تسليما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظاء :ظهير للعباد حفيظ يحظ

حظ لدى ربّ العباد حظيظ

حق له المتابين والمتقربون حظ

منيتنا وحياظا عما ومقيما × صلوا عليه وسلموا تسليما

كاف :كريم الصفين مبارك

متفرّد بالجاه ليس يشاركه

فهو الذي بمقامه يتبادرك

والسهول يخدو مشهدا ومقيما × صلوا عليه وسلموا تسليما

لام :لنه عقد اللواء الأفضل

وله الشفاعة في غد اذ تسأل

واذا دعا فدعاؤه متقبل

حق الرحيم بأن يرى مرحوما × صلوا عليه وسلموا تسليما

ميم :ملائكة الاله تسلموا

فوقا عليه اذ بدا وتحلموا

ويمرّ جبريل بهما يتقدّم

فيضاعف التعظيم والتكريما × صلوا عليه وسلموا تسليما

نون :نبي جامعا بيان

ومعجزات أبرزت لعيان

وبحسبه أن جاء بالقرآن

يشفي قلوبا تشتكي وجسوما × صلوا عليه وسلموا تسليما (1)

(1) ـ المقري، نفح الطيب، ج : 7 ، ص: 453 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن مالك بن المرحل يقصد الى لزوم مالا يلزم فحسب ، انما كان يبني البيت على قافيتين اذا اقتضى على احداهما كان البيت من أحد الاوزان ، وان اتمّه الى القافية الاخرى كان من وزن آخر ، ويسمى أهل البديع هذا البناء بالتوشيح أو التشريع :

يا ايها الليل الذي في ثوبهم امل × لواقت الخيلان : القول والعمل

سرتم وسار اشتياقي بعدكم املا × من دونه السائران : الشهر والمنزل

وظل يعذلني في حبكم نفر × لا كانت المحنتان : الحب والعذل

عطفا عليّ ولا تبغوا بنا بدلا × فما استوى المتباينان : الضد والبدل

مذ ذقت فضلكم فضلا وأيسني × ما طاب لي الاحمران : الخمر والعسل (1)

وقد هرمت أسى من هجركم وجوى × وشاب مني اثنتان : الصدر والأمل

فلم تزل رائحا الأبيات تامة ورسمها اللام ، يكون

وزنها من البسيط التام ، وان تزيد فيها عدد كلمة : ((الخيلتان)) مثلا في البيت الاول ، كان رسمها النون ، ووزنها من البسيط المجزوء .

ولم يكن هذا النوع من بناء القافية فضله ان ما هلك من الشعراء من كان يبني قصيدته على القافية المشتاة ،

---

(1) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / ج ٥ ، ابن المرحل ، ص : ٥٥

بحيث يلتزم بناؤها في الشطر الأول ، والأخرى في الشطر الثاني ، مثل الشاعر المكفيف المكناسي يذكر رحلة السلطان أبي الحسن وبني مرين الى افريقية ويصف هزيمتهم بالقيروان :

كن ممرهى ـ قل ـ ولا تكن راضي× فالرا عي عن رعيته مسؤول

واستفتح بالصلاة على الداعي× للاسلام والرضا المرضي المكمول

على الخلفاء الراشدين والاتباع× واذكر بعدهم اذ تحب قبول (1)

ويمضي هكذا الى آخر هذه القصيدة المتممة : ((الملحمة)) ، حيث نسوع في موسيقى القافية بجعله وفي الشطار الأولى تمشالشطر في الشطار الأخيرة ، فكانت مثلثة ومزدوجة .

وأنواع هذا الفن الشعري الذي تتنوع فيه القافية كثيرة في فترة بني مرين ، فمنه المزدوج والمكاني والمخزل ، وهو يدل على التكلف في صنع القافية .

وأما اللغة فهي على ما مر من عند اصر الشعر المهمة التي لابد للشاعر أن يسلك فيها مسلكا خاصا ليستطيع بها أن يؤدي مضامينه بطريقة تختلف عما في بقية اجناس الشعر من فنون القول ،

(1) — ابن خلدون ، المقدمة ، المجلد الثاني ، ص 1164 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى هذا أن يختار ويتخير من الجميل المناسب والأنيق والحسن من الألفاظ التي تخدم التعبير عن تجربته الشعرية ، ولهذا فهل استطاع هؤلاء الشعراء المغتربة في عصرين مرين أن يكونوا قد وفقوا في هذا الاختيار وهذا التأنق ؟ وهل تغيرت ألفاظهم في دلالاتها عن دلالاتها في القديم ، وتطورت حسب تجاربهم في التي عاشوها ، والبيئة التي تنقلوا عبرها ؟ وهل استعملت باستعمالها الشعري المرتكز على العبارة التقريرية التي تدل على معنى واضح ثابت أو قابل للموضوع والأشياء ، أم استخدمت كما تستخدم في الشعر من الدلالة على الانفعالية والإيحائية والتعبير عن المشاعر والخواطر ، أم استخدمت في صياغتها الشعرية لتكتسبها ارتقت الى حقائق مسلمات ؟

الواضح أن اللغة لا تولد مع الانسان بالفطرة ، وانما تتكون بالمعايشة والاكتساب ، ويستلزم اتقانها كثيرا من الوقت والجهد والاطلاع على الأصول والقواعد والآداب حتى تنضج ويسهل انقيادها لمن يشتغل في مجال الشعر ، وهذا ما يدعو الى معرفة الأصول التي استقى منها الشاعر المغربي لغته في عصر بني مرين ، وهي القرآن والحديث والفقه والفنون الأدبية المشرقية والأندلسية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذا كان شعراء المغرب في العصر المريني اكتسبوا رصيدهم اللغوي من تلك العلوم والفنون بالتعليم والتعلم والاستيعاب والاتباع فغير أن تأثرهم بالمشرق لم يكن بالقدر الذي تأثروا بها بالاندلسيين من المغرب وعلى الرغم من درجة كبيرة من التأثر الحضاري والثقافي فكانت اللغة عندهم لبقة وثيقة سهلة واضحة الحضاري فما يُقصدوا بها ما شاع عاموا من فنون للكلام ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى أن بيئة بني مرين الأولى كانت حضارية وباديتهم بدوية قبل أن ينتقلوا الى مواقع الحضارة في المغرب ، كما كانت حياتهم مختلطة بحروب فاقوها الوان سنين من أجل اثبات وجودهم وتحقيق أهدافهم السياسية ، فكل هذه العوامل كانت من الروافد التي أثرت قاموسهم اللغوي ، فتردد كثيرا ألفاظ القرآن والحديث والفقه والسيرة النبوية وحمد المحمدات المحمودة وألفاظ الحرب والحماسة والفخر بالانتصارات وألفاظ وصف الطبيعة بجمالها الى غير ذلك من تلقائية الحياة والصامتة والحضارية ، وأما من حيث الاختيار والانتقاء في اللغة الشعرية فانهم كانوا يميلون دائما الى السهولة والوضوح والابتعاد عن الغموض

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أن ألفاظهم كانت تجمع الى التقرير والافهام دون التصوير والايحاء ، وذلك أن استخدموا الألفاظ في دلالتها المعجمية خصوصا لدى هؤلاء الشعراء الذين كانوا ملتزمين بالقصد المرسلي مادحين أمراءه ، تتحكم في شعورهم الاستجابات للمناسبات والحوادث المفاجئة ، كالشاعر عبد العزيز الماظوني الذي نسوق له نماذج في اللغة التي استخدمها :

الحمد لله افتتح الخطابا × وابدأ في النظام به الكتابا (1)

فانك تلاحظ أن الشاعر يعمد الى الألفاظ المباشرة المحددة المعنى ، لا يضمر فيها شعورا داخليا عميقا يضفي عليها الايحاء والايقاع الخفي ، بل حولت الانفعال الى أفكار تقرب الى النثر ، اذ هو الشاعر عما يعنيه ويدركه وليس عما انفعل به ، ويمكن أن نعتبر ألفاظ القصيدة كلها مباشرة تقريرية ، لا تخرج عن المعنى المعجمي في دلالتها ، بحيث لا تفرقها عن النثر الا بالوزن ، ولم يتجرد من هذه الطريقة في استعمال الالفاظ في قصائد الغزل ، حيث ألفاظها لا تتعدى على أقصى دلالة من مدلولها المباشر ،

(1) ـ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص: 200 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهي ليست ايحائية بل تحديدية ايضاحية لشاعر

اعتمد الشاعر فيها على العقل في سردها اذ يقول :

اعلمت بعدك زفرتي وأنيني × وصهابتي يوم النوى وشجوني

أودعت اذ ودّعت وجدا في الحشا × ما ان تزال سهامه تصميني (1)

واذا كان عبد العزيز الملزوني يلتزم هذا النهج

في استعمال اللغة ، فان الشاعر مالك بن المرحل يشاركه

فيه ، اذ نرى لغته تفتقر الى الايحاءات والظلال في بعض قصائده اذ يقول :

استنصر الدين بكم فاستقدموا × فانكم ان تسلموه يسلم

لا تسلموا الاسلام يا اخوتنا × واشرجوا لنصره واعتصموا

لاذت بكم اثقل نساء شدة × بها رحيم المدينين ونعم الوحم

فاسترحمتكم فارحموها انه × لا يرحم الرحمن من لا يرحم (2)

غير انك تلاحظ ان الشاعر عمد الى اختيار

الالفاظ التي تشتمل على حروف الصفير بحيث كثرت

السين والحاء والصاد ، والكاف ، كما نرى كثرة من حروف

الجهر الميم الذي هو حرف غنّي يوسل نغما صوتيا عذبا ، وبهذه

الحروف منح الشاعر ألفاظا لها نغم موسيقي جذاب استطاع

به ان يوقظ في السامعين قصد تحميسهم في الاقدام على الجهاد ،

(1) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 9 ، عبد العزيز الملزوني ، ص: 61

(2) ـ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 : ص: 633 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وان كان الشاعر مالك بن المرحل يجنح الى الالفاظ التي لا يحلو منها الضرب والنبر الصوتي المؤثر في النفوس ، فانه يبقى في استعمال الفاظه بعيدا نوعا ما عن الاشعاع والايحاء اللذين يجعلان السامع يسبح بخياله في الجو النفسي للشاعر وانفعالاته المتدافقة .

ولم يقف الشاعر في استعمال الالفاظ بهذا النهج في موضوع الحماسة والفخر ، بل يتعدى الى الغزل ، فهو لما يقول :

تملكتم عقلي وطرفي ومسمعي × وروحي واحشائي وكلي بأجمعي
وتيمتموني في بديع جمالكم × فلم ادر في بحر الهوى اين موضعي
واوصيتموني لا ابوح بسركم × فباح لما اخفي تفيض ادمعي
فلما فني صبري وقل تجلدي × وفارقني نومي وحرمت مضجعي
شكيت لقاضي الحب قلت: احبتي × جفوني وقالوا : انت في الحب مدّع (1)

لا تلمس من الفاظه الا المعاني المسجمية دون ان تشاركه في الجو الوجداني الذي يحتمه الاسى والاكتئاب رغم التضخم الداخلي الذي وفره الشاعر في ابياته وعذوبة الايقاع من توزيعه حروف اللين والمدّ دون ان يوفق في تمازج في تأليف الالفاظ وحروفها .

---

(1) — عبد الله كنون . النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 725 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وان كان الشاعر مالك بن المرحل يجنح الى الالفاظ التي لا يحسن منها الصخب والتبرج الصوتي المؤثر في النفوس ، فانه يبقى في استحضار الفاظه بعيدا نوعا ما عن الاشعاع والايحاء اللذين يجعلان السامع يسبح بخياله في الجو النفسي للشاعر وانفعالاته العاطفية .

ولم يقف الشاعر في استعمال الالفاظ بهذا النهج في موضوع الحماسة والفخر ، بل يتعدى الى الغزل ، فهو لما يقول :

تملكتم عقلي وطرفي ومسمعي × وروحي واحشائي وكلي بأجمعي
وتيمتموني في بديع جمالكم × فلم ادر في بحر الهوى اين موضعي
واوصيتموني لا ابوح بسركم × فباح لما اخفي تفيض ادمعي
فلما فني صبري وقل تجلدي × وفارقني نومي وحرمت مضجعي
شكيت لقاضي الحب قلت: اغبتي × جفوني وقالوا : انت في الحب مدّع (1)

لا تلمس من الفاظه الا المعاني المعجمية دون ان تشاركه في الجو الوجداني الذي يحتضنه الاسى والاكتئاب وغم المتضخم الداخلي الذي وفره الشاعر في ابياته وعذوبة الايقاع من توزيعه حروف اللين والمدّ دون يحاذل او يتقنع في بشاشة في تأليف الالفاظ وحروفها .

---

(1) — عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 225 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربما وصف الطبيعة التي تحفل بجمالها شعراء المغرب ، لأنهم كانوا يبنون أشعارهم بتقييمات ون بطلالها ويتمتعون من مائها ويتمتعون بجمال مناظرها الخلابة ومظاهرها الرائعة ، فدعموا وصفها بما تأثروا به من الشعر الأندلسي الذي أبدع في وصف الطبيعة ، فرقق الألفاظ وهذبها وأدخل بها نغما داخليا وخارجيا ، فكان الشعر المغربي كجاره الأندلسي رقيق اللفظ عذب النغم الموسيقي ، كمثل قول الشاعر أبي القاسم الشريف في وصفه دولابا فيقول :

وذات حنين تستهل دموعها × سجاما اذا يحدو ركائبها الحادي

تحجبت أن ليست تريم مكانها × ولم تخل من تأويب سير واسئاد

وأرصدتها في الروض أية عدة × فكانت لدفع المحل عنه بمرصاد

تخالف ماء المزن حكما وماؤها × وكل على روض الربا راشح غماد

فيسجدها هذا بعد ما كان منتهما × وذاك تراه مستهما بعد انجماد (1)

والى جانب هذه الرقة في الألفاظ والبساطة في المعاني التي لم تخل من حسن بشعر الوصف والغزل فحسب ، بل تعمدت الى بعض المقاصد في المدح ،

(1) عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 21 ، أبو القاسم الشريف من : 2

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأنّ بعض الشعراء اعتمدوا في المدح على أسماء عناصر الطبيعة في ابراز صفات ممدوحيهم مثل قول الشاعر عبد المهيمن الحضرمي فيقول :

ولولا نوال ابن الحكيم محمد × لأصبح ربع المجد وهو محيل
وزير سما فوق السماك جلالة × وليس لهُ إلا النجوم قبيل
من القوم ، أمّا في الندى فانهم × هضاب ، وأمّا في الندى فسيول
حووا أشرف العليا ، ارثا ومكسبا × ولابست فروع منهم وأصول
وما جرعة هطالة ذات هيدب × موتهما شمال حوجف وقبول
لها زجل من رعدها ولوامع × من البرق عنها للعيون كلول
كما هدرت وسط القلاص وأرسلت × شقاشقها عند الهياج فحول
بماجود من كف الوزير محمد × اذا ما توالت للسنين محول
ولا روضة بالحسن طيبة الشذا × يتم عليها الذخر وجليل (1)

فنلاحظ أنّه عمد الى أسماء وصفات تعبر عن مظاهر الطبيعة ، مذيبة الايقاع واضحة المعاني ليظهر صفات الممدوح .

ومما يدعو الى الملاحظة في لغة الشعر المغربي تكرار ألفاظ القافية من ذلك :

بحمد الله افتتح الخطابا × وابدأ في النظام به الكتابا

(1) المقري ، نفح الطيب ، ج : 5 ، ص: 466 ، 467 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأرسى في الورى مسهم رسولا × شفيعا مصطفى يتلو كتابا

وأروى مدحهم في الدهر شعرا × أدونه وأودعه الكتابا

فلما حل ريع طويف والمنى × الى أضفانه الخير الكتابا

فهذي جملة والشوق عندي × سأودعه بأيضاح كتابا

وكل منظم شعرا سيفنى × ويبقى فيكم مدحي كتابا (1)

ومن هذا التكرار أيضا :

أرى كل جبار بسيفك يصطبر × وكل مليك عن فعالك يقصر

فما شبق به فهو الجهاد بعينه × فحتى متى في الدين يغمور يقصر

وكم غنموا منا حسانا كواكبا × وغزلان دير في المقاصير تقصر (2)

وفي نفس القصيدة يكرر الشاعر لفظة ((يذكر)) :

ستملكها غربا وشرقا وقبلة × وجهزها فهذا كان في الجفر يذكر

فليطالبة تغزو ويفنى مليكها × وأشبيلية مما قريب تذكر

لقد سكن الأعدا مساجد ربنا × وكان بها قبل المهيمن يذكر (3)

ومثل قول مالك بن المرحل :

الله أكبر في منار الجامع × من سبعة تأذين عبد خاشع

الله أكبر محرما وموجها × وجهي الى ربي بقلب خاشع

فخطوا على رجلي حسانة أيكة × مخضوبة تصبي فؤاد الخاشع

---

(1) ـ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص: 210 .
(2) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 9 . عبد العزيز الملزوزي ، ص:
(3) ـ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج 1 ، ص: 314 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكـذلـك فـي قـول ابـن رشـيـد السبتـي :

فـلـم لـم يـغـلـك المـوت متّـجليـا × واثـمـل سـكـيـتـا وجـيـه ولاحـق

راثـك الـمـدايـا سابقـا فاغرتـهـا × فـجـدّ لـلابـا انّـهـن لـواحـق

وقـد كـان ظـنـي انّـني لـك سابـق × فـقـد صـار عـلـمـي انّـنـي بـك لاحـق (1)

ومن قـول أحـمـد بـن شعيب المجزلـائـي :

امّـا لـمـعـت مـا مـدامـع الفـراق × عـمـداة جـمـد بـعـد الـوخـاق

وتـبـد امـلـوا عـسـفـان انْ × يـقـضـوا بـمـجـتـمـع الرفـاق

واهـنـا لـسـالـفـة الشـبـاب × مـضـت بـانّـا امـنـي الرفـاق (2)

ومـن قـول عـبـد المـهـيـمـن الحـضـرمـي :

فـامّـا تـريـنـي من ممارسة الهوى × نـحـيـلا فـحـد الـمشرفيّ نـحـيـل

تـشـددني مـهـمـا لكل ثـنـيّـة × غـواصـر اشـبـاه الـقـسـيّ نـحـمـول

وتـهـوى الـمـلاخـاي وتـغـري بـخـده × لـذاك اكـتـرتـه رقـة ونـحـول (3)

وابـو الـعـبـاس الـحـزفـي فـي قـولـه :

اشـبـه الـقـلـب عـنـد شـده × وبـعـد رتـاطـة الـمـبـدن

وعـصـبـنـا الـى الـحـبـيـبـا × ح ، كـروحـيـن فـي بـدن (4)

---

(1) عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 18 ، ابن رشيد ، ص: 69 .
(2) محمد بن ثاوت ، الادب المغربي ، ص: 229 .
(3) المقري ، نفح الطيب ، ج: 5 ، ص: 466، 467 .
(4) عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 27 ، ابو العباس الحزفي ، ص: 8 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن التكرار الذي يعد مهدا للقافية ، وهو أن يذكر الشاعر لفظا ما في البيت قد يكون كاللفظ أو أحد مشتقاته وصوره اللغوية من مثل هذا قول الشاعر عبد العزيز الملزوزي :

وصار بغربيها الأقصى غريبا × فيا للدين يشتر باغترابا

ولم يعلم بهماد الأعادي × بهاذي الأرض يحتسب احتسابا

لمولانا أمير العدل ملك × به استلبت يد الكفر استلابا

ولم تر قبله في العصر ملكا × أراما في الصدا العجب العجابا

فالبس ملكهم ذلا وصارت × به الأملاك ترتهب ارتهابا

وابناء الامارة ترتجيهم × وأحفاد الملا اعتصبوا اعتصابا

وأشهر من فغار مرين بهم × كما احتربوا اكتسبوا لديهم احترابا

فيضغي سمعه نحوي امتحانا × يقول اذا أصبت لقد أصابا

ولم يرمثلها في العصر لكن × قد انتخبت بهمتة انتخابا

ولم يترك بها أحدا سوى من × بهما يكتسب في الأرض اكتسابا

فبادر شدجة في الصلح حتى × تقرب من مديته اقترابا (1)

وكذلك قوله :

فلم يختبط بالصلح جهلا وغلظة × فيا عجبا من خاسر كيف يخسر

(1) — ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص: 366 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحرم يغمور جهاد عدوه × ويجعلك في بحر يأسك يغمر

وكم غنموا منا حسانا كواكبا × وغزلان درّ في المقاصر تقصر (1)

ومن قول مالك بن المرحل :

عدل الحكومة ماضي الحزم معتدل × كالرمح يمضي يعدل كلما عزما

ومن تصغيره للدين خالقه × أعطاه نور يجلي الظلم والظلما (2)

ومن قوله كذلك :

استنصروا الدين بكم فاستقدموا × فانكم ان تسلموه يسلم

لاذت بكم اشداء شدة × يرحم الدين ويرحم الرحم

فاسترحمتكم فارحموها انه × لا يرحم الرحمن من لا يرحم

حتى اذا لم يبق من حياتها × الا ذماء تدعيه الذمم

تقدمت نحوهم اليحمة × من نحوكم أيقظاهم التقدم

تحزّر الكفار في ديارهم × وعزموا أن يهزموا فهزموا

ونحوكم عيونهم تلاذ سرة × لا تحاصم النوم وكيف تلتحم

والروم قد همت بهم ومالهم × سواكم ردّ فأيّ همم

يارب وفّقنا والّ من × فيه لنا الخير فانت المنتهم

يارب أصلح حالنا وبالنا × انت بما فيه الصلاح أعلم

---

(1) — عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 9، عبد العزيز الفشتالي، ص: 4

(2) — عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج : 3، ص: 3 : 3.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يـــاربّ وانصرنا على أعدائنـــا × يـــاربّ واعضدنـــا فأنت تحصـــم
يـــاربّنا مـــا داوعنـــا شيء سوى × ذنوبنـــا فـــارحم فـــأنت ترحـــم (1)

ومـــن قـــولـــه كـــذلـــك :

لـمـا دعـا الـداعـي وردّ محمدا × قـمـنـا لـنـصـرتـه ولـم نـتـردّد
نـسـري لـه بـأسـنّة قد جودت × مـن عـضـبـهـا والـصـبـيـح لم يتجـرّد
فـتـرا مـت الخيل الـمـطـلـمـاش لورده × هـيـهـات مـا الـمـاء والاجـاج بـمـورد
اخـواننـا في ديننـا ووداد نـنـا × ولـهـم مـزيـد تـحـبـب وتـــودّد
حـتـى اذا جـمـعـنـا وجـمـاعـوا نحونا × ودنـا الـمـزار وقيل للبعد ابـعـد
واذلـنـا عنـا قوم كـثـيـر اسرعوا × فـمـزودّ مـنـهـم وغـيـر مـــزودّ (2)
كـيـف الـهـدى لـهـم ومن لا يقتدي × بـنـبـيـه واصـحـابـه لم يهتـد

وكـــذلـــك مـــن قـــولـــه :

حـتـى وضـحـت ومـا وضـحـت لـجـانـب × لـكـن عـلـى رأسـي لامـع واقـمـع
حـمـراء يرتـاع الـغـزال اذا رنـمـت × بـجـفـون خـشـف في الـخـمـائـل راتـع
قـد نـوت واسـتـأمـنـت بـعـد توحـشـي × واذلـنـاع قـلـب لـم يـكـن بـمـطـاوع
وبـغـرفـة مـن نـافـح لـتـفـاوه × واللـه عـز وجـل لـيـس بـنـافـع
وقـرعـت سـنـي عـنـد ذاك نـدامـة × مـا كـنـت لولا انّ خـدعـت بـمـقـارع

---

(1) — عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 3 : مالك بن المرحل، ص: 25
(2) — عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ،ص: 14 و .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن طمحت بأن أرى الحسن الذي × زهون لي فذممت سوء ملامحي
فذكرن لي أن ليس عادة أهلها × حملوا الحروب وتلك خدعة خادع
وأشرن لي نحو السماء وقلن لي :× هذي زوبعة وبنت زوابع
فوجدتها قرعاء تحسب أنها × مقرونة في رأسها بمقارع
فداساء تحجر وثة أنفها × قطعت فلاشمت بعين القاطع (1)

ويقول أبو العباس المعزفي كذلك :

ولا ذا بالصبر قلبي حين فالبني × شوقي كما لاذ غالب بمغلوب
لولا الحبيب الذي يأتي بنائكم × ما كان قربكم عندي بمحبوب
رياض الحسن رماح الهدب مشرعة × للذب عنها بلحظ غير تذبيب (2)

وإذا كانت لغة الشعر المغربي في العصر المريني تجنح الى التقرير المباشر دون الايحاء والتصوير، فانك تلاحظ أن هذه الميزة تعددت الى الصورة الشعرية لديهم، فرغم الفروق الفردية والتفاوت بين شاعر وآخر، في المستوى الثقافي والتجارب الشعرية، فان الصفات الغالبة على صورهم هي :

(1) ـ عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج : 3، ص: 914.
(2) ـ محمد بن شاوية، الأدب المغربي، ص: 216.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ا - الحسية التقريرية : وهي تلك الصور التي أغلب عناصرها حسية تقف عند حدود المشاكلة بين طرفي الصورة وتقتصر بها الدلالات اللغوية الصرف ، وهذا النوع من التصوير فقير في المجال الفني لا يؤدي تحريك الأحاسيس المتلقي ، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر مالك بن المرحل :

بياض كما لاحت كواكب سحمرة× تريك طلوعا مؤذنا بغروب
بشير نذير لا لاح كالفجر صادقا× على كاذب حلو اللسان خلوب (1)

فالصورة التي قدمها الشاعر لا تعتمد على عنصر التشويق والمفاجأة التي تكسر قانون التوقع وتزيد من انتباه المتلقي ، وتزيد من فاعلية الاستجابة والتأثر ، وتجعله على درجة كبيرة من الرضا والتعاطف ، وانما اقتصرت على المشاكلة بين طرفي الصورة : (بياض الشيب بكواكب السحر) في البياض وسرعة الزوال ، فهذه المشابهة حسية يدركها الانسان بالحواس ولا تحتاج الى اجتهاد الفكر لايجاد هذه العلاقة .

---

(1) - عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 8 : مالك بن المرحل ، ص: 89 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الصورة الثانية لا يزيد على أن شبه بياض الشيب بالبشير والنذير بالفجر في اللون وصدق الحدث ليقابل ذلك بالضد الذي هو الكذب، وكأن الشاعر وراء التشكيل البلاغي أكثر من جريمة وراء شد انتباه المتلقي والتأثير فيه ليجعله يشارك الشاعر وجدانيا في الموضوع، وهذا الجمع وراء التشكيل البلاغي قد أوقع الشاعر في ضعف الفكرة، اذ هجا الشاعر نفسه (كاذب حلو اللسان خلوب) لأن كثرة الدلباق في الصورة الواحدة (البشير، النذير)، و(صادقا، كاذبا)، أوقعه في زوائد أضعفت الفكرة وأثقلتها.

ولهذا فالأغراق في المحسنات البديعية أفقدت كثيرا من الصور الشعرية في الشعر العربي عنصر الجدة والتشويق الذي تحدثه الدهشة الأولى، وجعلها مجرد اجترار لصور القدماء.

ومن الصور التي أثقلها التشكيل البلاغي كذلك قول الشاعر مالك بن الموجل:

لهفا على ابن دلف من جنة × دارت بهما من الصدا جهنم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قولها هي التي تبكي لها × مكة حزنا والصفا وزمزم (1)

فالقراءة المتأنية للبيتين تكشف لنا سيطرة العقل عن عملية الابداع الفني ، فالعلاقات بين الكلمات علاقات تدرك بالعقل والحواس ، ولم تصل الى مستوى التفاعل مع الشعور والمزج بحالات النفس والتلون بألوان العاطفة ، ومن ثم لم يستطع الطباق (جنة ، جهنم) أن يخفي ذلك العجز في تلوين الفكرة وتحويلها الى تجربة شعورية حيّة ، بل بقيت الكلمات عارية من كل الظلال والايحاءات ولم تبق لها الا المعاني القاموسية .

وفي البيت الثاني كلفه الجري وراء التشكيل البلاغي المتمثل في (تبكي مكة . . . القرطبة) كثيرا من الحشو فالتركيب اللغوي هو (تبكي مكة حزنا لقرطبة) ، ولكن الشاعر اضاف الى ذلك بعض الروابط والزوائد التي لا يشفع لها فيها سوى الوزن العروضي كاسم الموصول (التي) وحرف الجر (لها) والضمير (هي) ، وهذا الشكل البلاغي لم يجئ على الصورة الشعرية وحدها فحسب ، وانما جاء على العملية الابداعية .

(1) ـ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 333 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهر ذلك جليا في قول الشاعر أبي العباس المزفي :

لي في سبيتة سكن × حبه في الحشا سكن

أصبح القلب عنده × وبغرناطة البدن

ان هارون لي رأى × سحر لحظه افتتن (1)

فالفكرة التي تناولها الشاعر بقيت تجربة حياتية ولم يستطع أن يحولها الى تجربة فنية متلونة بألوان الشعور مشحونة بحرارة العاطفة والانفعال ، وهذا ما جعلها وصفا لا يحرك الوجدان .

وأما التصوير فانه كان نسجا بين كلمات مبنيا على التشكيل اللغوي ، دون الاجتياز الى التشكيل النفسي الذي يجمع بين مدركات الحواس .

ورغم المحسنات البديعية التي استخدمها الشاعر كالجناس (سكن ، سكن) ، وايهام التضاد (القلب ، البدن) ، فان النص ظل ضعيفا من حيث التصوير عن الصورة النفسية .

ب ـ سيادة النزعة العقلية : ان التجربة الفنية الحية تتمثل في قدرة الفنان على صهر التجربة الحياتية في بوتقة العواطف لتشكل منها ابداعات فنية تتفاعل فيها تجارب الحياة والواقع مع حالات النفس وخلجات الوجدان ،

(1) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 27 ، أبو العباس المزفي ، ص: 38

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتحدد فيهما قوانين المذاهب المختلفي تاركة مكانهما للتحدر البدائي ، فيقدم لنا الشاعر بذلك تجربة زاخرة شعورا ، وليست تجربة حياتية كما نفكر فيهما بحقولها المحسة ، ومن ثم نجد اختلافا واضحا بين من يقدم لنا تجربة شعرية هو جزء متفاعل معها ، وبين من يقدم تجربة حياتية هو واصف لها فقط .

وهذا النوع الأخير هو الذي يصادفنا كثيرا في الشعر الجاهلي حيث نجده يسمو حتى في ثنايا القصائد الذاتية ، كهذه الأبيات الغزلية لمالك بن الحارث :

وأوصيتموني لا أبوح بسركم × فهاك بما أخفي فديتك أدمعي

فلما ففي صبري وقلّ تجلدي × وضاق بي نومي وحرّمت مضجعي

شكيت لقاضي الحب قلت : أعبتني × جفوني وقالوا : أنت في الحب مدّع

وعندي شهود بالصبابة والأسى × يؤكدون دعواي ، إذا جئت أدّعي

سهادي وشوقي واكتئابي ولوعتي × ووجدي وسقمي واصفراري وأدمعي (1)

فالناظر في هذه الأبيات أن الشاعر واصف للتجربة وليس متفاعلا فيها ، ووصفه للتجربة من بعيد هو الذي دفعه الى اخضاع الموضوع الى المحاكمة العقلية ،

(1) ـ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 275 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فما حكاية الاتهام بالادعاء في الحب، ورفع الشكوى الى قاضي الحب، واحضار الشهود، الا تصوير ذهني يخضع لنظام العقل وقوانينه من المنطق، مما جعله لم يتمكن من تفجير الطاقات النفسية وتشرذمها والوصول وايحائها اتهاما على الكلمات والصور، وانما اكتفى الشاعر في نسجه اللغوي على تشابك العلاقات اللغوية فقط، مما يحصل اثر الموسيقى الداخلي المنبعث من تلك الفواصل المتلاحقة في قوله :

سهادي، وشوقي، واكتئابي، ولوعتي × ووجدي، وسقمي، واصفراري، وادمعي (1)

لا يقوى على اخفاء حالة الحلاء النفسي في الابيات وفقر الايحاء والظلال في الكلمات لتخرج مشبعة بالشحنات العاطفية الفياضة .

وقريب من هذا ما فعله الشاعر عبد العزيز الملزوني في مقدمة غزلية حيث جاءت ابياته مجرد وصف لاثر الشوق في نفس العاشق :

ياطيبة الوعساء قد بوح الجفا × اني صبرت على فراقك ما كفى
كم قد عصيت على هواك عواذلي × واشاب بالتبعيد منك وبالجفا

(1) ـ عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج : 3، ص: 706 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحملتني ما لا أطيق في الهوى × وستيتلني من نهج لحظك قرقفا

وكسوتني ثوب النحول فمنظري × لناظريّ من الحيان قد اختفى

هذا قتيلك فارحميه فانه × قد صار من فرط النحول على شفا (1)

اذكل المحاسن والأوصاف التي جاء بها الشاعر بقيت منفصلة عن التجربة الشعرية ، التي تلون الافكار بما لُوّن الذات وتشحنها بدلالات عاطفية تنجذب اليها نفوس المتلقين ، وامماكل ما قدمه الشاعر هو وصف لحالات يشترك فيها كل الناس وأوصاف تنطبق على كل من يعرف ومن لا يعرف من النساء ، وهذا لا يتأتى الا اذا كان الشاعر منفصلا عن الموضوع ، فتكون سيطرة العقل في هذه الحالة غالبة على الانفعال وعن العاطفي .

ولا يعني هذا أنّ العقل سائد على كل الصور الشعرية في الشعر العربي ، بل ان العواطف في بعض الأوصاف نابعة من فيض في الحب والاعجاب وتنم عن صدق في التجربة وقطرة في التعبير ، كقول الشاعر عبد العزيز الملزوزي في مدح يعقوب المنصور المريني :

فلوقيل للاسلام من كنت ترتجي ؟ × لقال لنا : يعقوب ذاك الخضفر

---

(1) — عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 9 ، عبد العزيز الملزوزي ، ص: 36 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما هو للاسلام الا مهند × بدوه له حلي أنيق وجوهر

يزينهم علم وحلم وعفة × وجود سكيب السويل لا يتصدر

فلا زال هذا الملك فيك وفيهم × تحسسه الرحمن لا يتكدر (1)

فمدح الخليفة هنا ليس مدحا للتكسب فقد ، انما ارتبط بمادلفة دينية قوية تحركت في نفس الشاعر هي حبه لنصرة الدين الاسلام وانتشار أخلاقه السامية في المجتمع ، فكان الخليفة بمقوب المدح موضوعا انصبت فيه هذه الموجات التي تخالج الشاعر ، ولم يستطع تحقيقها في الواقع ، فالصدق هنا ليس صدقا في المدح ، وانما في ابراز النموذج الذي يتمثله الشاعر في مخيلته بغض النظر على أن هذا الصدق يتحقق في شخص يمقوب الممدوح أو لا يتحقق ، لذلك كانت المبالغة في الأوصاف كقوله : ((ماهو للاسلام الا مهند)) ، ((بدوه حلي أنيق وجوهر)) ((يزينهم علم وحلم وعفة)) ، ليست تصلقا الخليفة أو تقليدا للمدح ، مدح القدماء ، وانما هي نابعة من فيض حب الشاعر لنموذجه الذي يتمثله ورغبة ملحة في تصوير تلك الصورة في أذهان الناس ، فهذه الرغبة وهذا الفيض هما اللذان ولدا تدفقا وفيضا من الأوصاف لبدر الشاعر .

(1) عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب / 9 ، عبد العزيز الملزوني ، ص: 5

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـذه المعاطفة الدينية دفعت شعراء العصر الجديد الى الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، فتجلت في أساليبهم ، الا انهم وظفوها توظيفا مباشرا تقريريا ، بل جردوا هذه الألفاظ والمعاني الدينية في كثير من الأحيان ، من بعض الجماليات التي تعلقت بها في الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، ففي قول الشاعر مالك بن المرحل :

فللورى أن يقولوا عند رؤيته × ماكان ذا بشرا بل ملكا كريما

الذي استمده من قوله تعالى :

((وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم(1))

نلاحظ أن أسلوب : ((فللورى أن يقولوا)) يفيد الاختيار أي: اما أن يقولوا أولا يقولوا ، ويتعبير آخر فان وصفهم للشخص (النبي) بالملك الكريم في تعبير الشاعر جاء على سبيل الاختيار ، في حين أن هذا المعنى في الآية غير ذلك تماما ، فالقول في ((قلن)) تفيد الاقرار والاعتراف بالفضل وايجاد المبرر لحدوثه أي الفعل الذي صدر عنهن باندفاع قوي من العاطفة لم يرفضه العقل بل صب أحكامه لاقرار .

(1) سورة يوسف ، آية : 31 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما انّ الاداة (بل) التي اضربت على ما قبلها جعلت الاحتمال الاوّل (هذا بشرا) ممكن الوقوع، في حين انّ اسلوب القصر في الآية الكريمة افاد حصر المحدث في لفظ الملاك دون غيره، الامر الذي يزيد في قيمة المحدث وقوته.

وفي قوله:

فاسد ترحمتكم فارحموها الاه × لا يرحم الرحمن من لا يرحم (1)

الذي استمد معناه من الحديث النبوي الشريف:

((ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء)) (2)

نلاحظ انّ النفي في قول الشاعر: (لا يرحم الرحمن من لا يرحم) قد اضعف الفكرة التي تضمنها الحديث الشريف بجعله رحمة الخالق مقتصرة على الرحماء من البشر دون غيرهم، في حين كان المحدث في الحديث النبوي جعل رحمة الانسان لاخيه الانسان تقوى وتزيد مدد من رحمة الله على عباده دون انْ تدفعها على غير الرحماء من الناس فحسب في حالة جفاء بعضهم بعضا.

ومن الشعراء الذين ظهروا في اشعارهم المتصابين الدينية جلية واضحة الشاعر عبد العزيز المسلموني،

(1) ـ عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج: 2، ص: 388.
(2) ـ

الـذي كـان كثيـرا مـا يضـمن ابياتـه معـاني وتعابيـر من القرآن الكريم او الحديث النبوي الشريف كقوله :

اشاد في السماء لنا بروجا × والبسها بزينتها ثيابا (1)

فالملزوني ضمن بيته هذا من معنى الآية الكريمة في قوله تعالى :

((تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا)) (2)

فاذا عدنا الى التضمين التعبيري الذي ضمن به الملزوني معنى الآية الكريمة نلاحظ ان هناك بعض الزوائد التي جنست على المعنى واضفته مثل الضمير (لنا) حيث قيد المعنى بجعله سبب خلق بروج السماء مرتبط بالانسان :(اشاد لنا بروجا في السماء) في كان هذا المعنى مطلقا في الآية الكريمة (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) .

كما ان تعبير الملزوني عن جمال الكواكب في السماء ((والبسها بزينتها ثيابا)) خال من الدقة العلمية التي تضمنتها الآية الكريمة (وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) ، اذ عبرت عن الشمس وهي مصدر النور بلفظ السراج ، في حين عبرت عن القمر الذي ينعكس عليه نور الشمس بلفظ المنير ،

---

(1) ـ ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص: 308 .

(2) ـ سورة : الفرقان ، الآية : 61

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الفرق بين أشعة الشمس المنبعثة من المصدر وبين نور القمر الناتج عن انكسار الأشعة واضح كما سهل فهو فضلاً عن جمال التضاد ، فالمقابلة بين صورة النهار المشمس الجميل ، وصورة الليل المقمر البهيج ، فانه يحمل دقة علمية غالبة ، وبعبارة أخرى ، فالتعبير القرآني جمع بين دقة التعبير العلمي وشاقة الأسلوب الأدبي وقوة تأثيره في النفوس ، في حين نجد اهتمام الشاعر انصب كله على الناحية الجمالية ، فصور لنا بزوغ الضياء تلبس في النهار لباساً ذهبياً يسر الناظرين ، وترتدي في الليل سماءة فاخرة من صور القمر تبهج الناظرين ، فرغم هذا الخيال الخصب ، وهذه الصورتين الخياليتين المشحونتين بالظلال والايحاءات ، توحي صورة النهار بالحيوية والنشاط ، وتوحي صورة الليل بالهدوء والتأمل ، فان الشاعر لم يستغل ما كان يمكن أن يستغله بثقافته الدينية من هذا الأسلوب القرآني الزاخر بالقيم الجمالية والعلمية الفائقة ، ولعل هذا نلاحظه بوضوح في قوله :

هو المبعوث بسرنا ببشيرٍ× من الرسولي وأنذرنا العقابا (1)

الذي استمده من قول الله تعالى (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) (2)

(1) ابن أبي زمنين ، ديوان القرطبي : ص 88 .

(2) سورة الأحزاب ، الآية : 45 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـ الـ دارس يـ لاحظ فرقـا بيـن كلمـة (النبـي) في الآيـة الكـريمـة ، وبيـن كلمـة المبعـوث في قـول الملـزوزي حيث كلمـة (النبي) كما جاءت في سيـاق الآيـة الكريمـة تحـدد بـ دقـة مـهمـة الرسـول ، فيما نجـد كلمة (المبعوث) في قـول الملـزوزي مطلـقة لا تحـددهـا الدقـة العلميـة ، كما انّ كلمـة (بشـرنا) كافيـة لايصـال المعنى المقصود ومـا (بشرى من المولى) الا حشـو لم تضف الى المعنى شيئا جديدا .

والملاحظة نفسهـا نسحبهـا على قولـه :

((وانـذرنا العقـابـا)) ، فهي كلمة انـذرنا يكمن معنى العقابـا لانّ الانـذار لا يكـون الا للمخـاطبيـن ، ولعل هـذا الضعـف التعبيـري عند الملـزوزي جاء نتيجة جريـه وراء استكمـال الوزن والقافيـة ، الامـر الـذي جعلـه يطيـل في ذكـر مـا اوجـزتـه الآيـة الكريمـة دون انّ يضيـف اليـه جديدا ، بل عبر عنـه بلغـة تقريريـة تـرتكـز على الرابـط اللغـوي بيـن الالفـاظ ، اذ تـلاحظ في قولـه :

وصـار بشرنـا الاقصى قريبـا × فيـا للديـن يغتـرب اغترابـا (1)

حيث يـدرك المتلقـي المعنى من الشطـر الاول ، وهـو المعنى الذي تضمنه الحديث: ((خلق هذا الدين غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغربـاء)) (2) ،

(1) ـ ابـن ابـي زرع ، روض القرطاس ، ص: 200 .
(2) ـ

غير انّ جملة ((فاويس للخرساء)) في الحديث النبوي الشريف ، تفيد التحظيم والتهويل ، بينما قول الملوزي ((فيا للدين يضرب اغترابا)) ، توحي بالضعف والمسكنة وربما توحي باستغراب حدوث الفعل ، وهو أسلوب من أساليب التهكم والاستهزاء .

ولعل هذه الايحاءات المختلفة ناتجة عن استعمال بعض الصيغ في غير مواضعها فاستخدام صيغة التعجب فوق أعلى للبيت احتمالات ، تحمل المعنى بين أطراف النقيضين : أيّ من المدح الى الذم ، فقد يفهم الدارس البيت على سبيل الاستهزاء والاعجاب ، كما قد يفهمهما على سبيل التحقير والاستهانة .

وفي مقابل هذا الضعف الفني عند بعض الشعراء العربيين الذين لم يستفيدوا من ثقافتهم الدينية ومن بلاغة التعبير القرآني وأسلوب الحديث النبوي الشريف الاستفادة التي تسمو بنصها بيرهم وشعورهم الى المستوى الفني المطلوب ، نجد بعض الشعراء قد وظفوا ثقافتهم الدينية توظيفا فنيا جميلا مثل الشاعر ابن عبد المنان في هذه الالتفاتة الجيدة الى ما أوتي من قوة مادية ومعنوية في قوله :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لئن دمست دنيا أثّت قارونها الذي × له الحدث والأنصام والخيل والتبسر (1)

فانك تلاحظ أنّ في جملة ((أثّت قارونها)) ايحاء قوي الى الميكانيكة العظيمة والقوة الهائلة التي يملكهما هذا الممدوح ، وقد زاد من جمال التعبير اضافة اسم قارون الدنيا اذ لم يعرف هذا الاسم مرتبطا بتلك الشخصية التاريخية الرامزة الى القوة والعظمة فحسب ، بل تعدى ذلك ليصبح بمسح هذا الممدوح قارون الدنيا كلها ، وبهذا يكون الشاعر قد استفاد من الرموز التاريخية الدينية استفادة كاملة ، ثم ان المتوشيح الذي وشح به ابن عبد المنان صورته في قوله : ((الذي له الحرث والانعام والخيل والتبر)) لم يأت على سبيل التفسير والتوضيح ، وانما جاء بذلك من باب التضخيم والمبالغة في الوصف .

ومن ذلك أيضا قول الشاعر مالك بن المرحل في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

اشارته من قبل ذلك الى اسمه × وكان الحواريون من الشهداء (2)

فالمتأمل من الوهلة الأولى أنّ المعنى مأخوذ من قوله تعالى :

((واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)) (3)

(1) — عبد الله كنون : ذكريات مشاهير رجال المغرب / 3 ، مالك بن المرحل ، ص: 38 .
(2) — المصدر نفسه ، ص: 38 .
(3) — سورة : الصف ، الآية : 5 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أنّ الشاعر جعل هذا المعنى مدلقا لم يقتصره على ذكر هذه الآية الكريمة الى اسم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانما جاء به عاما شاملا ، الأمر الذي يوحي بأنّ كل شيء في الدنيا يشير الى مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم ولد من ذلك معنى جديدا هو كون الحواريين كانوا من ضمن الشهداء على ذلك .

فالشاعر لم يقتصر على ما اختزنته ذاكرته ، وانما صور ذلك في بوتقة شاعرية ، ليسبك من ذلك معنى جديدا هو أنّ ما جاء في الآية الكريمة جزء من كل أو بتعبير أدق ان الحواريين كانوا من ضمن كائنات كثيرة تشهد بميلاد خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

ونستنتج من هذا كله أنّ الشعر في العصر العربي قد استمد معانيه من الثقافة الا أنّ الشعراء لم يكونوا على مستوى واحد من الاستفادة من التعابير الدينية والتصوير القرآني وبلاغة الحديث النبوي الشريف ، اذ اكتفى بعضهم بالمعاني القاموسية للألفاظ والاعتماد على المشاكلة اللغوية في التعبير ، كما مرّ بنا في ابيات الملوزني ومالك بن المرحل ، وقد استطاع بعض الشعراء أنْ يتخطوا المستوى التقريري للألفاظ بتوظيفهم للتعابير الدينية توظيفا موحيا يحمل أبعادا وظلالا متلونة بمشاعر الذات المبدعة

ان المعالم التي غلبت على الشعر العربي هي العقل الواعي والأسلوب المباشر في سرد المعاني والتكرار للصور ، وهذا ما يدل على قربه من عصر الضعف في المشرق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

ـ شعراء الحصون :

لقد برز شعراء في الحصون المرينية مختلفون في مكاناتهم الاجتماعية ، ومتفاوتون في مستواهم الثقافي والعلمي ، وكذا اتجاهاتهم ودلوقهم في فن الشعر .

ومن هؤلاء الشعراء بعض الأمراء المرينيين الذين كانوا عاملا من عوامل ازدهار الشعر وكثرته لأنهم اهتموا بالشعر ، واستخدموه في التعبير عن أفكارهم وآرائهم في أمور تسيير الدولة و استنفار الرعية للجهاد ، مما جعل هذا الاهتمام يحفز كثيرا من أصحاب القلم الى قول الشعر حتى أصبح دعامة من دعائم ثقافة الأمير والقاضي والفقيه والمؤرخ والعالم والكاتب ، بالاضافة الى الشعراء الذين لم يتخصصوا في الشعر وحده ، بل كانت لهم معارف في مختلف العلوم الموجودة في ذلك العصر .

فمن الشعراء الأمراء ، أبو الحسن علي بن عثمان ابن يعقوب بن عبد الرحمن المتوفى سنة : (752 هـ) ، وقد وصفه ابن الأحمر في روضة النسرين ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بـائـــه :((مـلـك الـمـغـرب بـأجـمـعـه واسـتـولـى عـلـى ملك تلمسان بـعـد قـتـلـه لسـلـطـانـهـا ابـن تـاشـفـيـن الـعـبـد الـوادي ، ومـلـك مـديـنـة تـونـس وسـائـر بـلاد افـريـقـيـة بـعـد قـتـلـه لـملـكـهـا عـمـر بـن عـثـمـان ابـي يـحـيـى الـمـوحـد الـهـنـتـاتـي)) (1) ولا غـرو انّ الـتـوسـع الـذي حـقـقـه ابـو الـحـسـن يـعـبـر عـن طـمـوحـه الـكـبـيـر ، لانـه كـان يـحـسـب الأبـهـة والـمـجـد مـولـعـا بـتـقـلـيـد عـظـمـاء الـمـلـوك فـي فـتـوحـاتـهـم ومـنـشـآتـهـم وتـقـالـيـدهـم ومـراسـمـهـم ومـراسـلاتـهـم بـعـضـهـم لـبـعـض (2)) ، فـبـنـى الـجـوامـع والـمـدارس والـمـارسـتـانـات (الـمـسـتـشـفـيـات) ، وانـشـأ مـواضـع الـربـاط والـجـسـور والـسـقـايـات ، واشـتـغـل بـالـجـهـاد ، وشـجـع الـفـقـهـاء والـعـلـمـاء والـكـتـاب والـشـعـراء وتـحـلـى بـالـصـفـات الـحـسـنـة والـخـصـال الـحـمـيـدة ، فـافـتـخـر بـقـولـه :

أرضـي الـلـه فـي سـري وجـهـري × وأحـمـي الـعـرض مـن دنـس وعـيـب
وأعـطـي الـوفـر مـن مـالـي اخـتـيـارا × وأضـرب بـالـسـيـوف عـلـى الـرقـاب (3)

وأمّـا ابـنـه ابـو عـنـان فـارس الـمـتـوفـى سـنـة :(759هـ) ، كان هـو الآخـر ((حـسـن الـثـقـافـة ... فـقـيـهـا يـنـاظـر الـعـلـمـاء الـجـلـة فـيـصـيـب ويـخـطـئـهـم ،

(1) — (3) — ابن الأحـمـر روضـة الـنـسـريـن ، ص: 26 .
(2) —

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومصرفته بالفقه تامة ... عارفا بالمنطق وأصول الدين ولـه حظ صالح من العربية والحساب ... حافظا للقرآن ، عارفا بناسخه ومنسوخه كثير التمثل بآيه ، حافظا للحديث عارفا برجاله ، فصيح القلم ، كاتبا مرسلا بليغا بارع الخط حسن التوقيع(1)) ، وقد حفل بلاطه بالأدباء والعلماء والشعراء يقصدونه من مختلف انحاء المغرب والاندلس ، وكان يتلهى بالشعر وينظمه ، فمن شعره :

يمن تصوب حبي × حبي تصوب ومبي
نحو مقاصد خلي × خلي تقاصد نحبي (2).

وله في الغزل :

ياراصدا بالنبال من غنج × وصائلا بالنصال من دعج
وماديا كالهلال في سحب × وطافحا من سلافة الفلج
وباسما عن لئالئ نسقت × وناسما كل عاطر أرج
رفقا بقلبي فان فيه هوى × ولا تطل في الملال والحرج

وقد ذكر ابن الأحمر في روضة النسرين واصفا أحمد ابن أبي سالم بن أبي الحسن المتوفى سنة :(796 هـ) ،

(1) ـ ابن الأحمر ، روضة النسرين ، ص: 27 .
(2) ـ نفس المصدر ص: 28 .
(3) ـ عبد الله كنون ، أمراؤنا الشعراء ، ص: 43 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السابع

- الشعراء المحدثون :

[illegible] الشعراء في العصر العباسي مختلفون في مكاناتهم الاجتماعية ، ومتفاوتون في مستوياتهم الثقافي والحضاري ، وكذلك اتجاهاتهم ومدارسهم في فن الشعر .

ومن مولاء الشعراء بعض الأمراء الذين [illegible] الشعر وكثرته الأمراء اهتموا بالشعر ، واستخدموه في التعبير عن أفكارهم وآرائهم في أمور تسيير الدولة واستنفار الهمم للجهاد ، مما جعل هذا الاهتمام يحفز كثيراً من أصحاب القلم إلى قول الشعر حتى أصبح دعامة من دعائم ثقافة الأمير والقاضي [illegible] الشعراء المذكورين لم يتخصصوا في الشعر وحده ، بل كانت لهم معارف في مختلف العلوم الموجودة في ذلك العصر .

فمن الشعراء الأمراء : الأمير الحسن علي بن عثمان ابن يعقوب بن عبد الرحمن المتوفى سنة : (752 هـ) ، وقد وصفه ابن الأحمر في روضة النسرين ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولـــه أيـــضـــا :

أجـــود بـــمـــالـــي لـــكـــل الـــعـــفـــاة × وأقـــتـــحـــم الـــهـــول في الـــمـــضـــلات (1)

اقـــود الـــجـــيـــوش وأصـــلـــى الـــحـــروب × وأقـــتـــلـــف الـــهـــمـــم بـــالـــمـــرهـــفـــات

وأحـــمـــي ثـــغـــوري أن تـــنـــتـــهـــال × وأغـــزو نـــهـــب أرض الـــعـــتـــداة

وكـــثـــيـــرا مـــاكـــانـــت الـــمـــكـــاتـــبـــات والـــمـــخـــاطـــبـــات تجـــري

بـــيـــن الـــمـــلـــوك والـــســـلاطـــيـــن شـــعـــرا يـــتـــضـــمـــن الأمـــور الـــسـياســـيـــة

ويـــعـــبـــر عـــن آرائـــهـــم اتـــفـــاقـــا أو اخـــتـــلافـــا كـــهـــذا الـــخـــطـــاب مـــن

الأمـــيـــر أبـــي عـــلـــي بـــن الـــســـلـــطـــان أبـــي ســـعـــيـــد الى أخـــيـــه الـــســـلـــطـــان أبـــي الـــحـــســـن :

أفـــنـــى عـــلـــى زمـــانـــي بـــالـــبـــعـــاد كـــمـــا × أفـــنـــى عـــلـــى لـــبـــد في صـــفـــقـــه الـــمـــخـــبـــن

فـــلا يـــغـــرنـــك الـــدهـــر الخـــؤون فـــكـــم × أبـــاد مـــن كـــان قـــبـــلـــي يا أبـــا الـــحـــســـن

الـــدهـــر مـــذكـــان لا يـــبـــقـــي عـــلـــى صـــفـــة × لا بـــد من فـــرق فـــيـــه ومـــن حـــزن

أيـــن الـــمـــلـــوك الـــتـــي كـــانـــت تـــهـــابـــهـــم × أســـد الـــعـــريـــن شـــروا في الـــلـــحـــد والـــكـــفـــن

بـــعـــد الأســـرة والـــتـــيـــجـــان قـــد مـــحـــيـــت × رســـومـــهـــا وعـــفـــت مـــن كـــل ذي حـــســـن

فـــاعـــمـــل لأخـــرى وكـــن بـــالـــصـــرف مـــؤتـــمـــرا × واســـتـــحـــســـن بـــالـــذي فيـــه ســـرّ وفي عـــلـــن

واخـــتـــر لـــنـــفـــســـك أمـــرا أنـــت آمـــره × كـــائـــنـــي لـــم أكـــن يـــومـــا ولـــم تـــكـــن (2)

ولـــعـــلـــك تـــرى أن الأمـــيـــر الـــشـــاعـــر قـــد تـــعـــجـــب مـــن مـــعـــامـــلـــة أخـــيـــه

لـــه ، لأن الـــدهـــر الخـــؤون أفـــنـــى الـــعـــديـــد مـــن الـــمـــلـــوك الـــعـــظـــام ومـــحـــا رســـوم

مـــحـــاســـن الـــتـــيـــجـــان الـــتـــي كـــانـــت تـــرمـــز الـــى هـــيـــبـــتـــهـــم ،

(1) ـ عبد الله كنون ، أمراؤنا الشعراء ، ص: 88 .

(2) ـ المصدر نفسه ، ص: 40 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فغير عجيب أن يلقى هذا الأمير الابعاد والسجن وربما الابادة ، غير انه يأمل من أخيه ابي الحسن أن يعتبر بالدهر ويستوشد بالدين ويستحيين بما لله في السر والجهر في اختيار الأوامر التي تقضي على الخلاف بينهما ، وتعيد المياه الى مجاريها ، وكأن شيئا لم يكن بينهما .

ومن شعره العاطفي المعبر عن ما حز نفسه من ألم الفراق وهجر الأحبة قوله :

مل يانسيم على غصون المندل× وانعم بتلك النسمات الميل

واذا مررت على الديار فسل بها × عن راحل منهما ومن لم يرحل

زمموا المطي وخلفوني بعدهم× تجري دموعي في رسوم المنزل (1)

وهكذا تجد أن السلاديين في العصر المريني يعبرون عن ثقافة عربية ويتمثلون الادب العربي ، فينظمون الشعر ، وان كان شعرهم هذا من الناحية الفنية تغلب عليه الصنعة والتكلف أحيانا .

ومن الشعراء الذين كانت لهم اليد الطولى في الشعر عبد العزيز بن عبد الوهاب بن محمد المنزوي الدجار المكناسي المتوفى سنة : (697 هـ) .

---

(1) ـ عبد الله كنون ، أمراؤنا الشعراء ، ص: 41 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان شاعر الدولة المرينية أيام المنصور يعقوب ابن عبد الحق ، وابنه يوسف ، اذ رافق المنصور في معظم حملاته في المغرب الأوسط وفي الأندلس .

وعبد العزيز الملزوزي شاعر مكثر ، نظم في المدح والغزل والوصف وغيرها ، وقد تميزت بعض قصائده في المدح بالطول ، فحاول نظم الملاحم الا انه لم يتوفر له فيها الخيال والقصص المحكم .

ومن قصائده الطوال ، هذه القصيدة التي تبلغ خمسين ومائتي بيت ، مدح بها يعقوب المنصور ، وعدد فيها غزواته بالأندلس ، منها هذه الأبيات التي يقول فيها :

هو القطب الذي دارت عليه × نجوم السعد لا تخشى اضطرابا
بنوه نجومه والبدر فيهم × ولي العهد من بالفضل حبا
أبو يعقوب مولانا المرجى × لدفع الخطب ان أرسى ونابا
هو الملك الذي أعطى وأغنى × وصير دلهم عيش مستطابا
وأبناء الامارة قد تجيهم × وأصفاد العلا اعتصبوا اعتصابا
أوفى حقهم فردا فردا × كما جعلوا الجهاد لهم نصابا (1)

والمتتبع لمعاني القصيدة في غير هذه الأبيات يجد أن الشاعر استمدها من القرآن الكريم والتاريخ وسيرة الممدوح ،

(1) — ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص: 300 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واعتمد في نسجها على العقل دون العاطفة في تصوير فضائل الممدوح ، وعلى الرؤية المجردة من الخيال في وصف الغزوات والمعارك ، متوسدا خطوات المنصور المريني في الدور الذي قام به من أجل الدفاع عن الاسلام والمسلمين بالاندلس.

وأما أسلوب القصيدة فيغلب عليه السرد التاريخي مما جعلها تفتقر الى عنصر الخيال وقوة التأثير، فضعفت فيها الملامح الشعرية وطلاوة الأسلوب الشعري ، ولعل هذا يعود الى ميل الشاعر الى التاريخ أو الى حب ملوك بني مرين الذين كانوا يرغبون في سماع الأخبار التاريخية والاطلاع على سير الخلفاء والأمراء المسلمين .

ولكن لا يعني هذا أن شعر عبد العزيز الملزوزي يتميز بهذه الصفات ، وانما نجد شعره في غير هذا النوع من القصائد التاريخية يصدر عن نفس شاعرية جلية اللمحة الشعرية في مثل قوله من هذه القصيدة في الغزل والشوق والتشبيب :

أعلمت بعدك زفرتي وأنيني × وصبابتي يوم النوى وشجوني
أودعت اذ ودّعت وجدا في الحشا × ما ان تزال سهامه تصميني
وزفيت شوقك حاضر موتقب × ان رمت صبرا بالأسى يغريني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من بعد بعدك ما وكنت لواحة × يوما ولا فاضت عليك شؤوني

قد كنت أبكي الدمع أبيض ناصعا × فاليوم تبكي بالدماء جفوني

قل للذين قد ادعوا فوط الهوى × ان شئتمو فعلم الهوى فعلوني

اني أخذت كثيره عن عرة × وربيت سائره عن المجنون (1)

ولم يقتصر عبد العزيز المازوني على الشعر ، وانما اشتغل بالتأليف ، اذ ألف كتابا في تاريخ المغرب لم يجعل له عنوانا ، وله أرجوزة (2) ((نظم السلوك في من ترك المغرب من الملوك))

وهناك شاعر آخر عاصر عبد العزيز المازوني ، وهو أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرج المعروف بابن المرحل المتوفى سنة : (699 هـ) في سبتة ، وهو خير من يمثل الأدب المغربي في منتصف القرن السابع الهجري تعاطى صناعة التوثيق ، وتقرب من يعقوب المنصور المريني ، وخصه بمدحه .

وقد كانت له مشاركة في الفقه واللغة والنحو ، كما كان كاتبا ومترسلا وشاعرا ، وقد أكثر من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد تميزت مدائحه عامة بشيوع الروح الدينية فيها ،

---

(1) — عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج : 3 ، ص: 296 : 696 .

(2) — فروخ عمر ، تاريخ الأدب العربي ، ج : 6 ، ص: 129 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان بعضهما في الزهد والتصوف ، وخصوصا المدائح النبوية التي ضمتها مجموعاته الشعرية المسماة ب : ((الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والاخرى)) ، و ((المعشوقات النبوية)) ، و ((المعشوقات الزهدية)) ، ومن قصائده التي مدح بها يعقوب المنصور المريني بعد الاستيلاء على مراكش قوله :

بفتح مراكش عم السرور فما × يكابد الغم الا قلب من ظلما
حبا بها الله مولانا الامير كما × حبا ابآه فاسئلي فتحها لهما
فلم يزل سعده المألوف متصلا × بسعد والده المنصور منتظما
فدولة الدين والدنيا قد اختلفت × في الفتح والنصر والتأييد بينهما
أشاقت الارض من نوم بها وصحت × وأصبحت وهي تلحى السكر والحلما
لما رأت راية السلطان قد زحمت × في افقها قرعت أسنانها ندما
من سنة الله أن يحيي خليقته × على يديك وأن يكفيهم العدما
وأن يقيم بك الاسلام من أود × وأن يديم بك الاحسان والنعما
وأن يقوّعيون المسلمين وأن × يشفي الصدور وأن يبري بك السقما
بشراك يامالك الدنيا وحافظها × فانت افضل من أوى ومن رحما
ومن تخيره للدين خالقه × اعطاه نورا يجلّي الظلم والظلما (1)

(1) — عبد الله كنون . النبوغ المغربي ، ج : 3 . ص: 368 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمضي الشاعر في مدح الأمير وتهنئته بهذا النصر الذي حققه لا من أجل تبوّؤه المكانة السياسية التي هو أهل لاعتلائها فحسب ، بل الهدف كذلك هو حماية الدين الاسلامي من خطايا المسلمين ، وتقويم أودائهم ، وبه تقرّ أعينهم لأنه جاء مقيما للعدل مزيلا للظلم ، غير أنّ الحقيقة تثبت أنّ الاستيلاء من دلوف المرينيين على مراكش لم يكن الا سعيا منهم للقضاء على الموحدين الذين لم يفرّطوا في الاسلام قط ، وتحقيق غايتهم الرامية الى اعتلاء كرسي السلطة تصعد الزعامة على المغرب الاسلامي ، ولم يكن الدين عندهم الا وسيلة لذلك ، وما دام الشاعر ملتزما بسياستهم من ناحية ، ومتأثرا بالروح الدينية السائدة في عصره من ناحية أخرى ، انطبعت قصيدته هذه بطابع الدين ، وبدا الانتصار كأنه للدين الاسلامي ، وكأنّ الاستيلاء على مدينة مراكش كان فتحا دينيا لها ،

وتشيع هذه الروح الدينية في مختلم قصائد مالك بن المرحل اذ نجده يعمد الى الدين حين يستنفر الناس للجهاد بالأندلس واليك نموذجا في ذلك :

استنصر الدين بكم فاستقدموا × فانكم ان تسلموه يسلم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تسلموا الاسلام يا اخوانكما × وأسرجوا لنصوره وألجموا

لاذت بكم اندلس تناشده × يرحم المدين ونحم الرحيم

فاستوحشتكم فارحموها انه × لا يرحم الرحمن من لا يرحم

ماسي الا قطعة من ارضكم × واهلها ملككم وأنتم منهم (1)

ولم يقتصر مالك بن المرحل في القصيدة على اثارة نخوة الدين فحسب، وانما يتعدى الى عصبية الدم وحق الارض توفيرا في حمايتها قصد المتمتع بخيراتها والتنعم بمنعمها، ولذا يستنهض حميتهم وهممهم بالتاريخ نجدة الاندلس وتخليصها من نير الكفار الذين لم يولوا اعتبارا للاسلام والمسلمين .

ومما يلفت الانتباه ان الشاعر لم يترك وتوا الا وضرب عليه قصد التعبئة واثارة الحماس في الناس ليقدموا على الجهاد لانه كان يدرك أن النصارى لم يكونوا وحدهم اعداء للمرينيين بل كان بنو الاحمر يخافون على ملكهم من المرينيين ، فكانوا في اكثر الاحيان يمالئون الملك النصراني على السلطان المسلم ، ولذا كان المرينيون يترددون في الاستجابة لهم، فلجأ الشاعر الى اسلوب جديد ماسي يختلف عن الاسلوب المعهود في شعر الحماسة والفخر .

(1) عبد الله كنون . النبوغ المغربي ج 3 . ص: 683 .

حيث عمد الى أسلوب الشكوى والدعاء قصد استثارة المشاعر العربية الاسلامية دون أن يذكر الفاظا تنطل منها السيوف والأسنة وتشم فيها رائحة البارود والنار وتسمع خلالها صهيل الخيل ، كما تلاحظ أيضا أن أسلوب مالك ابن المرحل تميز بالسهولة والوضوح ، ويتجلى أكثر في المدائح النبوية التي أكثر منها الشاعر وكان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف المصدرين اللذين استمد منهما الشاعر المعاني التي نسجها في ذلك الأسلوب السهل في الألفاظ والعبارات ، ومنها هذه القصيدة التي عنونها بـ ((العتقاء)) فيقول :

أيا عتقاء المصطفى ان حقيقه × عظيم، فكونوا أكرم العتقاء
أما كنتم من قبله في شقاوة × فلولاه هل كنتم من السعداء
ترجون في القيامة فيضه × اذ قيل : هل للناس من شفعاء
ألم تحلموا عذر النبيين في غد × وقولهم لسنا من الاثراء
اليه يشير ابن البتول اذا رأى × ضجيج الورى في حيرة وعناء
اشارته من قبل ذاك الى اسمه × وكان الحواريون في الشهداء
ألا يارسول الله : أنت ملاذنا × ولبيك مذخور لأعظم داء
أيادي يا خير الورى عمت الورى × فجازاك رب الناس خير جزاء (1)

(1) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 3 ، مالك بن المرحل ، ص: 17 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلك تلاحظ انّ الشاعر قد اقتبس معاني هذه القصيدة من الآيات القرآنية التي تدل على الحذر من الكفر والانقاذ من عذاب النار كقوله تعالى : ((واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها))(1) ، ومن الآيات التي تدل على الشفاعة قوله تعالى : ((فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا))(2) ، وهكذا نرى الشاعر عمد الى القرآن الكريم واخذ منه ما يلائم شمائل النبي الكريم ، وجمعها في مدائحه النبوية التي تميزت بالجنوح الى مدح الرسول في جوه الروحي بعيدا عن التجسيم المادي ، وكل هذه المعاني صبها الشاعر في أسلوب سهل ليّن خالٍ من التعقيد والغموض.

وهناك ظاهرة صناعية في شعر مالك بن المرحل وهي انه يلتزم نفسه بقيود تتمثل في بداية ابيات بعض قصائده بحروف الروي ، وهذا ما تمثله القصيدة المذكورة آنفا ، ولديه قصائد أخرى التزم فيها لزوم مالا يلزم ، ومنها ما رتبها على حروف المعجم كقصيدته الموشحة التي مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال :

---

(1) — سورة آل عمران ، الآية : 102 .
(2) — سورة الاعراف ، الآية : 22 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألف: أجمل الأنبياء نبي ء

بضيائه شمس النهار تضيء

وبه يوصل محسن ومسيء

فضلا من الله العظيم عظيما × صلوا عليه وسلموا تسليما

باء: بدا في أفق مكة كوكبا

ثم اعتلى فجلا سناه الغيهبا

حتى أنار الدهر منه وأخصبا

اذ كان فيض الخير منه عميما × صلوا عليه وسلموا تسليما

تاء: تبيت المهدى لما أتى

فنفى الشريك عن القديم وأثبتا

أحدية من حاد عنها قد عتا

وتلا كلاما للكريم كريما × صلوا عليه وسلموا تسليما

ثاء: ثوى في الأرض منه حديث

في كل أفق طيبه مبعوث

داع بأنواع الهدى مبعوث

يتلو نجوما أو يهز نجوما × صلوا عليه وسلموا تسليما (1)

وهكذا يمضي الشاعر مرتبا أبيات قصيدته الى آخر حرف من الحروف الهجائية في المعجم .

(1) ـ المقري ، نفح الطيب ، ج : 7 ، ص: 453 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونكتفي بهذه النماذج من شعر مالك بن المرحل التي بيّنا من خلالها قدرة شاعريته وقوتها وغزارتها ، ومميزات أسلوبه وطريقته في بناء القصيدة ، ولو تتبعنا شعره بالتحليل والتفصيل لصنّا واسلوبا لاحتاج الى بحث مستقل ، لأنه تطرق الى جميع الأغراض المعروفة في عصره ، وفي الشعر العربي المشرقي والأندلسي ، وعبر عن كثير من الموضوعات بقصائد ومقطعات شعرية ، ونظم أرجوزات تعليمية كأرجوزة نظم بها ((فصيح ثعلب)) ، وهي تبلغ ثلاثمائة وألف بيت منها هذه الأبيات التي يذكر فيها أنّ نظمه :

((فصيح ثعلب)) مجرد خاطرة خطرت للشاعر فمسك القلم ليقول :

وبعد هذا فجرى في خاطري × من غير ندب نادب أمّر

أنّ انظم الفصيح في سلوك × من رجز مهذب مسبوك

وبعض ما لابد من تفسيره × وشرحه والقول في تقديره

من غير أعدو ذاك المحلى × واللفظ الا لاضطرار علما (1)

ولم أخرج في الفرائض وأرجوزة في النحو كذلك ،

ولم يتقيد مالك بن المرحل بالشعر والنظم فحسب ، وانما كان له القدح المعلى في النثر .

---

(1) ـ عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 3 : مالك بن المرحل ، ص: 9

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولنخرج الى شاعر آخر من شعراء عصر الدولة المرينية ، وهو أبو العباس أحمد بن ابي طالب اللخمي الحزفي المتوفى سنة : (707 هـ) ، الذي كان أهله ذوي رئاسة في سبتة الى أن نقلهم ابن الأحمر الى غرناطة وبهذا النقل * يكون ابو العباس الحزفي عاش في المغرب والأندلس ، مما كان لحياته بين الحدوتين أثر في شعره ، اذ أكثر من الشكوى والنسيب ووصف الخمر ووصف الطبيعة ، فما تصف شعره بالرقة والوضوح والعذوبة ، ومن شعره في النسيب والخمر ، هذه القصيدة التي يقول فيها :

هذا الصباح ، فعاد لي بصبوح × وانهض بسراحك فهي راحة روحي
لا تكترث بخطوب دهرك واسقني × كأسا تحسن منه كل قبيح
صالي ولا الأطلال اسأل صامتا × منها وأقول في مهامه فيح
في الراح والريحان شغل شاغل × لي عن عياله بارح وسنيح
وأهيم في ورد الخدود وآسها × لا في عرار بالفلاة وشيح
كم عوذوالي بالملام وصرّحوا × في حبّ من يلقون بالتسبيح
عجبا لهم يلقونني بملامهم × فحصيت في التحريض والتصريح
ان صوح الروض المضيء فخذه × ازهاره أمنت من التصويح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحار عين مهريه اذا بدا × في ثقل أرداف وخصر رو ح
قلبي بعذلهم يزيد توقدا × لا غر في نار تشب بريح (1)

ويذكر المقري في أزهار الرياض أن هذه القصيدة قد مدح بها أبو العباس المزفي الوزير ابن الحكيم وهذا ما يدعو الى أن الشاعر كان يقلد المشارقة الذين التزموا الغزل في محاربهم مدائحهم ، واستهلوا مطالعها بذكر الحبيب أو وصف الخمر ، فنرى أبا العباس المزفي في هذه القصيدة مزج معاني الغزل ومعاني الخمر بعناصر الطبيعة ، يدلل علينا من خلالها بروحه وقلبه ومواطفه دون أن يعتمد على الوصف الظاهري المادي .

وقد صاغها في أسلوب رقيق سهل كانت ألفاظه تكون هامسة فصيحة . وحتى لدينا صورة واضحة من أغراضه الشعرية ومن أشكال شعره وأسلوبه الهامسي ، نذكر هذه القصيدة الراقصة التي يعبر بها عن شوقه وحنينه الى بيته (زوجته وأهله) القاطنين بسبتة وهو بغرناطة فيقول :

لي في سبتة سكن × حبه في الحشا سكن
فهو يزداد جدّه × مع ابلائه الزمن

---

(1) — المقري ، أزهار الرياض ، ج : 2 ، ص: 357 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصبح القلب عنده × وغرناطة المعدن

ان هاروت لو رأى × سحر الحاظه افتتن

رشأ سحر بابل × بين عينيه قد كمن (1)

هذا ، ويعد أبو العباس العزفي من ممثلي الأدب المغربي في أوائل القرن الثامن الهجري ، ومنهم أبو عبد الله بن عمر المعروف بابن رشيد السبتي المتوفى سنة : (721 هـ) الذي يمثل مرحلة انتقال من القرن السابع الهجري الى القرن الثامن منه ، وقد بدأ دراسته في سبتة ، ثم توجه الى الحج وطاف في المشرق ثلاث سنوات ، ثم عاد الى سبتة حيث عاش في عزلة عن الناس واهمال من الدولة ، وربما يكون السبب في عزلته هذه انه كان يتمذهب بالمذهب الظاهري الذي كان في عصر الموحدين ، وكبتت انفاسه في عصر الدولة المرينية ، ثم انتقل ابن رشيد بدعوة من صديقه ورفيقه في الرحلة ذي الوزارتين ابن الحكيم الرندي الى الاندلس حيث تولى الخطابة والامامة في الجامع الاعظم في غرناطة ، فاقام بها مدة يقرئ فنونا من العلم ، الى أن توفي أبو جعفر بن الزبير ، فخلفه في منصب قضاء المحاكم .

(1) محمد داود الأدب المغربي ، ص: 219 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما قتل الوزير ابن الحكم الرندي ، عاد الى فاس ، حيث جعل له السلطان المريني ابو الربيع سليمان ابن عامر الخير ار في السكنى حيث شاء في المغرب ، فاختار مراكش ، فولاه السلطان الصلاة والخطابة في الجامع العتيق بمراكش ، وبعد سنتين من التدريس فيها استدعاه السلطان ابو سعيد عثمان بن يعقوب المريني الى فاس ، حيث استقر فيها يدرس الحديث في جامع القرويين ، وبقي بها الى وفاته .

وقد اشتهر ابن رشيد السبتي بالعلم والتأليف ، ومن آثاره رحلته المعروفة بـ ((ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة)) ، ثم هو خطيب وناثر وشاعر ظهرت في أشعاره ظاهرة صوفية في المدائح المحمدية بيد وانه اكتسبها من كثرة ممارسته للعلوم الدينية وما صب الخطيب والامامة في المساجد ، ومن أعلام التصوف الذين ترجم لهم في رحلته لما اتصل بهم وأخذ عنهم لائه ((كان في كل مدينة يحل بها حريص على الاتصال بعلمائها والأخذ عن أشياخها والتصوف على وجوه القوم فيها ، واكتسب من ذلك علما واسعا وخبرة فائقة ، فقرأ وروى وسمع أمهات المتصانيف المحمدية ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكتب الحضرية وجرت بمثله ومثلين من زارهم من العلماء والأصحاب محاورات ومناقشات علمية ومطارحات ومساجلات أدبية وشعرية)) (1) .

ومن شعره لما رأى رسم النعل المحمدية في دار الحديث الأشرفية قوله :

مثيلا لعيني أن رأت نعل أحمد × فيا سعد جدي قد ظفرت بمقصدي
وقبلتها أشفي الغليل فزادني × فيا عجبا زاد الظما عند مورد
فلله ذاك اللثم لهوا لذ من × لمى شفه لميا وخد مورد
ولله ذاك اليوم عيدا ومغنما × بتاريخه أرخت مولد أسعد
عليه صلاة نشرها طيب كما × يحب ويرضى ربنا لمحمد (2)

انك تشعر بغبطة الشاعر لما رأى رسم النعل الكريمة للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، لكن وقدة الشوق التي غزت قلبه لم تنطفئ بلثمها بل زادته ظمأ وحنينا الى النبي الكريم ، وهذا ما يدل على النزعة الصوفية لديه المتمثلة في تحول الحبيب عن الحبيب الى النبي الكريم الذي نحس بحبه في كل ماله علاقة بالنبي من الرسوم والخصال .

---

(1) ـ ابن رشيد السبتي ، ملء العيبة ، محمد الحبيب بن الخوجة ط: 1 ، الدار التونسية للنشر (نوفمبر: 1982م) ج: 2 ، ص: 32 .
(2) ـ أزهار الرياض ، ج: 2 ، ص: 347 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان النمط الذي عبر فيه الشاعر يجري على اسلوب المزج بين المدح والتهنئة والشوق والحنين والغزل والنسيب ، وهذا من الاتجاه الذي اتخذته الصوفية في المدائح النبوية في القرن السابع الهجري ، لانهم كانوا يحبون عن شوقهم وحنينهم الى النبي وصحبه وصالح المؤمنين ، ويصورون ما يلاقيه المريد في سبيل حبه الى النبي من لواعج وآلام وسكرات ومواجيد ومشاق .

ومن شعره في الاغراض الاخرى ، هذه القصيدة في رثاء ابنه اذ يقول :

فان التفت فالشخص للعين ماثل × وان استمع فالصوت للاذن طارق
وان ادع شخصا باسمه لضرورة × فان اسمه المحبوب للنطق سابق
وان تقرع الابواب راحة قارع × يدا ير عندها قلب لذاكره خافق
وكل كتاب قد حواه فمذكر × واشاره كل اليه تشاوق
سبقت كهولا في الطفولة لاتني × وارهقت اشياخا وانت مراهق
عليك سلام الله ما حن عاشق × وما طلعت شمس وما ذر شارق
وما همعت سحب فجاد روائح × وما لمعت تحدو الرعود البوارق
وجاد على مثواك غيث مروض × عهاد لرضوان الاله موافق(1)

(1) ـ محمد بن تاويت ، الادب المغربي ، ص: 1 2 2 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانك تشعر بحرارة العاطفة وصدق ما لدى أب فجع في ابنه بعد ما راق للناظرين بسوقه ، وتبدى الكمال هلاله ، فانتابه من اللوعة والحزن ما تركه يظل يتصور طيفه في كل شيء ماثل أمام عينيه ، وفي كل صوت يسمعه ، وفي كل اسم يذكره ، أو كتاب يقرأه ، وظل الأب صابرا شاكيا الى الله داعيا أن يلهمه الصبر قصد التغلب على حزنه ، لأن فقد الابن خطب ثقيل جعل حياة الأب علقما وغربة أكثر من غربته في غرناطة ، فبكى لفقدان ابنه ولغربته ، ودعا لابنه بكل ما حواه الكون من خير متمنيا أن يكون له ذخرا عند الله .

وأما الأسلوب فكان سهل الألفاظ واضح العبارات بسيط الصور ، وان كان فيه شيء من التكلف ومال الى التجنيس لأن ابن رشيد السبتي معروف بالتأليف في المحسنات البديعية والعناية بها ، اذ صنف فيها كتاب ((أحكام التأسيس في أحكام التجنيس)) ، وكتاب ((الموشح المروح لرائد التسجيع والتوضيح)) ، غير أنه استخدم منها في هذه القصيدة ما يخدم المعنى والصورة الشعرية ، وذلك لما في هذه القصيدة من الصدق والعفوية جعلا الشاعر يعبر عن فيض الشعور الأبوي دون أن يعمد الى البحث متكلفا ، بل كان همه التعبير عن عاطفته المفجعة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فجاء أسلوبه رقيق اللفظ مموسوس العبارة يفيض حزنا وأسى .

واذا كان ابن رشيد السبتي من الشعراء الذين همهم لايتساع الكلام مثيرون في عصر الدولة المرينية ، فان الشاعر العالم أبا عبد الله محمدا بن علي بن هانئ السبتي الذي استشهد سنة : (733 / 1333م) في حصار جبل طارق مصابا بحجر المنجنيق ، كان ((علم تشير الأكف ويحمل الى لقائه الخافر والخف رفع المعربية بيلده رايه لا تتأثم ، وموج منها لجة تزخر ، فما تفسح مجال دوسه ، وأثمرت أنواع فوسه ، فركض ما شاء ، وسرح ودون وشرح)) (تسهيل الفوائد) لابن مالك النحوي ، وكتاب (الغيرة الطالعة في شعراء المائة السابعة) ، وكتاب : (انشاد الغوال وارشاد السؤال) في لحن العامة .(1)

كما كان بارعا في النثر والشعر ، فمن شعره هذه القصيدة التي يذكر فيها الشيب الذي عمى الفؤاد عن قول الشعر في الغزل ، ولولا كبر السن لملأ الدنيا بالغزل العفيف :

لولا مشيب يقودني للفؤاد عمى × أفنيت في سومه التشبيب لي قلما

واستوقفت عبراتي وهي جارية × وكفاء توصم ربعا الحبيب قحما

مسائلا عن ليالية التي انتهزت × أيدي الأماني بها ماشئته فوصلا

---

(1) ـ فروخ عمر ، تاريخ الأدب العربي ، ج : 6 ، ص : 134 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكنت جاريت فيه من جوى طلقا × من الاجادة لم يجمن ولا نكصا

أصاب شاكلة العرمي حين رمى × من الشوارد ما لولاه ما اقتنصا

ومن أغد وكان النبل نبل حمى × لم يرمش الا بأبكار التهى قنصا (1)

وقد رد بها الشاعر على قصيدة القاضي أبي القاسم الشريف التي بعث بها اليه وحاول بعد ذكر ماضيه مع الحبيب حين كان يملك ناصية الغزل والاجادة فيه ، أن يمدح أبا القاسم الشريف من خلال ما جاء في قصيدة هذا الأخير من افكار وصور وكنائه يشرحها ويستخلص الحكمة منها ، ثم أهداها الى أبي القاسم بنجمة السود الذي يربطهما ، في أسلوب رقيق الالفاظ سهل التراكيب هادئ الحوار .

ومن الشعراء الكتاب في البلاط المريني الشاعر أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد ابن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي السبتي الذي كان صاحب القلم الأعلى والقدح المعلى في علم العربية والمشاركة الحسنة في الأصلين والامامة والحديث ، والتبريز في الأدب والتاريخ واللغات والعروض في المغرب ابان السلطان أبي سعيد عثمان المريني اذ كتب له ولابنه وخلفه أبي الحسن علي ، وقد توفي بمرض الطاعون في تونس سنة : (749هـ) .

(1) ـ المقري ، نفح الطيب ، ج : 6 ، ص: 246 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعبد المهيمن الحضرمي كاتب وشاعر ، له في الأدب الرايسة الخافقة والعقود المتناسقة ... وشعره مخطط من محلسه من العلم والشهرة ، وان كان داخلا في طور الاجادة وقد مدح ذا الوزارتين ابن الحكيم الرندي فقال :

وعاذلة باتت تلوم على السرى × وتكثر من تعذالها وتطيل
ذريني أُسعى للتي تكسب العلا × سناء وتبقى الذكر وهو جميل
فاما تريني من ممارسة الهوى × نحيلا فحدّ المشرفي نحيل
ولولا اغتراب المرء في طلب العلا × لما كان نحو المجد منه وصول
ولولا نوال ابن الحكيم محمد × لأصبح ربع المجد وهو محيل
وزيد سما فوق السماك جلالة × وليس له الا النجوم قبيل
من القوم : أمّا في الندى فانهم × مضاب ، وأمّا في الندى فسيول
وأبلج وقاد الجبين كأنّما × على وجنتيه للنضار مسيل
تهيم به الحليا حتى كأنّها × بثينته في الحب وهو جميل
سرى ذكره في الخافقين فأصبحت × اليه قلوب العالمين تميل
فليت اني لقياك نادية الفلا × بأيدي ركاب سيرهن ذميل
وقد كنت ذا نفس عزوف وهمة × عليها لأحداث الزمان ذحول
وتأبى لي الأيام الا ادالة × فصوغك لي ، ان الزمان مديل (1)

(1) — المقري ، نفح الطيب ، ج : 5 ، ص : 465 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلك تراه في هذه القصيدة يمتزج طريقة الشعراء المشارقة في بناء القصيدة ، اذ استهلها بوصف جمال الطبيعة في ذلك الربيع الذي يقيم فيه الممدوح حيث يقول :

تجلى سحيرا والنسيم عليل × وللنجم طرف بالصباح كليل
وانفجر نور خاضه الليل فانثنت × شوى أدهم الظلماء منه حجول
يريق بأعلى الرقمتين كأنه × طلائع شهب في السماء تجول
فمزق ساجي الليل منه شعاره × وخوق ستر الغيم منه نصول
تبسم ثغر الروض عند ابتسامه × وفاضت عيون للغمام همول
ومالت غصون البان نشوى كأنه × يدار عليها من صباه شمول
وشمت على تلك الغصون حمائم × لهن حفيف فوقها وهديل
اذا سجعت في لحنها ثم قرقرت × بطايح خفيف دونها وثقيل (1)

والذي جعل الشاعر يتشوق اليه ويذرف الدموع على اطلاله هو ريح الممدوح

سقى الله ريحا لا تزال تشوقني × اليه رسوم دونها وطلول
وجاد رباه كلما ذر شارق × من الودق منه تمان أجش هطول
وحالي استسقى الغمام ومدمعي × سفوح على تلك الخراص همول (2)

ثم يذكر أنه ملام على السير ليلا والاكثار من البعاد وزاد لكن المجد والعلا هما اللذان حملاه على الفراق والغربة والصعاب والمشاق

(1) — المقري نفح الطيب ، ج : 5 ، ص: 465 .
(2) — المصدر نفسه ، ص: 465 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصد الوصول اليهما عند ممدوحه الذي يتصف بالكرم الوفير والمروءة والشهامة ، ويسمو بعالي المثل الشريف والمكانة العالية والشهوة الذائعة ، ثم ان الشاعر لا ينسى أن يفتخر بنفسه لانه كان عالي الهمة ، وشخصيه الذي اصبح في اقصى البلاد يعجل بجود الممدوح وثنائه ، ثم تراه كأن الشاعر عبد المؤمن الحضرمي غير راض على زمانه الذي لم يوفر له الاستقرار والاطمئنان النفسي ، فأثر الفراق والغربة باحثا عن المعالي التي تصبو نفسه اليها دون أن ينسى بلده سبتة التي ملأت نفسه بالحنين والشوق اليها وإلى أيام الصبا والطفولة ، فعبر عن ذلك قصد التخفيف من جذوة الاشتياق وولهاة الغربة والفراق ، اذ قال يحن الى بلده سبتة :

سقى ثرى سبتة بين البلاد × وعودها المحمود صوب الغمام
وجاد منهل الحيا ربعها × بوبله تلك الربى والوهاد
فكم لنا في طروسيناتها × من رائح لقلبي في اثر غاد
وبينها البيضاء كم ليلة × بيضاء فيها قد خلت لو تعاد
وبالمنارة التي نورها × لكل من ضل دليل وهاد
تروح منها مثلما تغتدي × لملتقى والافق باح ذات ازدياد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في فتية مثل نجوم الدجى × ما منهم الا كريم جحجاد (1)
اوتشفوا كأس الصفا بينهم × وارتضعوا خلاف محض الوداد

ومن الشعراء الذين كانت لهم الخبرة بحال الدنيا والمتقمس البشرية ، الشاعر أبو العباس أحمد بن شعيب الحجزنائي الكريباني الناني الدار ونزيل فاس ، فدرس فيها على أبي عبد الله بن آجروم ، وأبي عبد الله ابن رشيد ، وقرأ الطب والفلك في تونس على يد يعقوب ابن المدارس ، فبرع في اللسان والأدب والعلوم العقلية من الفلسفة والطب ، فكان بهذه البراعة فقيها وحاسبا وطبيبا وأديبا ناثرا وشاعرا ، وقد اشتغل بالكيمياء في غرناطة غداة عهد الأمير محمد ، كما تراس ديوان المكاتبة في فاس في عهد عثمان المريني (710 — 731 هـ) ، ثم بفتح سلطانه من عهد ابنه علي (731 — 752هـ) ، وقد كانت وفاته في تونس بداء الطاعون سنة (749هـ) .

وله مؤلفات منها ((كتاب الأصداف المنفضة في أحكام صناعة دينار الذهب من الفضة)) .

وأما شعره فمتين الأسلوب عميق المعاني ، وقد قال عنه ابن خلدون ((وكان له شعر سابق به الفحول من المتقدمين والمتأخرين ، وكانت له امامة في نقد الشعر وبصر به)) (2)

(1) — عبد الله ، كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 26 . عبد الرحمن بن الحضرمي در
(2) — ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، ج : 7 . ص: 341 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن شعره الذي سابق به الفحول هذه القصيدة التي نظمها في الحماسة وجمال الدنيا والناس :

عجبت من الأيام انّي ألفتها × مسالمة الأيام احدى العجائب
ولا بست حاليها من الكره والرضا × وقد شاب رأس وهي سود الذوائب
وعاوبت ابناء الزمان فلم أجد × اخا ثقة ، يأجاره غير التجارب
مليون بالبغضاء الا تعلقا × وما هو الا مثل ابناس حالب
وسحت الليالي عفة وقناعة × وقد ضقن ذرعا عن تسدي مآربي
وقضيتهما خمسا وعشرين حجة × أصادق ظنّي بالأناسي الكواذب
فما للأوطان ، هل يطلب الجدا × من القطر الا كائنا في السحائب
وما كنت أرضى ان اقيم بذلة × فكيف وما سدت علي مذاهبي
ستأنف مني البيد طلاع أنجد × قليل هموم النفس جم المطالب
حليف سرى لا يسأم البيد والسرى × طوال الليالي في فؤاد المباسد
أزجي بها من عزمتي متوقدا × فأحسبني بعض النجوم الثواقب(1)

هذه القصيدة التي صنعتها تجربة الشاعر الخصيبة بحال الدنيا والنفس البشرية في زمانه ، تصور تجربته في الحياة ، ورغم ذلك لم تثن الشاعر تلك الحال عن عزيمته القوية وطموحاته السامية ،

---

(1) ـ ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص 336، 337 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لائمه يأبى الذل والعيش الحقير ، فقام في حماس شديد يقتحم كل صعب قصد بلوغ أهدافه وتحقيق آماله .

ومن الشخصيات الأدبية التي عاصرت أحمد بن شعيب الجزائري ، الشاعر أبو عبد الله محمد المكودي الفاسي المتوفى سنة : (753 هـ) ، هذا الشاعر الذي اتصل به لسان الدين بن الخطيب ، وكانت بينهما مراسلات شعرية منها هذه القصيدة الجميلة التي مدح فيها ابن الخطيب فقال :

رحماك بي فقد خلدت في خلدي × هوى أكابد منه حرقة الكبد
حللت عقد سلوى فؤادي اذ × حللت منه محل الروح من جسدي
مرآك بدوي وذكراك التذاذ في × ودين حبك اضماري ومعتقدي
ومن جمالك نور لاح في بصري × ومن ودادك روح حل في خلدي
لا تحسبن فؤادي عنك مصطبرا × فقبل حبك كان الصبر طوع يدي
وهاك جسمي قد أودى النحول به × فلو طلبت وجودا منه لم تجد (1)

ويمضي الشاعر متغزلا متشوقا في شكل حوار يدين عن رقي العقل وتدلوره والمعامه بدقائق الجدل واقامة الحجج والتعليل وحسن التخلص حتى يصل الى مدح ابن الخطيب فأطال وأطاب .

---

(1) — المقري ، نفح الطيب ج : 6 ، ص : 90 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانـك تـلاحظ أنّ المكـسودي لم يخـرج عن الطريقـة التي انتهجها الشعراء في عصره حيث استهلوا قصائد المدح بالغزل أو التشبيب على طريقة الشعراء المشارقة ،

وقد ضمن بعض معاني الشعراء المتقدمين في مثل قوله :

وماك جسمي قد أوْدى النحول به × فلو طلبت وجودا منه لم تجد (1)

فقد سبقه المتنبي الى هذا المعنى في قوله :

كفى بجسمي نحولا انني رجل × لولا مخاطبتي اياك لم ترني (2)

وهذا مما يدل على أنّ الشاعر المكسودي كان مقلدا لغيره ولم يعش التجربة الشعرية من ناحية، وكان متأثرا بالفلسفة والمنطق من ناحية اخرى، فجاء بأسلوب يتحكم فيه العقل والمنطق معبرا عن فتور الحالة في شكل حوار في قوله :

بما بطرفك من غنج ومن حور × وما بثغرك من در ومن برد

كن بين طرفي وقلبي منصفا فلقد × حاكمت بعضهما فاعدل ولا تحد

فقال لي : قد جعلت القلب لي ولنا × وقد قضيت على الاجفان بالسهد

وكيف تطلب عدلا والهوى حكم × وحكمه قد لم يعدل على احد

من لي بمائد لا يوثى لذي شجن × وليس يعرف ما بلقاه ذو كمد

---

(1) — المقري ، نفح الطيب ، ج : 6 ، ص : 91 .

(2) — المتنبي ، ديوان المتنبي ، ص: 7 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـاكنت من قبل اذعـاني لسطـوتـه × اخـال انّ الـرشـا يسطو على الاسـد

ان جاد بالوعد لم تصدق مواعـده × فان قـنـصـت بـزور الوعد لـم يـصـد

شكوته علـتي منه فقـال : الا × سـو للـطـبيـب فما بـرء الضنى بيـدي

فقلت : ان شئت برئي او شفا ألمي × فـاوشـاف لمـاك الـكـوثـري جـسـد

وان بخلت فلـي مولى يجـود عـلى × ضـعفـي ويبـرئ مـا اضنيت من جسدي (1)

وامّـا الشـاعـر الاخـر الـذي كـان مـعـاصـرا للـجـزنـائي ايضـاء فـهـو ابـو القـاسـم محمـد بـن احمـد بن محمد ابن احمـد بـن عبـد الله بـن مـحـمـد المـتـوفى سـنـة : (760 هـ) المعروف بالشـريـف الحـسـنـي السـبتي مـولـدا ونـشـاةً ، بـدا اخـذ الـعـلـم عـن ابيـه وعـن نـفـر من عـلمـاء عـصـره ، مـنـهـم ابـو اسـحاق ابراهيـم الـشـافـقي (716هـ) ، وابـو عبد الله مـحـمـد بن رشيـد السبتي (721هـ) ، وابـو عبد الله محمـد بـن هـانـىء السـبـتي (733 هـ) ، وغيـرهـم ، رحـل الـى الاندلـس واقـام في غـرنـاطـة ، وتـصـدر لـلاقـراء في مالقة ، ثم تـولـى الـقـضـاء والـخـطـابـة في غـرنـاطـة ، وقـد اشـتـهـر في عـدد من فـنـون الـعـلـم والادب ، اذا الـف في البـلاغـة ، واهـتم بالناحية البـديـعـيـة حيـث شـرح (مقصـورة حازم القـرطـاجني) ، ومـهـد لـهـا بمـقـدمـة درس فيـهـا البـديـع ،

---

(1) — المـقـري ، نـفـح الـطـيـب ج :6 :ص: 191 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولـــه ديـوان شـعـر بـعـنـوا ن :(جـهـد المقل) ، تـنـاول الاغـراض الشعرية المـخـتـلـفـة ، مـنـهـا هـذه الـقـصـيـدة في وصـف سـاقـيـة (ناعـورة) :

وذات حنين تستهل دموعـهـمـا × سجاما اذ يحـدو ركائبـهـا الحـادي
تحجبت انّ لست تريم مكانـهـمـا × ولم تخل من تاوّيب سـيـر واسـئاد
وارّ صدتهما في الروضة ايّة عـدة × فكانت لدفع المحل عنه بمرصاد
تخالف ماء المزن حكما وماؤهـا × وكـل روض النرجس رائـح غـمـادي
فيجمد هذا بعد أن كان منهما × وذاك تراه منهمـا بعد انجـماد
لئن قذفت ذوب اللجين على الثرى × لقد خلصته القضب حليا لاجياد (1)

وتلاحظ انّه جمع في وصفه للساقية بين تصوير جمالهـا ومنافعهـا للانسـان حيث بث فيهـا الحـيـاة ، فهي تسكب المياه الغزيرة رغم انّهـا لا تفـارق مكانهـا فهي دائبة المسير ، من يتتبعهـا يجدهـا تدفع الجدب عن الارض ، وان خالف مـاء المطر من المنبع ، فكلاهما يروي الارض فكان غذاء الاشجار فازدهرت اغصانهـا بالازهار لتكون حليا في صدور الحسـان واعناقهن ، ولقد صور الشاعر هذه المعاني القريبة المتناول والتي تدلف على لجة الحواس بلوازم اعمـال الناس او الانسـان معتمدا على التشبيه والاستعارة الذي غلب على شعر وصف الطبيعة في الاندلس ،

(1) ـ محمد بن تاويت الادب المغربي ، ص: 224 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحكم أن الشاعر أبا القاسم السبتي عاش في الاندلس، فانه تأثر بذلك الاسلوب الذي اتسم به في هذه القصيدة، كما تأثر بالغزل الحسي المصور بيع الذي كان سائدا في الاندلس، فخمس قلمه ليقول :

ظفرت بلثمها فبدا احمرار × بوجنتها يزيد القلب وجدا

أشبهها بي الواشي ، فظلت × تلوم ، ولم أكن ممن تصدى

وما كانت سوى قبل بخيها × جنين أقاحيا وغرسن ورد (1)

ولا ريب أننا نلمح من خلال هذه النماذج من شعره في الوصف والغزل صورة مصغرة عن شعره الذي يشهد ابن الخطيب عليه بقوله : ((وأما الشعر فله فيه القدح المعلى والحظ الأوفى ، والدرجة العليا، طبقة وقته ودرجة عصره ، كلامه متكافئ في اللفظ والمعنى)) .(2) .

واذا كان أبو القاسم السبتي من الشعراء الذين لهم القدح المعلى في الشعر فان هناك شعراء آخرين كانت لهم المكانة العالية في البلاط المريني ، كالشاعر الشريف أبي العباس السبتي الصقلي المتوفى سنة :(776هـ) .

(1) — عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب/ 21 ، أبو القاسم الشريف ص: 28 .
(2) — ابن الخطيب ، الاحاطة ج :2 : ص: 129 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كانت له مرتبة عالية لدى الأمير ابي عنان فارس الذي يجله ويحتفي به بالفضل ويجزل له العطاء ، ويستدعيه كل سنة الى حضوته بفاس لحضور الاحتفال بمولد النبي الشريف الذي جرت سنّته في بلاد المغرب ، وقد كان هذا الشاعر يتصف بحضور البديهة وقوة الشعر ، اذ ذكره المقري في أزهار الرياض بأنه ((امام الأدب الذي لا يجاريه الرضى ولا مهيار))(1) ، وقد ساير شاعي الجماعة بحضرة غرناطة ابا البركات البلفيقي ، لما استراحا تحت شجرة التفت أبو البركات الى الشريف وقال :

ما تقول مفدتك النفس في حالي × يمضي زماني في حل وترحال

وارتج عليه ، فقال لابي العباس: أجزه فقال بديهاً :

كذا النفوس اللواتي العز يصحبها × ولا ترضى بمقام دون آمال

دعها تجوب الفيافي والقفار × الى أن تبلغ السؤال أو تفنى بتجوال

الموت أهون من عيش لدى زمن × يحلي اللئيم ويدني الأشوف الخالي (2)

ولا شك أن صدور هذه الأبيات من شاعر في موقف فوجيء فيه بسؤال يتطلب جهداً من التفكير والوقت في ادراك قصد السائل ، غير أن الشاعر لم يتردد في الاجابة ، وهذا مما يدل على قوة شاعريته وحضور بديهته وقدرته في النظم .

(1) — المقري ، أزهار الرياض ، ج 1 ، ص: 41 .
(2) — المصدر نفسه ، ص: 42 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن الشاعر لم يكن دائما في مستوى تلك التحلية التي وصفه بها المقري ، اذ نجد قوله في مجلس الاستعاذة أبياتا تتميز بالبساطة في الألفاظ والسطحية في المعنى والقرب من العامية في الأسلوب وهي :

وثقت بالله ربّي × وحسبي الله حسبي

والله كاف ووافي × وداف كل خطب

ولست أخشى اذا ما × وثقت بالله ربّي

بلغت فيها مرادي × مهنأ مع صحبي

والخمس نفتأ عينا × لكل حاسد ندب (1)

وفي مكان هذا الشاعر ، نجد القاضي الشاعر محمد بن محمد الفشتالي المتوفى سنة : (777هـ) ، وقد وصفه ابن الخطيب في الاحاطة ، ((بأنه مديد الباع في الأدب ، شاعر مجيد ، كاتب بليغ ، علم من أعلام المشيخة ، قدمه السلطان المعالم أبو عنان لقضاء حضرته ، واختصه واشتمل عليه فعرف حقه ، وتردد للأندلس سفيرا فذاع فضله وعلم قدره))(2) .

وان كان نص ابن الخطيب هذا يبين مكانة الفشتالي في البلاط المريني ، حيث كان من المقدمين في حضرة السلطان أبي عنان فارس المريني ، وذلك لسعة علمه وبلاغة قلمه في الأدب نثره وشعره ،

(1) ـ المقري ، أزهار الرياض ، ج : 1 : ص: 38 .
(2) ـ ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج : ص:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فانه يدل كذلك على انه كانت اتصالات بينه وبين الخطيب بالمكاتبات والمراسلات حيث كان كثيرا ما يتصدر الشعر او يذيل رسائلهما ، فمن شعره هذه القصيدة التي صدر بها الفشتالي رسالته مجيبا ابن الخطيب عن رسالته التي كان قد بعث بها اليه ، فقال :

وافت يجر الزهر فضلة بردها × عسجداء قد اضحت نسيجة وحدها
لله اي قصيدة اهديت لي × يهدي المعارض نحوها غاية قصدها
لابن الخطيب بها محاسن جمة × يلقى الخطيب فهاهة في عدها
سر البلاغة اودع حافظا × قد صانه حتى فشا من عندها
في غير عقد نفثته بسحرها × فلذ اثنى سلسا منظم عقدها
لم ادر ما فيها فقمت محاولا × من دلوسها او معلما من بردها
حتى دفعت بها لا بعد غاية × بماعا تقصر بالبلوغ بحدها
حدان من نظم ونثر ومن × يلقاهما يرجع بلذة عبدها
اولى يدا بيضاء سوليها فما × لي قدرة حتى اقوم بحمدها
وقفت تكذيب المنى متشيعا × لعلي مراقها بصادر وردها
فبذلت شعري رافعا من قدرها × وهززت عطفي رافلا من بردها (1)

وانك لترى الشاعر معجبا برسالة ابن الخطيب التي فاضت بالمعاني الحسنة في اسلوب محكم متين التراكيب ،

(1) — محمد بن شاويت ، الادب المغربي ، ص: 244 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما يدل على قدرة ابن الخطيب وبراعته في النظام والنثر ، حيث بينهما الفشتالي مادحا من خلالهما ابن الخطيب ومبينا مكانته ، كما تدل هذه القصيدة أيضا على ظاهرة تجلت لدى شعراء العصر المريني ، وهي أنهم كانوا يشبهون قصائدهم بالعرائس الحسان ويصفونها بما هو من لوازم وصف النساء ، وكذلك يشبهونها بالهدايا ، لأنهم كانوا كثيرا ما ينظمون القصائد الرائعة في المدح ويهدونها الى ممدوحيهم سواء أكانوا من الملوك والأمراء أو من الاخوان والأصدقاء ، كما نلمح في هذه القصيدة أيضا روافد المنطق ، وان كان زاهدا في عصر الدولة المرينية غير أن ملامحه ملموسة في بناء القصيدة حيث ردّ الشاعر على رسالة ابن الخطيب مولّدا معانيه مما جاء في الرسالة من افكار وصور ، وشبهها في أسلوب يتسم بالوضوح والسهولة ، وتتسم موسيقاه بالهدوء والهمس .

وما دام مقدما لدى السلطان أبي عنان الذي عرف حقه وجلّ قدره ، فان الفشتالي رفع قصيدة الى هذا السلطان مادحا اياه منها قوله :

أيا اماما ندى كفيه قد وكفا × حسبي اعتصاما بحبل منكم وكفى
وكيف أصوف وجه القصد عن ملك × ما جد على سنا بشر ولا صوفا (1)

(1) — محمد بن تاويت ، الأدب المغربي ص: 245 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلك تلمح اعتراف الشاعر بفضل السلطان عليه ، لأنّ السلطان جعل الشاعر يلازمه ولا يرضى بالبعد عنه ، اذ كان يفسح له ويقربه ، مما يدل على كفاءته وبراعته في الشعر .

وفي فتنة عبد العزيز المريني كان ((فارس القريض وحامل لوائه الطويل والعريض)) (1) ، وهو الشاعر محمد بن يوسف ابن أحمد بن محمد بن أبي يعقوب يوسف الشبوكي الفاسي ، من بيت علم وأدب ، حباه الله بالذكاء ورقة الطبع ، كان قد تعلق بأحداث بنات عمه وتعشقهن ، ويبدو الهيام به قد تنشق ، حتى شهدت بها حاله ، واستحلم امحاله ، واستغرب انتحاله ، فقال يتشوقها لما كان بفاس وهي بشبوكة :

ألا مبلغ عني مغاني شبوكه × سلاما كعرف المندل الرطب والند
ديار بها قلبي مقيم وان نأت × بجسمي عن أطلالها أينق البعد
عهدت بها عهد الهوى لا يشوبه × من الغدر تكدير من الغمر السعد (2)

ومن قصائده التي كانت تنشد في حضرة الملوك المرينيين هذه القصيدة التي مدح بها أبا فارس عبد العزيز المريني الذي قتل وزيره عمر بن عبد الله بن علي اليابانسي ،

---

(1) — المقري ، أزهار الرياض ، ج : 1 ، ص : 292 .
(2) — ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص : 375 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحرضه على قتل عامر بن محمد المهتدي فقال :

عبد العزيز الذي عزت بدولته × مراتب الحق والتاحت دلائله

وأصبح الملك في أمن ودعة × من الذي كان غالته غوائله

عادت بعيد كما منه نضارته × فعاد يافعه واشتد كاهله

قل للذي منه اقصته جرائمه × وعقلته عن العليا معاقله

زر حضرة الملك الميمون طالعه × تحظ بما انت في دنياك آمله

فطلعته الصفح والعرف شيمته × والحلم والصون والتقوى شمائله

ابلغ جميع العدا ان سوف يشملهم × من الظبا كل ماضي الحد فاصله

هذا المليك اتاهم في كتائبه × لنسخ آجالهم تتلى رواحله

بكل خوق طويل الباع متئد × مقصر عصر من تلقى مناصله

وحاط بالجبل البحر المحيط ولا × حت فوق اوْبٍ سهم منه جداوله

فاسمع اليهم امير المسلمين فقد × اعطيت كل المنى فيما تحاوله

من ذا ينازل جيشا انت قائده × يوم الكريهة او من ذا يناضله

مولاي مولاي دم ما عشت مصطحبا × عزا وفخرا وعزا لا تزاوله

ان سار جيشك فالتأييد يقدمه × والنصر ماجله بقفوه آجله (1)

ولا شك ان هذا التشفي في أعداء المرينيين والتحريض الذي قام به الشاعر ليدل على الثورات التي كانت تقوم بها بعض القبائل المقيمة في المغرب ،

(1) — ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص: 374 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن زعماءها لم يكونوا راضين بالحكم السعودي ، مما جعلهم يرفضون في الحكم الذاتي ويطالبون اليه ، والاستقلال عن السعوديين ، وفاء لحلفهم مع الموحدين ، أو ثأرًا من العونيين الذين تكاتفوا بكل قبيلة تريد الخروج عنهم ، وهكذا ظلوا يثيرون نقع الفتن ، ويحدثون الشغب ، فكانوا عاملا من عوامل سقوط الدولة السعودية ، لكن الشاعر حتى يبرئ السعوديين من الضعف في الحكم وأعمالهم السيئة لتلك القبائل ، مدحهم بالعدل والفضائل الحميدة والقوة الباطشة بكل من يرغب في الخروج عن طاعتهم ، ويرفض الاستقلال لحكمهم ، تحقيقا للأمن والاستقرار في ظل العدل .

ولما كان الشاعر هدفه هو بيان تأييده لعبد العزيز صار يجري وراء المعاني التي يراها تخدم تأييده وساندته دون أن يهتم بالصياغة الشعرية ، فجاءت القصيدة ينقصها التسلسل في المعاني ويحتويها التكرار ، مما جعل أبيات القصيدة يتخلل بعضها التفكك وينقصها الانسجام ، بل غلبت عليها الصنعة والتكلف ، ومن هنا تظهر المبالغة في الحكم الكلي على الشاعر الذي يقول في بدايته ((فارس القريض وحامل لوائه الطويل والعريض)) (1) .

(1) — المقري ، أزهار الرياض ، ج 1 ، ص: 292 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك الشاعر ابو العباس أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنان المتوفى سنة: (732هـ) ، وهو ائدلسي الأصل ، مكناسي الدار ، فاسي الوفاة ، كان أبوه واليا للخراج مشاركا في الأدب والطب ، وكان هو من كتاب الدولة المرينية ((مقربا من السلطان أبي عنان المريني ، ونفر كبير من سلاطين بني مرين ، له نظر في علم الطب مع المشاركة في الطب والاجادة في الشعر)) (1) ، وقد قال عنه ابن الأحمر: ((هو ان وصف بين ، وان حلى زين ، وان جلس أنس ، وان روى أغرب ، وان تدرى أعرب ، باهت به الدول ، وتباهت به الأول ، وخدم الملوك ، ونظم السلوك)) (2)

وهذا القول يدل على أن الشاعر كان ((رافع راية الشعر والأدب في عصره ، القدوة الأحفل ، المتفنن الأكمل ، كانت الخلافة العلمية المخصوص لديها بالمزايا السنية)) (3) ، كما يقول تلميذه ابن جابر الغساني المكناسي .

ومن شعره هذه القصيدة أو المقصورة في مدح الأمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان فارس المريني ملك المغرب ، حيث وصف فيها قتل الأسد بين يدي هذا الأمير .

---

(1) — ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص: 36 .
(2) — ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص: 350 .
(3) — محمد بن تاويت ، الأدب المغربي ، ص: 249 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووصف فيها ايضا الدهر والروض والمناعورة الكبيرة ، فيقول :

كم من جواد راجيا اوكس الغنى × عفوا ولا كابي عنان مرتجى
ذلت لبطشه الاسود وانها × لتذل ، اذ عانا لبطشته الملا
ولقد رأت منه العيون عجيبة × راقت وقد ابلى النواظر والنهى
ضابحة جنات المصارة خالدا × فيها فبالجنات يجزي ذو البلا
احسن بها من روضة غناء قد × غنى الحمام بها طروبا اوشدا
اثمر حسام النهر جلل متنه × صدأ فما تلفك تجلوه جلا
ناعورة ، لا بل ابنك انسة × وغدت تكنفه البروق وقد رقا
فلك مضى في الروض ما حكت به × اذواره والقد لسب منه وما اقتفى
يا ايها الملك الذي اضحى به × دين الاله قرير العين والملا
تثني عليك ملا باطيب نكهة × مما به اثنى الرياض على الحيا
لازلت والاقدار جارية بما × تهواه ، ما كرّ الصباح على الدجى
وبلغت ما ترجوه من امل ، على × عجل ، ودام لك السعادة والبقا (1)

وهي قصيدة طويلة استهلها الشاعر بالتعبير عن اللوعة التي اعترت فؤاده ساعة وداع الاحبة ، مصورا مشاعره المتقدة حبا ، واصفا جمال حبيبته في حوار يفيض هوى ، لم يستوح منه الا لما حل بساحة ابي عنان فارس ذي السعد الكريم ،

(1) — ابن الاحمر ، تشبيه قرائد العقيان ، ص: 356 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمكانة العالية والكرم الوفير ، والشجاعة والتقوى والمعارف الجليلة ، ثم يصف صراعه مع الأسد الذي فتك به هذا الخليفة وقتله بين يديه بالقصر القديم من المدينة البيضاء من فاس ، ولم يقتصر الشاعر على وصف كيفية قتل الأسد على يد الخليفة ، وانما تعدى الى وصف الروضة والدماعورة ، حيث يوجد القصر الذي يقيم فيه ذلك الخليفة ، كما يمدح خصاله البطولية في الحروب من أجل نصر الاسلام ، داعيا له بدوام السعادة والبقاء ، لكنه لا يصرح بتكسبه ، وانما شعره بحسناء تقوم الخليفة على عادة شعراء عصره الذين كانوا يهدون قصائدهم الى الأمراء ، فانتقى الشاعر دورها وزفها الى الأمير تثني عليه بكل طيب :

واليكها دورها فاني منتق × ما راق منها للنظام وما غلا

مقصورة بخيام فكي اعرضت × عمن سواك وأمتك على حيا

حسناء يهوى كل عضو لو غدا × أذنا وقد طلبت تصيخ لمن تلا

تثني عليك علا بأطيب نكهة × مما به اثنى الوباض على الحيا (1)

وكان لابن عبد المنان هذا ، تلميذ هو محمد بن يحيى بن محمد ابن يحيى بن جابر الخساني المكناسي المتوفى سنة : (327هـ) ، كان شعرا نظم في العديد من الأغراض الشعرية ،

(1) — ابن الأحمر ، نثير فرائد الجمان ، ص: 356 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشعره الذي بين أيدينا يتصف بالبساطة والوضوح في المعاني

منه هذه الأبيات التي يذكر فيها حاله بعد مضي الأحبة فيقول :

تاللـه بعد أحبائي الذين مضوا × وخلفوني رهين البث والشجن

ما أبصرت مقلتي من بعدهم حسنا × ولا تذكرت الى شيء فأشجبني (1)

وقال مرة يا البرقع والحقوب متغزلا :

ان خفت من فتك المهند والقنا × فاذا رنت واذا مشت لا تقربي

في قلب مرقعها حسامي انزلت × قمر السماء لنا بقلب الحقرب (2)

وقال أيضا :

حلت عقار بحدقه من خده × قمرا فجل بها عن التشبيه

ولقد عهدناه يحمل ببرجها × فمن العجائب كيف حلت فيه (3)

وقال في جمال مكناسة :

لا تكون الحسن من مكناسة × فالحسن لم يبرز بها محروفا

ولئن محت أيدي الزمان رسومها × فلربما أبقت هناك حروفا (4)

ولعلك تلمح من خلال هذه الأبيات المدوجة التي وصل

اليها الشعر في أواخر عصر الدولة المريينية ، حيث كثرت فيه

التعبيرات الساذجة عن المعاني المكررة ، فلم تلمح فيه من الشعر

الا الوزن والقافية ، كما ترى الشاعر يغرف من معاني غيره ويسردها في شعره .

(1) ـ محمد بن تاويت الأدب المغربي ، ص: 252 .
(2) ـ عبد الله كنون . النبوغ المغربي ، ج: 3 ، ص: 741 .
(3) ـ المصدر نفسه . ج: 3 ، ص: 741 .
(4) ـ محمد بن تاويت الادب المغربي ، ص: 253 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما فعل الشاعر أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي المطرزي المتوفى سنة : (807 هـ) ، في مقصورته ، بالرغم من أنه عرف في زمانه بالبراعة في الفقه واللغة والنحو والعروض والأدب ، وكان شاعرا راجزا مقصرا ومصنفا ، من نظمه ((المقصورة)) التي نظمها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، واقتفى فيها بقوله :

أرقني بارق نجد اذ سرى × يومض ما بين فؤادي وشرس

أهبني اذ هب منه موهنا × ما شد ما بين الثريا والثرى

شممت من أرجائه اذ شمته × ريح صبا أضوع من ريح الكبا

فياله من بارق ذكرني × من الهوى ما كنت عنه في غنى

وهي قصيدة طويلة تبلغ ثلاثمائة بيت صورت السيرة النبوية ، ومدحت الذات المحمدية ، كما عارض المكودي بها مقصورتي : ابن دريد وحازم القرطاجني ونكت عليهما بقوله :

مقصورة لكنها مقصورة × على امتداح المصطفى خير الورى

فقت عملا كل ذي مقصورة × وان هم بالسوا الأيادي واللها

فحازم قد عد فيها حازم × وابن دريد لم يشده ما درى

ما شبتها بمدح خلق فيه × لرتبة أحظى بها ولا جرا

---

(1) — عبد الله كنون ، شرح مقصورة المكودي . ص:

(2) — المصدر نفسه ، ص:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذا يتبين أن المكودي اقتبس من محاسني مقصورته من حازم والشنتريني والبصيري، وابن دريد، مع خصيصا السهولة والوضوح الا في الابيات التي وصف بها الجمال حيث تكلف الشاعر في الاتيان ببعض الالفاظ الغريبة كقوله :

نائي الزيازي والفلا دانـي الصفا × خالـي القيافي والذرى خافي الصوى (1) (2)

قاطعته بمبازل ذي مسرة × يسموع السيمر بائسواع المشى (3)

فتارة يحمل فيها الخيزلي × وتارة يحدو عليها المهيذبي (4) (5)

كأن رحلي اذ علوت ظهوره × فوق متين المتن وجرى القوى

من وحش مهمه بعيد غوره × ذي أكوع أصلب من صم الصفا (6) (7)

يقذف بي من قدفد لقدفد × ويلتمسني بي من فلا الى فلا (8)

حتى اذا انتضى الصباح نصله × وقد جلباب الدياجي فانقوى (9) (10) (11)

---

(1) ـ الزيازي : ج ، الزيزاء : الارض الخليظة ـ الاكمة .
(2) ـ الصوى : ج ، صوة : الارض الخليظة المرتفعة ، أو ما نصب من الحجارة يدل به على الطريق .
(3) ـ بازل : البعير طلع نابه ، في الثامنة أو التاسعة ، ج : بزل للجمال ، وبوازل للسوق .
(4) ـ الخيزلي : مشية فيها تداقل وتبختر .
(5) ـ المهيذبي : ضرب من مشي الخيل .
(6) ـ مهمه : المفازة البعيدة ، أو البلد المقفر ، ج : مهامه .
(7) ـ اكوع : موضع السماء ، الكوع : السماء .
(8) ـ قدقد : الارض الواسعة المستوية لا شيء بها ، ج : قداقد .
(9) ـ انتضى : ظهر الصباح ، ويقال : انتضى السيف : اخرجه من غمده .
(10) ـ انقوى : وضح .
(11) ـ عبد الله كنون . شرح مقصورة المكودي . ص:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما انّ الشاعر قد صور مقصورته من غيره ، فانه اكثر من الصنعة ، فبدت فيها المحسنات البديعية كالجناس والطباق ، لكنه اجاد في بعض الابيات وجانب المعاني التي لا تتناسب ومدح الذات المحمدية .

ولا شك انّ مقصورة ابي زيد المكودي تدل على قوة الروح الدينية التي سادت المجتمع المريني ، حيث نلمسها في كثير من القصائد والمقطوعات الشعرية ، كمثل هذه الابيات التي تدل على لجوء الشاعر الى الله والاعتصام به ، اذا ما اشكلت عليه المقاصد اذ يقول :

اذا عرضت لي في زمان حاجة × وقد اشكلت فيها على المقاصد
وقفت بباب الله وقفة ضارع × وقلت : الهي انني لك قاصد
ولمست توانني واقفا عند باب من × يقول فتاه : سيدي القوم راقد (1)

كما تدل ايضا على مدى ما وصل اليه الشعر عند مجموعة من الشعراء في اواخر العصر المريني من الصنعة والتكلف والتقليد والركاكة في التعبير والتكرار في المعاني .

---

(1) ـ محمد بن تاويت ، الادب المغربي ، ص: 257 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((الخاتمة))

ولا يسعني في ختام هذا البحث ، الا انْ اجْمل ما فصلت فيه الحديث في الفصول السابقة في خلاصة صغيرة على شكل فقرات هي :

لقد هدتني دراستي للشعر المغربي في عصر بني مرين الى انّه كان الصدى الذي عكس لنا بصدق الحياة السياسية والاجْتماعية والفكرية التي عاشتها الدولة المرينية .

كما عكس لنا ذلك الصراع المستمر الذي ساد فترة المرينيين برمتها :

١ ـ صراع يتمثل في التنافس على كرسي السلطة بين دويلات المغرب العربي التي كانت تهدف الى وحدة المغرب العربي الكبير .

واخذ هذا الصراع اشْكال حروب ومعارك بين دولة بني مرين من جهة والدويلات التي كانت تنافسها على الحكم كالدولة الحفصية والدولة الزيانية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسيبقى الشعر السلاح في هذه الحروب بحيث كانت ضربات اللسان اشد واقوى من ضربات السنان ، وسجل الشعراء مواقف الرجال في قصائد تعد اليوم من سجلات التاريخ الصادق لدولة عاشت زهاء الثلاثة قرون ونيف .

كما سجل لنا الشعر تلك المصاهرات بين امراء بني مرين وامراء الدولة الحفصية وكذلك الانتساب الى العروبة والى نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي اتخذوه سبيلا لاكتساب شرعية واحقية الخلافة ، وحقنا للدماء بين الاشقاء فكانوا بذلك ممن رسموا الطريق واضحا الى الوحدة العربية الاسلامية التي نحن اليوم احوج اليها منا بالامس .

ب ـ صراع بين المسيحية والاسلام : ويتمثل في وقوف دولة بني مرين في وجه الحملة الصليبية التي شنها الاسبان ضد الاسلام والمسلمين في الاندلس ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكان لموقف الدولة العربية اثر واضح في تعطيل مسيرة الاسبان وزحفهم على الجناح الغربي من وطننا العربي ، وقد تبين لنا من خلال الدراسة انّ اكثر اغراض الشعر العربي انتشارا هي :

أ ـ المدح : فقد كثر هذا الغرض لانّ ملوك وامراء الدولة وافنياء ما شجعوا الشعراء على قول المدح اعلاء لشانهم ونشرا لصنيعهم وسمعتهم، وقد ركز فيه الشعراء على الاخلاق الكلايمة والخصال الحميدة كالشجاعة والجود والكرم والاتصاف بفضائل الدين الاسلامي الحنيف ، والى جانب مدح الملوك والامراء ورجال الدولة كثرت المدائح النبوية وذكر مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تبقى المنارة الهادية لبناة الدولة العربية الاسلامية في المغرب والاندلس .

ب ـ الحماسة : فقد فطر العربي على الشجاعة والقتال ولهذا كثر شعر الحماسة في الشعر العربي ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ارتبط هذا الغرض في العصر المريني بالمنافحة عن الدين والحث عن الجهاد ومطالبة الناس بالوحدة والتآزر ضد أعداء الدين .

جـ ـ وصف الطبيعة : وقد اقترن عند المرينيين بوصف العمران والمدن وتصوير حركات النفس وما يختلج فيها من عواطف ويتمازج فيها من أحاسيس ، ولذلك قلما تخلو قصيدة من امتزاج الغزل بالوصف ، كما مالوا في وصفهم الى الحسية والأشياء المألوفة أكثر من تعمقهم في المعنويات .

د ـ شعر المراسلات الاخوانية : وقد كثر هذا الغرض وظهرت قصائد التهاني والتعازي والمراسلات الاخوانية ، واتسم نظم هذه القصائد بالأسلوب التقريري المباشر الذي يفتقر الى الخيال الشعري ، بل نزل فيه أصحابه الى أسلوب النثر العادي .

كل ذلك جعل الغزل يتأخر في ضمرة الأغراض الأخرى ويميل الى السفكاهة والسخرية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما توصلنا من خلال الدراسة الى أن الشعر المرسي كان لا يزال يتردى في أغلال التقليد ، من نبرة خطابية وأسلوب تقريري مباشر ، كما نلمح فيه ترديدا لكثير من الكلمات المحسنية ، فقلما تخلو قصيدة من تكرار ألفاظ محدودة تعيق الشاعر في كثير من الأحيان عن الانطلاق الى عالم أرحب وخيال أبعد يجتاز حدود الحسية والمباشرة ويتعمق في أسرار النفس والطبيعة والوجود .

ولعل هذا راجع الى بواعث مختلفة نذكر منها جلال القديم ورعته ، ومنها الاعجاب بالقديم والتشبث به ، ومنها باعث آخر يكاد ضربا من الجمود هو الجنوح الى المألوف والاطمئنان اليه والسير في نطاقه بحيث لا يضني الشاعر نفسه كثيرا في الابتكار والتميز مادام ذلك لا يعد في مقاييس العصر من الأمور التي ترفع الشاعر الى مصاف البلغاء .

وقد جنى هذا التقليد على الشعر والشعراء معا لأنهم حبسوا مواهبهم في مجال السابقين ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجعلوا شعرهم صدى لمن حظوا منهم بالاعجاب ، لذلك انتسبت معظم قصائدهم بالطلول ، وانتقالها من موضوع الى موضوع آخر ، فكان انعدام الوحدة الموضوعية يجعلها تتموج في كثير من الصور التقريرية الباهتة يفقدها تلك اللحمة التي تؤثر في السبك والسياق وتجعل الشعر فيضا واحدا غير منقطع الاوصال .

وهذا ما نأخذ نجده عند اكثر الشعراء المشهورين في تلك الفترة ، نظرا لظروف العصر والمدارس السائدة فيه .

واذا كان الشعراء العربيون قد ضمنوا اشعارهم كثيرا من الصور الحسية التقريرية وتأثروا بمنظوم الشعراء في الشرق والاندلس وصورهم ، ولم يستطيعوا أن يحمّلوا قصائدهم افكارا اعمق وابعادا اشمل ، وبقيت معظم اشعارهم لا تأمن الانزلاق الى التكرار والحشو ، فانهم ما لبثوا ان استعادوا اصواتهم الخاصة التي تعبر عن بيئتهم ومشاكل حياتهم ، وحاولوا التخلص من التقليد شاقين لانفسهم منهجا في الشعر يتسم بظهور شخصية الشاعر في القصيدة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمـا من حيث الأوزان الشعرية فقد عزف الشعراء المرينيون على كل أوتار العروض الخليلي حتى الأوزان المحدثة كعروض المدوبيت ، مع ميل أكثر الى الأوزان المجزوءة والخفيفة .

ثم تبين لنا من خلال دراستنا لحياة الشعراء أنهم :

ـ هناك شعراء أمراء عاشوا حياة الامارة وعبروا عن تلك الظروف السياسية عن تجربة ودراية .

ـ وشعراء كتاب علماء غلبت على أشعارهم الروح العلمية والتصاوير الديدية .

وبعد : اني آمل أن يكون هذا البحث قد حقق الغرض الذي هدف اليه ، وهو التعريف بجانب من الأدب المغربي في عصر الدولة المرينية والوقوف على جزء من الفكر المغربي في مرحلة من أهم مراحل الصراع من أجل تكوين وحدته ، وعسى أن يوضح بعض الجوانب الثقافية عن أدبنا المغربي ، وأن يفتح نافذة للحوار في سبيل عمل أدبي أكثر وأكمل منهجا .

والله وحده نسأله التوفيق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الأعلام

- أبو اسحاق ابراهيم الخافقي : 234 .
- ابو البركات البلفيقي : 237 .
- ابو بكر بن قزمان : 123 .
- ابو بكر بن عبد العزيز : 3 .
- ابو جعفر بن رضوان : 117 .
- ابو جعفر بن الزبير : 220 .
- ابو الحسن الصغير : 31 ، 38 ، 42 .
- ابو الحسن علي السعيد : 7 ، 36 .
- ابو الحسن علي المذاني : 117 .
- ابو الحسن المريني : 1 ، 12 ، 13 ، 19 ، 22 ، 33 ، 34 ، 37 ، 123 ، 172 .
- ابو الحسن علي : 24 ، 33 ، 37 ، 52 ، 117 ، 202 ، 203 ، 206 ، 207 ، 236 .
- ابو حفص الشاشي : 12 .
- أبو دبوس : 8 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابُو الربيع سليمان بن عامر : 321 .

- ابُو زرع الفاسي : 45 .

- ابُو سعيد المصمودي : 13 ، 19 ، 36 ، 37 ، 39 ، 38 ، 204 .

- ابُو سعيد عثمان الزياني : 13 ، 24 ، 25 ، 33 ، 36 ، 221 ، 226 ، 230 .

- ابُو العباس احمد القاسم الفاسي : 42 .

- ابُو العباس المرزوقي : 32 ، 79 ، 80 ، 91 ، 93 ، 110 ، 111 ، 142 ، 181 ، 185 ، 188 ، 218 ، 219 ، 220 .

- ابُو عبد الله بن جرزي : 18 ، 37 .

- ابُو عبد الله الشريف : 42 .

- ابُو عمرو بن المرابط : 134 ، 158 ، 166 .

- ابُو علي بن السلطان بن سعيد : 165 ، 206 .

- ابُو عثمان فرجاوين : 13 ، 18 ، 19 ، 25 ، 26 ، 29 ، 34 ، 35 ، 36 ، 37 ، 42 ، 56 ، 96 ، 113 ، 115 ، 125 ، 203 ، 237 ، 238 ، 240 ، 244 ، 245 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أبو فارس عبد العزيز : 205 ، 241 ، 243 .
- أبو فارس عبد العزيز أحمد بن سالم : 27 .
- أبو الفضل : 16 .
- أبو القاسم ابراهيم (ابن الحاج) : 31 ، 37 .
- أبو القاسم الشريف السبتي : 38 ، 39 ، 85 ، 91 ، 92 ، 110 ، 182 ، 189 ، 151 ، 159 ، 178 ، 226 ، 234 ، 236 .
- أبو مالك عبد الواحد بن موسى : 58 ، 59 ، 60 ، 61 ، 62 ، 96 ، 205 .
- أبو نواس : 138 .
- أبو يحيى : 11 ، 22 .
- أبو يعقوب المريني : 42 ، 58 ، 93 ، 96 .
- أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق : 3 ، 34 ، 35 .
- ابن أبي حفص : 7 .
- ابن أجروم : 43 ، 230 .
- ابن الأحمر : 7 ، 27 ، 92 ، 134 ، 149 ، 203 ، 204 ، 205 ، 216 ، 244 .
- ابن بطوطة الطنجي : 46 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن البناء العددي المراكشي : 43 .

ابن تاشفين : 203 .

ابن جابر الخصاني المكناسي : 244 ، 246 .

ابن حازم القرطاجني : 243 ، 249 .

ابن الحكيم الرندي : 220 ، 221 ، 227 .

ابن الخطيب (لسان الدين) : 18 ، 24، 37، 38، 39، 40، 232 ، 235، 238، 239، 240 .

ابن خلدون : 24، 34، 40، 41، 45، 76، 78، 118 ، 123، 133، 230 .

ابن دريد : 243 ، 249 .

ابن رشيد السبتي : 31، 45، 46، 103 ، 120 ، 147، 152، 164، 191، 220، 221، 224، 225، 230 ، 234 .

ابن زاكور : 61 .

ابن زمرك الغرناطي : 24 ، 37 .

ابن عبد السلام : 125، 138، 142 ، 146، 199، 200 ، 244 ، 246 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ ابن عتيق المرسي : 100 .

ـ ابن مالك النحوي : 225 .

ـ ابن مرزوق : 24 .

ـ ابن مرزوق العجيسي : 42، 72، 86، 146، 232، 233، 248، 249، 250 .

ـ ابن مسعود : 7 .

ـ الجزنائي الفاسي : 43، 45، 84، 160، 181، 230، 232، 234 .

ـ أحمد بن شعيب : 87، 93، 117 .

ـ أحمد بن يحيى بن عبد المنان : 26، 96 .

ـ أحمد بن يوسف الشبوكي الفاسي : 241 .

ـ أدريس بن ادريس : 9 .

ـ الأمير عبد الواحد : 106، 107، 149 .

ـ الأمير محمد : 230 .

ـ البعيري : 249 .

ـ بزروق الفاسي : 31 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- [illegible] : 35 .
- [illegible] : 22 .
- اسماعيل بن يوسف بن الأحمر: 18 .
- الشريف أبو العباس السبتي الصقلي : 236 ، 237 .
- الشريف القاضي أبو القاسم: 158 .
- [illegible] : 64 .
- صبيح (الجارية) : 160 .
- عائشة بنت الجيار المحتسب : 43 .
- عامر بن محمد الهنتاتي : 242 .
- عبد الله بن الحكم : 180 .
- عبد الحق بن محيو: 22 .
- عبد العزيز الملزوزي : 22، 46، 50، 55، 58، 63، 82، 84 ، 98 ، 97 ، 98 ، 102 ، 106 ، 115 ، 118 ، 119 ، 124 ، 126 ، 128 ، 132 ، 237 ، 140 ، 144 ، 149 ، 162 ، 175 ، 176 ، 182 ، 191 ، 193 ، 195 ، 196 ، 198 ، 199 ، 201 ، 207 ، 208 ، 209 ، 210 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عبد السميع بن يمن الحضرمي : 98، 117، 130، 142، 164، 179 ، 181، 226، 227، 229 .
- عبيدة بن قيس الحنفيلي : 21 .
- عبد العزيز المسعودة : 22 .
- عمر بن أبي يحيى : 203 .
- عمرو بن عبد الله بن علي اليباني : 241 .
- علي بن أبي طالب : 121 .
- فاطمة بنت أبي يحيى : 22 .
- الكيميائي المكناسي : 172 .
- مالك بن المرحل : 53، 67، 69، 70، 71، 73، 75، 76، 83، 84، 91، 95، 97، 100، 101، 119، 128، 134، 136، 139، 147، 149، 150، 158، 160، 161، 163، 166، 167، 171، 176، 177، 180، 183، 186، 187، 190، 194، 200، 201، 210، 212، 213، 215، 217 .
- المعتصم العباسي : 165 .
- محمد بن أبي الحاج : 33 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— محمد السفشتاني : 230 ، 239 ، 240 .

— محمد بن يوسف : 87 .

— المستنصر : 5 :

— المقري : 219 ، 237 ، 238 .

— المكودي : 42 ، 72 ، 86 ، 146 ، 232 ، 233 ، 248 ، 249 ، 250 .

— الناصر بن أبي الحسن المريني : 13 .

— يعقوب بن المدارس : 230 .

— يعقوب المنصور : 15 ، 43 ، 53 ، 55 ، 56 ، 57 ، 58 ، 62 ، 96 ، 102 ، 118 ، 119 ، 126 ، 137 ، 144 ، 145 ، 149 ، 192 ، 193 ، 203 ، 209 ، 211 .

— يعقوب بن عبد الحق : 8 ، 15 ، 16 ، 126 ، 134 .

— يغمراسن بن أبي زيان : 7 ، 11 ، 16 ، 55 ، 56 ، 57 ، 58 ، 60 ، 62 ، 95 ، 102 ، 145 .

— يوسف بن يعقوب : 24 ، 33 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

أولا : المصادر : أ - الدواوين والمجموعات الشعرية .

* ابن أبي زرع : أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر ،
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب
وتاريخ مدينة فاس ، (فاس : 1343 م) .

* ابن بطوطة : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد
ابن ابراهيم اللواتي الطنجي ،
تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب
الأسفار ، ج : 1 ، 2 . تحقيق د / علي المنصر الكتاني ،
ط : 4 ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت : 1985 م) .

* ابن الأحمر : أبو الوليد بن الأحمر ،
تشبيب الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان
دار الكتب المصرية رقم : (أدب : 1363م) .
روضة النسرين في أخبار دولة بني مرين
تحقيق عبد الوهاب بن المنصور (الرباط : 1968) .
تشبيب فرائد الجمان في نظم فحول الزمان
تحقيق د / رضوان الداية دار الثقافة ، (بيروت : 1967م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* ابن الخطيب : لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله ،

— نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ج :2

تشره أحمد مختار العبادي ، (القاهرة: 1967) ،

— الاحاطة في أخبار غرناطة ، جزآن ، تحقيق محمد عبد الله عنان:

الجزء الأول : دار المعارف (القاهرة : 1955م)،

الجزء الثاني الشركة المصرية ، (القاهرة : 1974م) .

— اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، تحقيق : لجنة

احياء التراث العربي دار الافاق الجديدة ط: 3، (بيروت: 1980)

* ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ،

— المقدمة ، (مجلدان) :دار الكتاب اللبناني

ومدرسة الحياة ، ط : 1 ، (بيروت : 1933م) ،

— العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم

والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،

دار الكتاب اللبناني ومدرسة الحياة ، ط : 1 ، (بيروت: 1983)،

— التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ط:1 ،

دار الكتاب اللبناني ومدرسة الحياة ، (بيروت : 1983) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* ابن رشيد : محب الدين ابو عبد الله محمد بن عمر بن محمد الفهري السبتي ،
- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة
الوجيهة الى الحرمين : مكة وطيبة ، ج : 2، تحقيق :
محمد الحبيب بن الخوجة، ط : 1، الدار التونسية للنشر: 1982 .

* ابن الشاضلي :
- جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام
بمدينة فاس طبعة حجرية، (فاس: 1309 هـ)،
- درة الحجال في غرة أسماء الرجال ،
تحشيه : علوش، (الرباط: 1934) .

* ابن عبد الملك المراكشي :
- الذيل والتكملة لكتابي : الموصول والصلة ،
ستة أجزاء ، تحقيق : محمد بن شريفة
واحسان عباس، دار الثقافة ، (بيروت) .

* ابن مرزوق : الخطيب ابو عبد الله العجيسي التلمساني :
- المسند الصحيح في مآثر مولانا وحسنات مولانا
ابي الحسن ، تحقيق : ماريا خيسوس بيغيرا
تقديم : محمد بوعياد ، ط: 1 ، الشركة الوطنية
للنشر والتوزيع ، (الجزائر: 1981) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* أحمد بابا التنبكتي : أبو العباس أحمد بابا التنبكتي :

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، طبع مع

بهامش الديباج المذهب لابن فرحون ، (القاهرة : 1351 هـ) .

* الجزنائي : أبو العباس أحمد بن شعيب الجزنائي الكوياني الفاسي ،

- زهرة الآس في بناء مدينة فاس ،

تحقيق : المنوني ، (الجزائر : 1925) .

* الحسلاوي : أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ،

- الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى ،

تسعة أجزاء ، (الدار البيضاء : 1956م) .

* المتنبي : أبو الطيب المتنبي ،

- ديوان المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت : 1975) .

* المقري : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ،

- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق :

مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، (القاهرة) .

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ثمانية أجزاء ،

تحقيق : د / إحسان عباس ، ط : 1 ، دار صادر (بيروت : 1968) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب — الدوريات :

— مجلة البحث العلمي ،

وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية

والتعليم الأصلي ، العدد : الثالث عشر ،

السنة الخامسة ، بتاريخ : (يناير : 1968 الرباط) .

ج — ثانيا : المراجع :

* ابراهيم حركات :

— المغرب عبر العصور ، ج : 1 ، ط: 1 ،

مطبعة دار السلمى ، الدار البيضاء، (المغرب: 1965) .

* شكيب ارسلان :

— خلاصة تاريخ الأندلس، نشر دار مكتبة الحياة

للطباعة والنشر ، (بيروت: 1933م) .

* عبد الله كنون :

— أمراؤنا الشعراء ، المطبعة المهدية،

تطوان ، (المغرب) .

— التحاشيب ، المطبعة المهدية تطوان .

— النبوغ المغربي في الأدب العربي ،

ثلاثة أجزاء ، ط: 2 ، دار الكتاب اللبناني (بيروت: 1961) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— مذكرات مشاهير رجال المغرب ،
مطبعة دار الكتاب اللبناني ، (بيروت) ،
— شرح مقصورة المكودي ،

* عبد الرحمن الجيلالي :
— تاريخ الجزائر العام ، ج : 2 ، ط : 2 ،
دار مكتبة الحياة ، (بيروت : 1965م) .

* عبد العزيز بن عبد الله :
— تاريخ الحضارة المغربية ، جزآن ، طبعة :
دار السلمى ، الدار البيضاء (المغرب: 1963) .

* عبد العزيز نبهوي :
— محاضرات في الشعر المغربي القديم ،
طبعة : ديوان المطبوعات الجامعية ، (الجزائر: 1983) .

* عثمان الكعاك :
— مراكز الثقافة ، (القاهرة : 1958م) .

* عز الدين اسماعيل :
— الأسس الجمالية في النقد العربي ،
ط : 3 ، دار الفكر العربي ، (1974م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* المفسرد بسل :

ـ الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ، من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة :عبد الرحمن بدوي ، ط:2، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت :1981).

* فروخ عمر:

ـ تاريخ الأدب العربي ، ج : 6 ، ط: 1 ، دار العلم للملايين ، (بيروت : 1983) .

* محمد تاويت:

ـ الأدب المغربي ، ط:2، دار الكتاب اللبناني (بيروت: 1969).

* محمد الفاسي :

ـ التعريف بالمغرب ، معهد الدراسات العربية، (الجامعة العربية : 1916م) .

* محمد المهادي العامري :

ـ تاريخ المغرب في سبعة قرون بين الازدهار والذبول ، نشر الشركة التونسية للتوزيع ، (تونس : 1974 م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* مصطفى أبو ضيف :

القبائل العربية في المغرب

في عصر بني مرين ، الموحدين وبني مرين ،

ديوان المطبوعات الجامعية، (الجزائر: 1982م).

* يوسف حتي البكار :

بناء القصيدة في النقد

العربي القديم ،

(في ضوء النقد الحديث) ، ط: 2 ،

دار الأندلس (بيروت: 1983م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الموضوعات

المقدّمة :

التمهيد : 1

الفصل الأول : عصر الدولة المرينية .

الحياة السياسية : 5

الحياة الاجتماعية : 20

الحياة الدينية : 23

الحياة الثقافية : 33

٤٢٠٣٩٠

الفصل الثاني : الشعر والعصر .

الفخر والحماسة : 51 ، الصدائح النبوية : 69 ،

الزهد والتصوف : 71 ، المواديات : 75 ،

الخمر والغزل : 79 ، وصف الطبيعة : 89 ،

الهجاء : 99 ، الرثاء : 108 ،

الشكوى والاستعطاف : 109 ، النظم التعليمي : 113 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث : الخصائص الفنية .

أضرب الشعر العربي : 121، بناء القصيدة : 128،

الأوزان والقوافي : 155، اللغة : 172

الصورة : 185 ، التراكيب : 192 .

الفصل الرابع : شعراء الخصوص .

أبو الحسن علي : 202، أبو حنان فارس : 203 ،

أحمد بن أبي سالم : 204، أبو فارس عبد العزيز : 205،

أبو مالك عبد الواحد : 205، أبو علي بن أبي سعيد : 206،

عبد العزيز الملزوزي : 207، مالك بن المرحل : 210،

أبو العباس العزفي : 213، ابن رشيد السبتي : 220 ،

ابن هانئ السبتي : 225، عبد المهيمن الحضرمي : 226،

أحمد بن شعيب الجزنائي : 230، أبو عبد الله المكودي : 232

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابو القاسم الشريف : 234، ابو العباس السبتي الصقلي : 236،
محمد الفشتالي : 238، يوسف الشبوكي الفاسي : 241،
احمد بن عبد المنان : 244، ابن جابر الخصاني المكناسي : 246،
ابو زيد المكسودي : 248 .

الخاتمة : ..... 251 ،
فهرس الاعلام : ..... 258 ،
فهرس المصادر والمراجع : ..... 266 ،
فهرس الموضوعات : ..... 274 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit